الآية : 47

القول فـي تأويـل قوله تعالى:
إِلَيْهِ يُرَدّ عِلْمُ السّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىَ وَلاَ تَضَعُ إِلاّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآئِي قَالُوَاْ آذَنّاكَ مَا مِنّا مِن شَهِيدٍ .
يقول تعالى ذكره: إلى اللّه يردّ العالمون به علم الساعة, فإنه لا يعلم ما قيامها غيره وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أكمَامِها يقـول: ومـا تظهـر مـن ثمـرة شجرة من أكمامها التي هي متغيبة فيها, فتخرج منها بـارزة وَمـا تَحْمِـلُ مِـنْ أُنْثَى يقول: وما تحمل من أنثى من حمل حين تحمله, ولا تضع ولدها إلا بعلـم من الله, لا يخفى عليه شيء من ذلك. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: وَمـا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أكمامها قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23612ـ حدثني محمد بن عمرو,قال حدثنا أبو عاصم , قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله: مِنْ أكمَامِها قال: حين تطلعُ.
23613ـحدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عـن السـديّ وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرة مِنْ أكمَامِها قال: من طلعها والأكمام جمع كُمة, وهو كل ظرف لماء أو غيره, والعرب تدعو قشر الكفرّاة كُمّا.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: مِنْ ثَمَرَة فقرأت ذلك قرّاء المدينة: مِنْ ثَمَرَاتٍ على الجماع, وقرأت قرّاء الكوفة «مِنْ ثَمَرَةٍ» علـى لفـظ الواحـدة, وبأيّ القراءتين قرىء ذلك فهو عندنا صواب لتقارب معنييهمـا مـع شـهرتهما في القراءة.
وقوله: وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ أيْنَ شُرَكائي يقول تعالى ذكره: ويوم ينادي الله هؤلاء المشـركين بـه فـي الـدنيا الأوثـان والأصـنام: أيـن شـركائي الـذين كنتـم تشركونهم في عبادتكم إياي؟ قالُوا آذَنّاكَ يقول: أعلمناك ما مِنّـا مِـنْ شَـهيد يقول: قال هؤلاء المشركون لربهم يومئذٍ: مـا منـا مـن شـهيد يشـهد أن لَـك شريكاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23614ـحدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عـن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: آذَنّاكَ يقول: أعلمناك.
23615ـ حدثني محمد, قال: حدثنا أبو صـالح, قـال: حـدثنا أسـباط, عـن السديّ, في قوله: آذَنّاكَ ما مِنّا مِنْ شَهِيدٍ قالوا: أطعناك مـا منـا مـن شـهيد على أن لك شريكاً.

الآية : 48-49

القول فـي تأويـل قوله تعالى:
وَضَلّ عَنْهُم مّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنّواْ مَا لَهُمْ مّن مّحِيصٍ * لاّ يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِن دُعَآءِ الْخَيْرِ وَإِن مّسّهُ الشّرّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ
يقول تعالى ذكره: وضلّ عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آلهتهـم الـتي كانوا يعبدونها في الدنيا, فأخذ بها طريـق غيـر طريقهـم, فلـم تنفعهـم, ولـم تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله الذي حلّ بهم.
وقوله: وَظَنّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ يقول: وأيقنوا حينئذٍ ما لهم من ملجأ: أي ليس لهم ملجأ يلجأون إليه من عذاب الله. وبنحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23616ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ وَظَنّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ: استيقنوا أنه ليس لهم ملجأ.

واختلف أهل العربية في المعنى الذي من أجله أبطل عمل الظنّ في هـذا الموضع, فقـال بعـض أهـل البصـرة: فعـل ذلـك, لأن معنـى قـوله: وَظَنّـوا: استيقنوا. قال: وما ههنا حرف وليس باسم, والفعل لا يعمل فـي مثـل هـذا, فلذلك جعل الفعل ملغًى. وقال بعضهم: ليس يلغى الفعـل وهـو عامـل فـي المعنى إلا لعلة. قال: والعلة أنه حكاية, فإذا وقع على ما لم يعمـل فيـه كـان حكايةً وتمنياً, وإذا عمل فهو على أصله.

وقوله: لاَ يَسأَمُ الإنْسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيرِ يقول تعالى ذكره: لا يملّ الكـافر بالله من دعاء الخير, يعني من دعائه بالخير, ومسألته إياه ربّـه. والخيـر فـي هذا الموضع: المال وصحة الجسم, يقول: لا يملّ من طلـب ذلـك وَإنْ مَسّـهُ الشّرّ يقـول: وإن نـاله ضـرّ فـي نفسـه مـن سُـقم أو جهـد فـي معيشـته, أو احتباس من رزقه فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ يقول: فإنه ذو يـأس مـن روح اللـه وفرجـه, قنوط من رحمته, ومن أن يكشف ذلك الشرّ النازل به عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23617ـحدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ لا يَسأَمُ الإنْسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ يقول: الكافر وَإنْ مَسّهُ الشّرّ فَيَئُـوسٌ قَنُـوطٌ: قانط من الخير.

23618ـحدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قـال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: لا يَسأَمُ الإنْسانُ قال: لا يملّ. وذُكر أن ذلك في قـراءة عبـد اللـه: «لا يَسأَمُ الإنْسانُ مِنْ دُعاءٍ بالخَيْرِ».

الآية : 50

القول في تأويـل قوله تعالى:

وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مّنّا مِن بَعْـدِ ضَـرّآءَ مَسّـتْهُ لَيَقُـولَنّ هَـذَا لِـي وَمَـآ أَظُـنّ السّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رّجّعْتُ إِلَىَ رَبّـيَ إِنّ لِـي عِنـدَهُ لَلْحُسْـنَىَ فَلَنُنَبّئَـنّ الّـذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنّهُمْ مّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ

يقول تعالى ذكره: ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما أصابه من سقم في نفسه وضرّ, وشدّة في معيشته وجهـد, رحمـة منـا, فوهبنـا لـه العافيـة فـي نفسه بعد السقم, ورزقناه مالاً, فوسّعنا عليه فـي معيشـته مـن بعـد الجهـد والضرّ لَيَقُولَنّ هَذَا لي عند الله, لأن الله راضٍ عنـي برضـاه عملـي, ومـا أنـا عليه مقيم, كما:

23619ـحدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عـن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد لَيَقُولَنّ هَذَا لي: أي بعملـي, وأنـا محقـوق بهـذا وَمـا أظُـنّ السّاعَةَ قائمَةً يقول: وما أحسب القيامة قائمة يوم تقـوم وَلَئِـنَ رّجِعْـتُ إلـى رَبيّ يقول: وإن قامت أيضاً القيامة, ورددت إلى الله حياً بعد ممـاتي إنّ لـي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى يقول: إن لي عنده غنىً ومالاً. كما:

23620ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: إنّ لي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى يقول: غنى فَلَنُنَبّئَنّ الّذِينَ كَفَـرُوا بِمـا عَمِلُـوا يقول تعالى ذكره: فلنخبرنّ هؤلاء الكفار بالله, المتمنين عليه الأباطيـل يـوم يرجعون إليه بما عملوا في الدنيا من المعاصي, واجترحوا من السـيئات, ثـم

لنجازينّ جميعهم على ذلك جزاءهم وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وذلك العذاب الغليظ تخليدهم في نار جهنم, لا يموتون فيها ولا يحيون.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسّهُ الشّرّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ

يقول تعالى ذكره: وإذا نحن أنعمنا على الكافر, فكشفنا ما به من ضرّ, ورزقناه غنىً وسعةً, ووهبنا له صحة جسم وعافية, أعرض عما دعوناه إليه من طاعته, وصدّ عنه وَنأى بجانِبِهِ يقول: وبعد من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه, ويعني بجانبه بناحيته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23621ـحدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: أَعْرَضَ وَنأى بِجانِبِهِ يقول: أعرض: صدّ بوجهه, ونأى بجانبه: يقول: تباعد.

وقوله: وَإِذَا مَسّه الشّرّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ يعني بالعريض: الكثير. كما:

23622ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ يقول: كثير, وذلك قول الناس: أطال فلان الدعاء: إذا أكثر, وكذلك أعرض دعاءه.

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللّهِ ثُمّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلّ مِمّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ يا محمد للمكذّبين بما جئتهم به من عند ربّك من هذا القرآن أَرَأَيْتُمْ أيها القوم إنْ كانَ هذا الذي تكذّبون به مِنْ عِنْدِ اللّهِ ثُمّ كَفَرْتُمْ بِهِ ألستم فِي فِراقٍ للحق وبعدٍ من الصواب, فجعل مكان التفريق الخبر, فقال: مَنْ أضَلّ مِمّنْ هُوَ في شِقاقٍ بَعَيدٍ إذا كان مفهوماً معناه.

وقوله: مَنْ أضَلّ مِمّنْ هُوَ في شِقاقٍ بَعَيدٍ يقول: قل لهم من أشدّ ذهاباً عن قصد السبيل, وأسلك لغير طريق الصواب, ممن هو في فراقٍ لأمر الله وخوفٍ له, بعيد من الرشاد.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسّهُ الشّرّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ

يقول تعالى ذكره: وإذا نحن أنعمنا على الكافر, فكشفنا ما به من ضرّ, ورزقناه غنىً وسعةً, ووهبنا له صحة جسم وعافية, أعرض عما دعوناه إليه من طاعته, وصدّ عنه وَنأى بجانِبِهِ يقول: وبعد من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه, ويعني بجانبه بناحيته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23621ـحدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: أَعْرَضَ وَنأى بِجانِبِهِ يقول: أعرض: صدّ بوجهه, ونأى بجانبه: يقول: تباعد.

وقوله: وَإِذَا مَسّه الشّرّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ يعني بالعريض: الكثير. كما:

23622ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ يقول: كثير, وذلك قول الناس: أطال فلان الدعاء: إذا أكثر, وكذلك أعرض دعاءه.

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلّ مِمّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ يا محمد للمكذّبين بما جئتهم به من عند ربّك من هذا القرآن أَرَأَيْتُمْ أيها القوم إنْ كانَ هذا الذي تكذّبون به مِنْ عِنْدِ اللّهِ ثُمّ كَفَرْتُمْ بِهِ ألستم فِي فراقٍ للحق وبعدٍ من الصواب, فجعل مكان التفريق الخبر, فقال: مَنْ أضَلّ مِمّنْ هُوَ في شِقاقٍ بَعَيدٍ إذا كان مفهوماً معناه.

وقوله: مَنْ أضَلّ مِمّنْ هُوَ في شِقاقٍ بَعَيدٍ يقول: قل لهم من أشدّ ذهاباً عن قصد السبيل, وأسلك لغير طريق الصواب, ممن هو في فراقٍ لأمر الله وخوفٍ له, بعيد من الرشاد.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِيَ أَنفُسِهِمْ حَتّىَ يَتَبَيّنَ لَهُمْ أَنّهُ الْحَقّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبّكَ أَنّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

يقول تعالى ذكره: سنُري هؤلاء المكذّبين, ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر, آياتنا في الآفاق.

واختلف أهل التأويل في معنى الآيات التي وعد الله هؤلاء القوم أن يريهم, فقال بعضهم: عنى بالآيات في الآفاق وقائع النبيّ صلى الله عليه وسلم بنواحي بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها, وبقوله: وفِي أنْفُسِهِمْ فتح مكة. ذكر من قال ذلك:

23623ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن عمرو بن دينار, عن عمرو بن أبي قيس, عن المنهال, في قوله: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ قال: ظهور محمد صلى الله عليه وسلم على الناس.

23624ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ يقول: ما نفتح لك يا محمد من الآفاق وفِي أنْفُسِهِمْ في أهل مكة, يقول: نفتح لك مكة.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أن يريهم نجوم الليل وقمره, وشمس النهار, وذلك ما وعدهم أنه يريهم في الآفاق. وقالوا: عنى بالآفاق: آفاق السماء, وبقوله: وفِي أنْفُسِهِمْ سبيل الغائط والبول. ذكر من قال ذلك:

23625ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وفِي أنْفُسِهِمْ قال: آفاق السموات: نجومها وشمسها وقمرها اللاتي يجرين, وآيات في أنفسهم أيضاً.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الأوّل, وهو ما قاله السديّ, وذلك أن الله عزّ وجلّ وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذّبين آيات في الآفاق, وغير معقول أن يكون تهدّدهم بأن يريهم ما هم راؤوه, بل الواجب أن يكون ذلك وعداً منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا رأوه قبل من ظهور نبيّ الله صلى الله عليه وسلم على أطراف

بلدهم وعلى بلدهم, فأما النجوم والشمس والقمر, فقد كـانوا يرونهـا كـثيراً قبل وبعد ولا وجه لتهدّدهم بأنه يريهم ذلك.
وقوله: حتى يَتَبَيّنَ لَهُمْ أنّهُ الحَقّ يقول جـلّ ثنـاؤه: أُري هـؤلاء المشـركين وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلى محمد, وأوحينـا إليـه من الوعد له بأنا مظهرو ما بعثناه به من الدين على الأديـان كلهـا, ولـو كـره المشركون.
وقوله: أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبّكَ أنّهُ على كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ يقول تعالى ذكره: أَوَ لم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على كل شيء مما يفعله خلقه, لا يعـزب عنـه علم شيء منه, وهو مجازيهم على أعمالهم, المحسن بالإحسان, والمسـيء جزاءه.
وفي قوله: أنّهُ وجهان: أحدهما: أن يكـون فـي موضـع خفـض علـى وجـه تكرير الباء, فيكون معنى الكلام حينئذٍ: أَوَ لم يكف بربك بأنه على كلّ شـيء شهيد؟ والآخر: أن يكون في موضع رفع رفعاً, بقـوله: يكـف, فيكـون معنـى الكلام: أَوَ لم يكف بربك شهادته على كل شيء.

الآية : 54

القول فـي تأويـل قوله تعالى:
أَلاَ إِنّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مّن لّقَآءِ رَبّهِمْ أَلاَ إِنّهُ بِكُلّ شَيْءٍ مّحِيطُ
يقول تعالى ذكره: ألا إن هؤلاء المكذّبين بآيات الله في شكّ من لقاء ربهم, يعني أنهم في شكّ من البعث بعد الممات, ومعادهم إلى ربهم, كما:
23626ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ ألا إنّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبّهِمْ يقول: في شكّ.
وقوله: ألا إنّهُ بِكُلّ شَيْءٍ مُحِيطٌ يقول تعالى ذكره: ألا أن الله بكـل شـيء مما خلق محيط علماً بجميعه, وقُدرةً عليـه, لا يعـزب عنـه علـم شـيء منـه أراده فيفوته, ولكن المقتدر عليه العالم بمكانه.

سورة الشورى

مكية
آياتها 53 نزلت بعد فصلت
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1-3

القول فـي تأويـل قوله تعالى:
حـمَ * عَسَقَ * كَذَلِكَ يُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَـى الّـذِينَ مِـن قَبْلِـكَ اللّـهُ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ
قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معاني حروف الهجاء التي افتتحت بهـا أوائل ما افتتح بها من سور القرآن, وبيّنا الصواب من قولهم في ذلـك عنـدنا بشواهده المغنية عن إعادتها في هذا الموضع, إذ كانت هذه الحروف نظيـرة الماضية منها. وقد ذكرنا عن حُذيفة في معنى هذه خاصة قولاً, وهو ما:
23627ـ حدثنا بـه أحمـد بـن زهيـر, قـال: حـدثنا عبـد الوهـاب بـن نجـدة الحوطي, قال: حدثنا أبو المُغيرة عبد القـدوس بـن الحجـاج الحمصـي, عـن

أرطاة بن المنذر قال: جاء رجل إلى ابن عباس, فقال له وعنده حُذيفة بن اليمان, أخبرني عن تفسير قول الله: حَم. عسق, قال: فأطرق ثم أعرض عنه, ثم كرّر مقالته فأعرض فلم يجبه بشيء وكره مقالته, ثم كرّرها الثالثة فلم يجبه شيئاً, فقال له حُذيفة: أنا أنبئك بها, قد عرفت بم كرهها نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله أو عبدالله ينزل على نهر من أنهار المشرق, تبنى عليه مدينتان يشقّ النهر بينهما شقاً, فإذا أذن الله في زوال مُلكهم, وانقطاع دولتهم ومدتهم, بعث الله على إحداهما ناراً ليلاً, فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت, كأنها لم تكن مكانها, وتصبح صاحبتها متعجبة, كيف أفلتت, فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كلّ جبار عنيد منهم, ثم يخسف الله بها وبهم جميعاً, فذلك قوله: حم. عسق يعني: عزيمة من الله وفتنة وقضاء حم, عين: يعني عدلاً منه, سين: يعني سيكون, وقاف: يعني واقع بهاتين المدينتين.

وذُكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه «حم. سق» بغير عين, ويقول: إن السين: عمر كل فرقة كائنة وإن القاف: كل جماعة كائنة ويقول: إن علياً إنما كان يعلم العين بها. وذُكر أن ذلك في مصحف عبد الله على مثل الذي ذكر عن ابن عباس من قراءته من غير عين.

وقوله: كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلى الّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ يقول تعالى ذكره: هكذا يوحِي إليك يا محمد وإلى الذين من قبلك من أنبيائه. وقيل: إن حم عين سين ق أوحيت إلى كلّ نبيّ بُعث, كما أوحيت إلى نبينا صلى الله عليه وسلم, ولذلك قيل: كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وإلى الّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللّهُ العَزِيزُ في انتقامه من أعدائه الحَكِيمُ في تدبيره خلقه.

الآية : 4-5

القول في تأويل قوله تعالى:

لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَهُوَ الْعَلِيّ العَظِيمُ * تَكَادُ السّمَاوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِن فَوْقِهِنّ وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبّحُونَ بِحَمْدِ رَبّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأرْضِ أَلاَ إِنّ اللّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرّحِيمُ

يقول تعالى ذكره: لِلّهِ مُلك مَا فِي السّمَواتِ وَمَا فِي الأرْض من الأشياء كلها وَهُوَ العَلِيّ يقول: وهو ذو علوّ وارتفاع على كلّ شيء, والأشياء كلها دونه, لأنهم في سلطانه, جارية عليهم قُدرته, ماضية فيهم مشيئته الْعَظِيمُ الذي له العظمة والكبرياء والجبرية.

وقوله: تَكادُ السّمَوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنّ يقول تعالى ذكره: تكاد السموات يتشققن من فوق الأرضين, من عظمة الرحمن وجلاله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23628ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: تَكادُ السّمَوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنّ قال: يعني من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى.

23629ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: تَكادُ السّمَوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنّ: أي من عظمة الله وجلاله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.

23630ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ تَكادُ السّمَواتُ يَتَفَطّرْنَ قال: يتشقّقن في قوله: مُنْفَطِرٌ بِهِ قال: منشقّ به.

23631ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: يَتَفَطّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنّ يقول: يتصدّعن من عظمة الله.

23632ـ حدثنا محمد بن منصور الطوسي, قال: حدثنا حسين بن محمـد, عن أبي معشر, عن محمد بن قيس, قـال: جـاء رجـل إلـى كعـب فقـال: يـا كعب أين ربنا؟ فقال لـه النـاس: دقّ اللـه تعـالى, أفتسـأل عـن هـذا؟ فق ال كعب: دعوه, فإن يك عالماً ازداد, وإن يك جاهلاً تعلم. سألت أين ربنا, وهـو على العرش العظيم متكىء, واضع إحدى رجليه على الأخرى, ومسافة هذه الأرض التي أنت عليها خمسمائة سنة ومن الأرض إلى الأرض مسيرة خمس مئة سنة, وكثافتها خمس مئة سنة, حتى تمّ سبع أرضين, ثم من الأرض إلـى السماء مسيرة خمـس مئـة سـنة, وكثافتهـا خمـس مئـة سـنة, واللـه علـى العرش متكىء, ثم تفطر السموات. ثـم قـال كعـب: اقـرأوا إن شـئتم تَكـادُ السّمَوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنّ... الآية.

وقوله: وَالمَلائِكَةُ يُسَبّحُونَ بِحَمْدِ رَبّهِمْ يقول تعالى ذكره: والملائكة يصلون بطاعة ربهم وشكرهم له من هيبة جلاله وعظمته, كما:

23633ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبـي, قـال: ثنـي عمـي, قـال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن ابـن عبـاس وَالمَلائِكَـةُ يَسَـبّحُونَ بِحَمْـدِ رَبّهِـمْ قـال: الملائكة يسبحون له من عظمته.

وقوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأرْضِ يقول: ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان به, كما:

23634ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأرْضِ قال: للمؤمنين. يقول الله عزّ وجـلّ: ألا إن الله هو الغفـور لـذنوب مـؤمني عبـاده, الرحيـم بهـم أن يعـاقبهم بعـد توبتهم منها.

الآية : 6

القول فـي تأويـل قوله تعالى:

وَالّذِينَ اتّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ اللّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وَالّذِينَ اتّخَذُوا يا محمد من مشركي قومك مِنْ دُونِهِ اللّهِ آلهة يتولونها ويعبدونها اللّـهُ حَفِيـظٌ عَلَيْهِـمْ يُحْصِي عليهم أفعالهم, ويحفظ أعمالهم, ليجازيهم بها يوم القيامـة جزاءهـم وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ يقول: ولسـت أنـت يـا محمـد بالوكيـل عليهـم بحفـظ أعمالهم, وإنما أنت منذر, فبلغهم مـا أرسـلت بـه إليهـم, فإنمـا عليـك البلاغ وعلينا الحساب.

الآية : 7

القول فـي تأويـل قوله تعالى:

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لّتُنذِرَ أُمّ الْقُرَىَ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنّةِ وَفَرِيقٌ فِي السّعِيرِ

يقول تعالى ذكره: وهكذا أَوْحَيْنا إلَيْكَ يا محمد قُرْآنا عَرَبِيّا بلسان العرب, لأن الذين أرسلتك إليهم قـوم عـرب, فأوحينـا إليـك هـذا القـرآن بألسـنتهم, ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره, لأنا لا نرسـل رسـولاً إلا بلسـان قـومه, ليبين لهم لِتُنْذِرَ أُمّ القُرَى وهي مكة وَمَنْ حَوْلَهَا يقول: ومـن حـول أمّ القـرى

من سائر الناس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23635ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: لِتُنْذِرَ أُمّ القُرَى قال: مكة.
وقوله: وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ يقول عزّ وجلّ: وتنذر عقاب الله في يوم الجمع عباده لموقف الحساب والعرض. وقيل: وتنذر يوم الجمع, والمعنى: وتنذرهم يوم الجمع, كما قيل: يخوّف أولياءه, والمعنى: يخوّفكم أولياءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23636ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ قال: يوم القِيامَةِ.
وقوله: لا رَيْبَ فِيهِ يقول: لا شكّ فيه.
وقوله: فَرِيقٌ فِي الجَنّة وَفَرِيقٌ فِي السّعِيرِ يقول: منهم فريق في الجنة, وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله صلى الله عليه وسلم وَفَرِيقٌ فِي السّعِيرِ يقول: ومنهم فريق في الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها, وهم الذين كفروا بالله, وخالفوا ما جاءهم به رسوله. وقد:
حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, عن أبي قبيل المعافريّ, عن شفيّ الأصبحيّ, عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان, فقال: «هَلْ تَدْرُونَ ما هَذَا؟» فقلنا: لا, إلا أن تخبرنا يا رسول الله, قال: «هَذَا كِتابٌ مِنْ رَبّ العالَمِينَ, فِيهِ أسْماءُ أهْلِ الجَنّةِ, وأسماءُ آبائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ», ثُمّ أُجْمِلَ, على آخِرِهِم, «فَلا يُزادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أبَداً, وَهَذَا كِتابُ أهْلِ النّارِ بِأسْمائِهِمْ وأسْماءِ آبائِهِمْ», ثُمّ أُجْمِلَ على آخِرِهِم, «فَلا يُزَادُ وَلا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أبَداً», قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ففيم إذن نعمل إن كان هذا أمر قد فُرغ منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَلْ سَدّدُوا وَقارِبُوا, فإنّ صَاحِبَ الجَنّةِ يُخْتمُ لَهُ بعَمَلِ الجَنّةِ وَإنْ عَمِلَ أيّ عَمَلٍ, وَصَاحِبُ النّارِ يُخْتَمُ لَه بعَمَلِ النّارِ وَإنْ عَمِلَ أيّ عَمَلٍ, فَرَغَ رَبّكُمْ مِنَ العِبادِ» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما: «فَرَغ رَبّكُمْ مِنَ الخَلْقِ, فَرِيقٌ فِي الجَنّةِ, وَفَرِيقٌ فِي السّعِيرِ» قالوا: سبحان الله, فلم نعمل وننصب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العَمَلُ إلى خَوَاتِمِهِ».
23637ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحرث وحيوة بن شريح, عن يحيى بن أبي أسيد, أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: إن الله تعالى ذكره لما خلق آدم نفضه نفض المزود, فأخرج منه كلّ ذرية, فخرج أمثال النغف, فقبضهم قبضتين, ثم قال: شقي وسعيد, ثم ألقاهما, ثم قبضهما فقال: فَرِيقٌ فِي الجَنّةِ وَفَرِيقٌ فِي السّعِيرِ.
23638ـ قال: أخبرني عمرو بن الحرث, عن أبي شُبّويه, حدثه عن ابن حجيرة أنه بلغه أن موسى قال: يا ربّ خلقك الذين خلقتهم, جعلت منهم فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير, لوما أدخلتهم كلهم الجنة قال: يا موسى ارفع زرعك, فرفع, قال: قد رفعت, قال: ارفع, فرفع, فلم يترك شيئاً, قال: يا ربّ قد رفعت, قال: ارفع, قال: قد رفعت إلا ما لا خير فيه, قال: كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه. وقيل: فَرِيقٌ فِي الجَنّةِ

وَفَرِيقٌ فِي السّعِيرِ فرفع, وقد تقدّم الكلام قبل ذلك بقوله: لِتُنْـذِرَ أُمّ القُـرَى وَمَنْ حَوْلَهَا بالنصب, لأنه أريد به الابتداء, كما يقال: رأيت العسكر مقتـول أو منهزم, بمعنى: منهم مقتول, ومنهم منهزم.

الآية : 8

القول فـي تأويـل قوله تعالى:
وَلَوْ شَآءَ اللّـهُ لَجَعَلَهُـمْ أُمّـةً وَاحِـدَةً وَلَـكِن يُـدْخِلُ مَـن يَشَـآءُ فِـي رَحْمَتِـهِ وَالظّالِمُونَ مَا لَهُمْ مّن وَلِيّ وَلاَ نَصِيرٍ
يقول تعالى ذكره: ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى, ويجعلهم على ملة واحدة لفعل, ولجعلهـم أمـة واحـدة يقـول: أهـل ملـة واحـدة, وجماعـة مجتمعة على دين واحد وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِـي رَحْمَتِـهِ يقـول: لـم يفعـل ذلك فيجعلهم أمة واحدة, ولكن يُدخل من يشاء, من عباده في رحمته, يعني أنه يُدخله في رحمته بتوفيقه إيـاه للـدخول فـي دينـه, الـذي ابتعـث بـه نـبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وَالظّالِمُونَ ما لَهُـمْ مِـنْ وَلِـيّ وَلا نَصِـيرٍ يقـول: والكافرون بالله ما لهم من وليّ يتولاهم يوم القيامة, ولا نصير ينصرهم مـن عقاب الله حين يعاقبهم, فينقذهم مـن عـذابه, ويقتـصّ لهـم ممـن عـاقبهم, وإنما قيل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له عما كان يناله من الهمّ بتولية قومه عنه, وأمراً له بترك إدخال المكروه علـى نفسـه مـن أجـل إدبار من أدبر عنه منهم, فلم يستجب لما دعاه إليه من الحقّ, وإعلاماً له أن أمور عباده بيده, وأنه الهادي إلى الحقّ مـن شـاء, والمضـلّ مـن أراد دونـه, ودون كلّ أحد سواه.

الآية : 9-10

القول فـي تأويـل قولهِ تعالى:
أَمِ اتّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ فَاللّهُ هُوَ الْوَلِيّ وَهُوَ يُحْيِـي الْمَوْتَىَ وَهُوَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُـهُ إِلَـى اللّـهِ ذَلِكُـمُ اللّـهُ رَبّـي عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ
يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بـالله أوليـاء مـن دون اللـه يتولونهم فاللّهُ هُوَ الوَلِيّ يقول: فالله هو وليّ أوليائه, وإيـاه فليتخـذوا ولي اً لا الآلهة والأوثان, ولا ما لا يملك لهمّ ضرّاً ولا نفعـاً, وَهُـوَ يُحْـي المَـوْتَى يقـول: والله يحيى الموتى من بعد مماتهم, فيحشرهم يـوم القيامـة وَهُـوَ علـى كُـلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول: والله القادر على إحياء خلقه من بعـد ممـاتهم وعلـى غيـر ذلك, إنه ذو قدرة على كلّ شيء.
وقوله: وَما اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إلى اللّهِ يقول تعالى ذكره: وما اختلفتم أيها الناس فيه من شيء فتنازعتم بينكم, فحكمه إلـى اللـه. يقـول: فإن الله هو الذي يقضي بينكم ويفصل فيه الحكم. كما.
23639ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَما اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إلى اللّهِ قال ابن عمرو في حديثه: فهو يحكم فيه, وقال الحارث: فالله يحكم فيه.
وقوله: ذَلِكُمْ اللّهُ رَبّي عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: قـل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذي هذه الصفات صـفاته ربـي, لا آلهتكـم الـتي

تدعون من دونه, التي لا تقدر على شيء عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ في أموري, وإليه فوّضت أسبابي, وبه وثقت وَإِلَيْهِ أُنِيبُ يقول: وإليه أرجع في أموري وأتوب من ذنوبي.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى:
فَاطِرُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ جَعَلَ لَكُم مّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأنْعَامِ أَزْواجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السّمِيعُ الْبَصِيرُ
يقول تعالى ذكره: فَاطِرُ السّمَواتِ وَالأَرْضِ, خالق السموات السبع والأرض. كما:
23640ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: فاطِرُ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: خالق.
وقوله: جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجاً يقول تعالى ذكره: زوّجكم ربكم من أنفسكم أزواجاً. وإنما قال جلّ ثناؤه: مِنْ أنْفُسِكُمْ لأنه خلق حوّاء من ضلع آدم, فهو من الرجال. وَمِنَ الأنْعامِ أزْوَاجاً يقول جلّ ثناؤه: وجعل لكم من الأنعام أزواجاً من الضأن اثنين, ومن المعز اثنين, ومن الإبل اثنين, ومن البقر اثنين, ذكوراً وإناثاً, وم ن ك ل جنس م ن ذلك يَذْرَؤُكُم فِيهِ: يقول: يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم, ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام.
وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ في هذا الموضع, فقال بعضهم: معنى ذلك: يخلقكم فيه. ذكر من قال ذلك:
23641ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ قال: نسل بعد نسل من الناس والأنعام.
23642ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: يَذْرَؤُكُمْ قال: يخلقكم.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزّة, عن مجاهد, في قوله: يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ قال: نسلاً بعد نسل من الناس والأنعام.
23643ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, أنه قال في هذه الآية: يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ قال: يخلقكم.
وقال آخرون: بل معناه: يعيشكم فيه. ذكر من قال ذلك:
23644ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجاً وَمِنَ الأنْعام أزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ يقول: يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها.
23645ـحدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ قال: يعيشكم فيه.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ قال: عيش من الله يعيشكم فيه.
وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائليهما فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد, وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه, أراد بقوله ذلك: يحييكم بعيشكم به كما يحيى من لم يخلق بتكوينه إياه, ونفخه الروح فيه

حتى يعيش حياً. وقد بيّنت معنى ذرء الله الخلق فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادته.

وقوله: لَيْس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فيه وجهان: أحدهما أن يكون معناه: ليس هو كشيء, وأدخل المثل في الكلام توكيداً للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف, وهما بمعنى واحد, كما قيل:

ما إنْ نَدِيتُ بشَيْءٍ أنْتَ تَكْرَهُهُ

فأدخل على «ما» وهي حرف جحد «إن» وهي أيضاً حرف جحد, لاختلاف اللفظ بهما, وإن اتفق معناهما توكيداً للكلام, وكما قال أوس بن حَجَر:

وَقَتْلَى كمِثْلِ جُذوعِ نّخيلْتَغَشّاهُمْ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ

ومعنى ذلك: كجذوع النخيل, وكما قال الآخر:

سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ إذَا أبْصَرْتَ فَضْلَهُمُما إنْ كمِثْلِهِمِ فِي النّاسِ مِنَ أحَدِ

والآخر: أن يكون معناه: ليس مثل شيء, وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام, كقول الراجز:

وَصَالِياتِ ككَما يُؤْثَفَيْنِ

فأدخل على الكاف كافاً توكيداً للتشبيه, وكما قال الآخر:

تَنْفِي الغَيادِيقُ عَلى الطّرِيقِقَلّصَ عَنْ كَبَيْضَةٍ فِي نِيقِ فأدخل الكاف مع «عن», وقد بيّنا هذا في موضع غير هذا المكان بشرح هو أبلغ من هذا الشرح, فلذلك تجوّزنا في البيان عنه في هذا الموضع. وقوله: وَهُوَ السّمِيعُ البَصِيرُ يقول جلّ ثناؤه واصفاً نفسه بما هو به, وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به من خلقه قول, البصير لأعمالهم, لا يخفى عليه من ذلك شيء, ولا يعزب عنه علم شيء منه, وهو محيط بجميعه, محصٍ صغيره وكبيره لِيَجْزِيَ كُلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ من خير أو شرّ.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى:

لَهُ مَقَالِيدُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

يعني تعالى ذكره بقوله: لَهُ مَقالِيدُ السّمَوَاتِ والأرْضِ: له مفاتيح خزائن السموات والأرض وبيده مغاليق الخير والشرّ ومفاتيحها, فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها, وما يمسك فلا مرسل له من بعده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23646ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد لَهُ مَقالِيدُ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: مفاتيح بالفارسية.

23647ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة لَهُ مَقالِيدُ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: مفاتيح السموات والأرض. وعن الحسن بمثل ذلك.

23648ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ لَهُ مَقاليدُ السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: خزائن السموات والأرض.

وقوله: يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ يقول: يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه, ويبسط له, ويكثر ماله ويغنيه. ويقدر: يقول: ويقتر على من يشاء منهم فيضيقه ويفقره إنّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يقول: إن الله تبارك وتعالى

بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع, وتقتيره على من يقتر, ومن الـذي يصلحه البسط عليه في الرزق, ويفسده م ن خلقـه, والـذي يُصـلحه التقـتير عليه ويفسده, وغير ذلك من الأمور, ذو علـم لا يخفـى عليـه موضـع البسـط والتقتير وغيره, من صـلاح تـدبير خلقـه. يقـول تعـالى ذكـره: فـإلى مـن لـه مقاليد السموات والأرض الذي صفته ما وصـفت لكـم فـي هـذه الآيـات أيهـا الناس فارغبوا, وإياه فاعبدوا مخلصين له الدين لا الأوثان والآلهـة والأصـنام, التي لا تملك لكم ضرّاً ولا نفعاً.

الآية : 13

القول فـي تأويـل قوله تعالى:

{شَرَعَ لَكُم مّنَ الدّينِ مَا وَصّىَ بِهِ نُوحاً وَالّذِيَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْـكَ وَمَـا وَصّـيْنَا بِـهِ إِبْرَاهِيـمَ وَمُوسَـىَ وَعِيسَـىَ أَنْ أَقِيمُـواْ الـدّينَ وَلاَ تَتَفَرّقُـواْ فِيـهِ كَبُـرَ عَلَـى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللّهُ يَجْتَبِيَ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيَ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }

يقولَ تعالى ذكره: شَرَعَ لَكُمْ ربكم أيها الناس مِنَ الدّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً أن يعمله وَالّذِي أوْحَيْنا إلَيْكَ يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وشـرع لكم من الدين الذي أوحينا إليك يا محمد, فأمرناك به وَما وَصّـيْنا بِـهِ إبْرَاهِيـمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أنْ أقِيمُوا الدّينَ يقـول: شـرع لكـم مـن الـدين, أن أقيمـوا الدين «فأن» إذ كان ذلك معنى الكلام, في موضع نصب علـى الترجمـة بهـا عن «ما» التي في قوله: مـا وَصّـى بِـهِ نُوحـاً. ويجـوز أن تكـون فـي موضـع خفض ردّاً على الهاء التي في قوله: بِهِ, وتفسيراً عنها, فيكون معنـى الكلام حينئذٍ: شرع لكم من الدين ما وصى بـه نوحـاً, أن أقيمـوا الـدين ولا تتفرّقـوا فيه. وجائز أن تكون في موضع رفـ ع علـى الاسـتئناف, فيكـون معنـى الكلام حينئذٍ: شرع لكم من الدين ما وصى به, وهو أن أقيموا الدين. وإذ كان معنى الكلام ما وصفت, فمعلـوم أن الـذي أوصـى بـه جميـع هـؤلاء الأنبيـاء وصـية واحدة, وهي إقامة الدين الحق, ولا تتفرّقوا فيه. وبنحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23649ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عـن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: ما وَصّى بِهِ نُوحاً قال: ما أوصاك به وأنبيـائه, كلهـم دين واحد.

23650ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً قال: هو الدين كله.

23651ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً بعث نوح حين بعـث بالشـريعة بتحليـل الحلال, وتحريم الحرام وَما وَصّيْنا بِهِ إبْرَاهِيمَ وَموسَى وَعِيسَى.

حدثنا محمد , قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً قال: الحلال والحرام.

23652ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدّين ما وَصّى بِهِ نُوحاً... إلى آخر الآية, قال: حسبك ما قيل لك.

وعنى بقوله: أنْ أقِيمُوا الدّينَ أن اعملوا به على ما شرع لكم وفرض, كما قد بينا فيما مضى قبل في قوله: أقِيمُوا الصّلاة. وبنحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23653ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: أنْ أقِيمُوا الدّينَ قال: اعملوا به.

وقوله: وَلا تَتَفَرّقُوا فِيهِ يقول: ولا تختلفوا في الدين الذي أُمِرتُم بالقيام به, كما اختلف الأحزاب من قبلكم. كما:

23654ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا تَتَفَرّقُوا فِيهِ تعلّموا أن الفرقة هلكة, وأن الجماعة ثقة.

وقوله: كَبُرَ على المُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إلَيْهِ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله, وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23655ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة كَبُرَ على المُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إلَيْهِ قال: أنكرها المشركون, وكبر عليهم شهادة أن لا إله إلا الله, فصادمها إبليس وجنوده, فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها.

وقوله: اللّهُ يَجْتَبي إلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيهْدِي إلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ يقول: الله يصطفي إليه من يشاء من خلقه, ويختار لنفسه, وولايته من أحبّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23656ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: اللّهُ يَجْتَبِي إلَيْهِ مَنْ يَشاءُ, وَيَهْدِي إلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ يقول: ويوفق للعمل بطاعته, واتباع ما بعث به نبيه عليه الصلاة والسلام من الحقّ من أقبل إلى طاعته, وراجع التوبة من معاصيه. كما:

23657ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَيَهْدِي إلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ: من يقبل إلى طاعة الله.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَمَا تَفَرّقُوَاْ إِلاّ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رّبّكَ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّى لّقُضِيَ بِيْنَهُمْ وَإِنّ الّذِينَ أُورِثُواْ الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكّ مّنْهُ مُرِيبٍ }

يقول تعالى ذكره: وما تفرّق المشركون بالله في أديانهم فصاروا أحزاباً, إلا من بعد ما جاءهم العلم, بأن الذي أمرهم الله به, وبعث به نوحاً, هو إقامة الدين الحقّ, وأن لا تتفرّقوا فيه.

23658ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَما تَفَرّقُوا إلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ فقال: إياكم والفرْقة فإنها هَلكة بَغْياً بَيْنَهُمْ يقول: بغياً من بعضكم على بعض وحسداً وعداوة على طلب الدنيا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبّكَ إلى أجَلٍ مُسَمّى يقول جلّ ثناؤه: ولولا قول

سبق يا محمد من ربك لا يعاجلهم بالعذاب, ولكنه أخر ذلك إلى أجل مسمى, وذلك الأجل المسمى فيما ذُكر: يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:
23659ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبّكْ إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: يوم القيامة.
وقوله: لقضي بينهم يقول: لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين في الحقّ الذي بعث به نبيه نوحاً من بعد علمهم به, بإهلاكه أهل الباطل منهم, وإظهاره أهل الحق عليهم.
وقوله: وإنّ الّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِنْ بَعْدَهِمْ يقول: وإن الذين أتاهم الله من بعد هؤلاء المختلفين في الحقّ كتابه التوراة والإنجيل لَفِي شَكْ مِنْهُ مُرِيبٌ يقول: لفي شكّ من الدين الذين وصّى الله به نوحاً, وأوحاه إليك يا محمد, وأمركما بإقامته مريب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: وَإنّ الّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23660ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: وَإنّ الّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ قال: اليهود والنصارى.
القول في تأويل قوله تعالى:
{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلاَ تَتّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللّهُ رَبّنَا وَرَبّكُمْ لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ }
يقول تعالى ذكره: فإلى ذلك الدين الذي شَرَع لكم, ووصّى به نوحاً, وأوحاه إليك يا محمد, فادع عباد الله, واستقم على العمل به, ولا تَزِغ عنه, واثبتْ عليه كما أمرك ربك بالاستقامة. وقيل: فلذلك فادع, والمعنى: فإلى ذلك, فوضعت اللام موضع إلى, كما قيل: بأنّ رَبّكَ أوْحَى لَهَا. وقد بيّنا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا.
وكان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك, في قوله: فَلِذَلكَ فادْعُ إلى معنى هذا, ويقول: معنى الكلام: فإلى هذا القرآن فادع واستقم. والذي قال من هذا القول قريب المعنى مما قلناه, غير أن الذي قلنا في ذلك أولى بتأويل الكلام, لأنه في سياق خبر الله جلّ ثناؤه عما شرع لكم من الدين لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بإقامته, ولم يأت من الكلام ما يدلّ على انصرافه عنه إلى غيره.
وقوله: وَلا تَتّبِعْ أهْوَاءَهُم يقول تعالى ذكره: ولا تتبع يا محمد أهواء الذين شكّوا في الحقّ الذي شرعه الله لكم من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم, فتشك فيه, كالذي شكوا فيه وقُلْ آمَنْتُ بِمَا أنْزَلَ اللّهُ مِنْ كِتابٍ يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: صدّقتُ بما أنزل الله من كتاب كائناً ما كان ذلك الكتاب, توراة كان أو أنجيلاً أو زبوراً أو صحف إبراهيم, لا أكذّب بشيء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب, وتصديقكم ببعض.
وقوله: وأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللّهُ رَبّنا وَرَبّكُمْ يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب, فأسير فيكم جميعاً بالحقّ الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه. كالذي:
23661ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأُمِرْتُ لأعْدِلَ بَيْنَكُمْ قال: أمر نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن يعدل, فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه. والعدل ميزان الله في الأرض,

به يأخذ للمظلوم من الظالم, وللضعيف م ن الشـديد, وبالعـدل يصـدّق اللـه الصادق, ويكذّب الكاذب, وبالعدل يردّ المعتدي ويوبخه.
ذُكِر لنا أن نبيّ الله داود عليه السلام: كان يقول: ثلاث من كنّ فيه أعجبني جداً: القصد في الفاقة والغنى, والعدل في الرضا والغضـب, والخشـية فـي السرّ والعلانية وثلاث من كنّ فيه أهلكته: شحّ مطاع, وهوىً متبـع, وإعجـاب المرء بنفسه. وأربع من أُعطِيَهُنّ فقد أُعطي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر, وقلب شاكر, وبدن صابر, وزوجة مؤمنة.
واختلف أهل العربية في معنى اللام التي في قوله: وأُمِرْتُ لأعْـدِلَ بَيْنَكُـمْ فقال بعض نحويي البصـرة: معناهـا: كـي, وأمـرت كـي أعـدل وقـال غيـره: معنى الكلام: وأمرت بالعدل, والأمر واقع على ما بعده, وليسـت اللام الـتي في لأعدل بشرط قال: وأُمِرْتُ تقع على «أن» وعلـى «كـي» واللام أمـرت أن أعبد, وكي أعبد, ولأعبد. قال: وكذلك كلّ ما طالب الاستقبال, ففيه هذه الأوجه الثلاثة.
والصواب من القول في ذلك عندي أن الأمر عامل في معنى لأعـدل, لأن معناه: وأمرت بالعدل بينكم.
وقوله: اللَّهُ رَبّنا وَرَبّكُمْ يقول: الله مالكنا ومالككم معشر الأحزاب من أهل الكتابين التـوراة والإنجيـل لنَـا أعمالُنـا ولَكُـمْ أعمـالُكُمْ يقـول: لنـا ثـواب مـا اكتسبناه من الأعمال, ولكم ثواب ما اكتسبتم منها.
وقوله: لا حُجّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يقول: لا خصومة بيننا وبينكم. كما:
23662ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال حدثنا ورقاء جميعاً, عـن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله: لا حُجّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ قال: لا خصومة.
23663ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله عزّ وجلّ: لا حُجّةَ بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ: لا خصومة بيننا وبينكـم, وقـرأ: وَلا تُجـادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاّ بالتي هِيَ أحْسَنُ... إلى آخر الآية.
وقوله: اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا يقول: الله يجمع بيننـا يـوم القيامـة, فيقضـي بيننـا بالحقّ فيما اختلفنا فيه وإلَيْهِ المَصِيرُ يقول: وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا.

الآية : 15

!!!========== غير موجودة فى الأصل
==========!!!

الآية : 16

القول فـي تأويـل قوله تعالى:
{وَالّذِينَ يُحَآجّونَ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ }
يقول تعالى ذكره: والذين يخاصمون في دين الله الـذي ابتعـث بـه نـبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من بعد ما استجاب له الناس, فدخلوا فيه مـن الذين أورثوا الكتاب حُجّتُهُمْ داحِضَةٌ يقـول: خصـومتهم الـتي يخاصـمون فيـه باطلة ذاهبة عند ربهم وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ يقول: وعليهم مـن اللـه غضـب, ولهـم في الآخرة عذاب شديد, وهو عذاب النار.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود خاصموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في دينهم, وطمعوا أن يصدّوهم عنه, ويردّوهم عن الإسلام إلى الكفر. ذكر الرواية عمن ذكر ذلك عنه:

23664ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ يُحاجّونَ فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبّهِمْ, وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ, ولَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ قال: هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين, ويصدّونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله. وقال: هم أهل الضلالة كان استجيب لهم على ضلالتهم, وهم يتربصون بأن تأتيهم الجاهلية.

23665ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَالّذِينَ يُحاجّونَ في اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ قال: طمع رجال بأن تعود الجاهلية.

23666ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, عن مجاهد, أنه قال في هذه الآية وَالّذِينَ يُحاجّونَ فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتَجيبَ لَهُ قال: بعد ما دخل الناس في الإسلام.

23667ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَالّذِينَ يُحاجّونَ في الله مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبّهِمْ قال: هم اليهود والنصارى, قالوا: كتابنا قبل كتابكم, ونبينا قبل نبيكم, ونحن خير منكم.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَالّذِينَ يُحاجّونَ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ ما اسْتَجِيبَ لَهُ حُجّتُهُمْ داحِضَةٌ... الآية, قال: هم اليهود والنصارى حاجوا أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, فقالوا: كتابنا قبل كتابكم, ونبينا قبل نبيكم, ونحن أولى بالله منكم.

23668ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالّذِينَ يُحاجُونَ فِي اللّهِ... إلى آخر الآية, قال: نهاه عن الخصومة.

الآية : 17-18

القول في تأويل قوله تعالى:

{اللّهُ الّذِيَ أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلّ السّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالّذِينَ آمَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنّهَا الْحَقّ أَلاَ إِنّ الّذِينَ يُمَارُونَ فَي السّاعَةِ لَفِي ضَلاَلَ بَعِيدٍ }

يقول تعالى ذكره: اللّهُ الّذِي أنْزَلَ هذا الكِتابَ يعني القرآن بالحَقّ والمِيزَانِ يقول: وأنزل الميزان وهو العدل, ليقضي بين الناس بالإنصاف, ويحكم فيهم بحكم الله الذي أمر به في كتابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23669ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنا الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أنْزَلَ الكِتابَ بالحَقّ والمِيزَانَ قال: العدل.

23670ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: الّذِي أنْزَلَ الكِتابَ بالحَقّ والمِيزَان قال: الميزان: العدل.

وقوله: وَما يُدْرِيكَ لَعَلّ السّاعَةَ قَرِيبٌ يقول تعالى ذكره: وأيّ شيء يدريك ويعلمك, لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب, يَسْتَعْجِلُ بِهَا الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها: يقول: يستعجلك يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها, ظناً منهم أنها غير جائية وَالّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا يقول: والذين صدّقوا بمجيئها, ووعد الله إياهم الحشر فيها, مشفقون منها: يقول: وَجِلون من مجيئها, خائفون من قيامها, لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها وَيَعْلَمُونَ أنّها الحَقّ يقول: ويوقنون أن مجيئها الحقّ اليقين, لا يمترون في مجيئها أَلاَ إنّ الّذِينَ يُمارُونَ فِي السّاعَةِ يقول تعالى ذكره: ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة ويجادلون فيه لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ يقول: لفي جَور عن طريق الهدى, وزيغ عن سبيل الحقّ والرشاد, بعيد من الصواب.

الآية : 19-20

القول في تأويل قوله تعالى:
{اللّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْقَوِيّ الْعَزِيزُ * مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الاَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدَّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الاَخِرَةِ مِن نّصِيبٍ }
يقول تعالى ذكره: الله ذو لطف بعباده, يرزق من يشاء فيوسع عليه ويقتر على من يشاء منهم وَهُوَ القَوِيّ الذي لا يغلبه ذو أيدٍ لشدّته, ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته العَزِيزُ في انتقامه إذا انتقم من أهل معاصيه مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه: يقول: نزد له في عمله الحسن, فنجعل له بالواحدة عشراً, إلى ما شاء ربنا من الزيادة وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها يقول: ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لا لِلآخرة, نؤته منها ما قسمنا له منها وما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ يقول: وليس لمن طلب بعمله الدنيا, ولم يرد الله به في ثواب الله لأهل الأعمال التي أرادوه بأعمالهم في الدنيا حظٌّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23671ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ... إلى وَما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ قال: يقول: من كان إنما يعمل للدنيا نؤته منها.
23672ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ له فِي حَرْثِهِ, وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدّنْيا... الآية, يقول: من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيباً في الآخرة إلا النار, ولم نزده بذلك من الدنيا شيئاً إلا رزقاً قد فرغ منه وقسم له.
23673ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ قال: من كان يريد الآخرة وعملها نزد له في عمله وَمنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها... إلى آخر الآية, قال: من أراد الدنيا وعملها آتيناه منها, ولم نجعل له في الآخرة من نصيب الحرث العمل, من عمل للآخرة أعطاه الله, ومن عمل للدنيا أعطاه الله.

23674ـ حدثني محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: مَنْ كانَ يُرِدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ قال: من كان يريد عمل الآخرة نزد له في عمله.
وقوله: وَما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ قال: للكافر عذاب أليم.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى:
{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُواْ لَهُمْ مّنَ الدّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللّهُ وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنّ الظّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }
يقول تعالى ذكره أم لهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللّهُ يقول: ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبح الله لهم ابتداعه وَلَوْلا كَلِمَةُ الفَصلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ يقول تعالى ذكره: ولولا السابق من الله في أنه لا يعجل لهم العذاب في الدنيا, وأنه مضى من قيله إنهم مؤخرون بالعقوبة إلى قيام الساعة, لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيله العذاب لهم في الدنيا, ولكن لهم في الآخرة من العذاب الأليم, كما قال جلّ ثناؤه: وَإنّ الظّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم مُوجِع.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {تَرَى الظّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنّاتِ لَهُمْ مّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة مُشْفِقِينَ مِمّا كَسَبُوا يقول: وَجِلِين خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمالهم الخبيثة. وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ يقول: والذين هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم, وهم ذائقوه لا محالة.
وقوله: وَالّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنّاتِ يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى في الدنيا في روضات البساتين في الآخرة. ويعني بالروضات: جمع روضة, وهي المكان الذي يكثر نبته, ولا تقول العرب لمواضع الأشجار رياض ومنه قول أبي النجم.
والنّغضَ مِثْلَ الأجْرَبِ المُدّجِّلِحَدَائِقَ الرّوْضِ التي لَمْ تُحْلَلِ
يعني بالروض: جمع روضة. وإنما عنى جَلّ ثناؤه بذلك: الخبر عما هم فيه من السرور والنعيم. كما:
23675ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: وَالّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنّاتِ إلى آخر الآية. قال في رياض الجنة ونعيمها.
وقوله: لَهُمْ ما يَشاءُونَ عِنْدَ رَبّهِمْ يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم في الآخرة ما تشتهيه أنفسهم, وتلذّه أعينهم, ذلك هو الفضل الكبير, يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعطاهم الله من هذا النعيم, وهذه الكرامة في الآخرة: هو الفضل من الله عليهم, الكبير الذي يفضل كلّ نعيم وكرامة في الدنيا من بعض أهلها على بعض.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ الّذِي يُبَشّرُ اللّهُ عِبَادَهُ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ قُل لاّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَىَ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنّ اللّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ }.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس أني أعددته للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة من النعيم والكرامة, البشرى التي يبشر الله عباده الذين آمنوا به في الدنيا, وعملوا بطاعته فيها قُلْ لا أسألُكمْ عَلَيْهِ أجْرا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للذين يمارونك في الساعة من مشركي قومك: لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحقّ الذي جئتكم به, والنصيحة التي أنصحكم ثوابا وجزاءً, وعوضا من أموالكم تعطونَنِيه إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبى.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبى فقال بعضهم: معناه: إلا أن تودّوني في قرابتي منكم, وتصلوا رحمي بيني وبينكم. ذكر من قال ذلك:

23676ـ حدثنا أبو كريب ويعقوب, قالا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم, عن داود بن أبي هند, عن الشعبي, عن ابن عباس, في قوله: لا أسألُكمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى قال: لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم إلا قرابة, فقال: «قُل لا أسألكم عليه أجرا أن تودّوني في القرابة التي بيني وبينكم».

23677ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو أسامة, قال: حدثنا شعبة, عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس, في قوله: قُلْ لا أسألُكمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى قال: سئل عنها ابن عباس, فقال ابن جبير: هم قربى آل محمد, فقال ابن عباس: عجلتَ, إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة, قال: فنزلت قُلْ لا أسألُكمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبى قال: «إلا القرابة التي بيني وبينكم أن تصلوها».

23678ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة في جميع قريش, فلما كذّبوه وأبَوْا أن يبايعوه قال: «يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظي ونُصرتي منكم».

23679ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى يعني محمدا صلى الله عليه وسلم, قال لقريش: «لا أسألكم من أموالكم شيئا, ولكن أسألكم أن لا تؤذوني لقرابة ما بيني وبينكم, فإنكم قومي وأحقّ من أطاعني وأجابني».

23680ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن عكرمة, قال: إن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان واسطا من قريش, كان له في كلّ بطن من قريش نسب, فقال: «لا أسألُكُمْ على ما أدْعُوكُمْ إلَيْهِ إلاّ أنْ تَحْفَظُوني في قَرَابَتِي, قُل لا أسألُكُمْ عَلَيْه أجْرا إلاّ المَوَدّةَ في القُرّبَى».

23681ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن أبي مالك, قال: فقال الله عزّ وجلّ: قُلْ لا أسألُكُم عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى: «إلا أن تودّوني لقرابتي منكم وتحفظوني».

23682ـ حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حـدثنا عبـثر, قال: حدثنا حصين, عن أبي مالك في هذه الآية: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْـرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى قال: كان رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم مـن بنـي هاشم وأمه من بني زهرة وأم أبيه من بني مخزوم, فقال: «احفظـوني فـي قرابتي».

23683ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا حرمي, قال: حـدثنا شـعبة, قـال: أخبرني عمارة, عن عكرمة, في قوله: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْـهِ أجْـرا إلاّ المَـوَدّةَ فِي القُرْبَى قال: تعرفون قرابتي, وتصدّقونني بما جئت به, وتمنعوني.

23684ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى وإن اللـه تبـارك وتعـالى أمـر محمدا صلى الله عليه وسلم أن لا يسأل الناس على هذا القرآن أجــرا إلا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة, وكلّ بطون قريش قد ولـدته وبينـه وبينهـم قرابة.

23685ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قـوله: إلاّ المَـوَدّةَ فِـي القُرْبَـى أن تتبعـوني, وتصـدقوني وتصلوا رحمي.

23686ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قـوله: قُـلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى قال لم يكن بطن من بطون قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ولادة, فقال: قل لا أسألكم عليـه أجرا إلا أن تودّوني لقرابتي منكم.

23687ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْـهِ أجْـرا إلاّ المَـودّةَ فِي القُرْبَى يعني قريشا. يقول: إنما أنا رجل منكم, فـأعينوني علـى عـدوّي, واحفظوا قرابتي, وإن الذي جئتكم به لا أسـألكم عليـه أجـرا إلا المـودّة فـي القُربى, أن تودّوني لقرابتي, وتعينوني على عدوي.

23688ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْـرا إلاّ المَـوَدّةَ فِـي القُرْبـى قـال: يقـول: إلا أن تودّوني لقرابتي كما توادّون في قرابتكم وتواصلون بها, ليس هذا الذي جئت به يقطع ذلك عني, فلست أبتغي على الذي جئت بـه أجـرا آخـذه علـى ذلـك منكم.

23689ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب, عن عطاء بن دينار, في قوله: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى يقول: لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا, إلا أن تـودّوني فـي قرابـتي منكم, وتمنعوني من الناس.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عـن معمـر, عـن قتادة, في قوله: قُلْ لا أسألُكمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِـي القُرْبَـى قـال: كـل قريش كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة, فقال: قــل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودّوني بالقرابة التي بيني وبينكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قل لمن تبعك من المؤمنين: لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودّوا قرابتي. ذكر من قال ذلك:

23690ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا إسماعيل بن أبان, قال: حدثنا الصباح بن يحيى المريّ, عن السديّ, عن أبي الديلم قال: لما جيء بعليّ بن الحسين رضي الله عنهما أسيرا, فأقيم على درج دمشق, قام رجل من أهل الشأم فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم, وقطع قربى الفتنة, فقال له عليّ بن الحسين رضي الله عنه: أقرأت القرآن؟ قال: نعم, قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم, قال: ما قرأت قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

23691ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا مالك بن إسماعيل, قال: حدثنا عبد السلام, قال: حدثنا يزيد بن أبي زياد, عن مقسم, عن ابن عباس, قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا, فكأنهم فخروا, فقال ابن عباس, أو العباس, شكّ عبد السلام: لنا الفضل عليكم, فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأتاهم في مجالسهم, فقال: «يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ أَلَمْ تَكُونُوا أذِلّةً فأعَزّكُمُ اللّهُ بِي؟» قالوا: بلى يا رسول الله, قال: «أَلَمْ تَكُونُوا ضُلاّلاً فَهَداكُمُ اللّهُ بِي؟» قالوا: بلى يا رسول الله, قال: «أفَلاَ تُجِيبُونِي؟» قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: «ألا تقولونَ: أَلَمْ يُخْرِجْكَ قَوْمُكَ فآوَيْناكَ, أوَ لَمْ يُكَذّبوكَ فَصَدّقْناكَ, أوَ لَمْ يَخْذُلُوكَ فَنَصَرْناكَ؟» قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب, وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله, قال: فنزلت قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى.

23692ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا مروان, عن يحيى بن كثير, عن أبي العالية, عن سعيد بن جُبير, في قوله: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى قال: هي قُربى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

23693ـ حدثني محمد بن عمارة الأسدي ومحمد بن خلف قالا: حدثنا عبيد الله قال أخبرنا إسرائيل, عن أبي إسحاق قال: سألت عمرو بن شعيب, عن قول الله عزّ وجلّ: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيه أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى قال: قُربى النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتكم به أجرا إلا أن تَوَدّدوا إلى الله, وتتقرّبوا بالعمل الصالح والطاعة. ذكر من قال ذلك:

23694ـ حدثني عليّ بن داود ومحمد بن داود أخوه أيضا قالا: حدثنا عاصم بن علي, قال: حدثنا قزعة بن سويد, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن ابن عباس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «قُلْ لا أسألُكُمْ على ما أتَيْتُكُمْ بِهِ مِنَ البَيّناتِ وَالهُدَى أجْرا إلاّ أنْ تَوَدّدُوا للّهِ, وتَتَقَرّبُوا إلَيْهِ بطاعَتِهِ».

23695ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور بن زاذان, عن الحسن أنه قال في هذه الآية قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْه أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى قال: القُربى إلى الله.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عوف, عن الحسن, في قوله: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى قال: إلا التقرّب إلى الله, والتودّد إليه بالعمل الصالح.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال الحسن: في قوله: قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِ ي القُرْبَى قل لا

أسألكم على ما جئتكم به, وعلى هذا الكتاب أجرا, إلا المودّة في القربى, إلا أن تودّدوا إلى الله بما يقرّبكم إليه, وعمل بطاعته.

23696ـ قال بشر: قال يزيد: وحدثنيه يونس, عن الحسن, حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: قُلْ لا أسـألُكُمْ عَلَيْهِ أجْرا إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبى إلا أن تودّدوا إلى الله فيما يقرّبكم إليه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلا أن تصلوا قرابتكم. ذكر من قال ذلك:

23697ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا قرة, عن عبد اللـه بن القاسم, في قوله: إلاّ المَوَدّةَ فِي القُرْبَى قال: أمرت أن تصل قرابتك.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, وأشبهها بظاهر التنزيل قول مـن قـال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجرا يا معشر قريش, إلا أن تـودّوني فـي قرابـتي منكم, وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم.

وإنما قلت: هذا التأويل أولى بتأويـل الآيـة لـدخول «فـي» فـي قـوله: إلاّ المَوَدَةَ فِي القُرْبَى, ولو كان معنى ذلك على ما قـاله مـن قـال: إلا أن تـودّوا قرابتي, أو تقربـوا إلـى اللـه, لـم يكـن لـدخول «فـي» فـي الكلام فـي هـذا الموضع وجه معروف, ولكـان التنزيـل: إلا مـودّة القربـى إن عُنِيَ بـه الأمـر بمودّة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم, أو إلا المـودّة بـالقُرْبَى, أو ذا القربَى إن عُنِيَ به التودّد والتقـرّب. وفـي دخـول «فـي» فـي الكلام أوضـح الدليل على أن معناه: إلا مودّتي فـي قرابـتي منكـم, وأن الألـف واللام فـي المودّة أدخلتا بدلاً من الإضافة, كما قيل: فَـإنّ الجَنّـةَ هِـيَ المَـأوَى. وقـوله: «إلا» في هذا الموضع استثناء منقطع. ومعنـى الكلام: قـل لا أسـألكم عليـه أجرا, لكن أسألكم المودّة في القُربى, فالمودّة منصوبة على المعنـى الـذي ذكرت. وقد كان بعض نحويي البصرة يقول: هي منصوبة بمضمر من الفعل, بمعنى: إلا أن أذكر مودّة قرابتي.

وقوله: وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْنا يقول تعالى ذكره: ومن يعمل حسنة, وذلك أن يعمل عملاً يطيع الله فيه من المؤمنين نَزِدْ لَـهُ فيهـا حُسْـنا يقول: نضاعف عمله ذلك الحسن, فنجعل لـه مكـان الواحـد عشـرا إلـى مـا شئنا من الجزاء والثواب. وبنحو الذي قلنا في ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكـر من قال ذلك:

23698ـ حدثني محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قول الله عزّ وجلّ: وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً قال: يعمل حسنة.

23699ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْنا قـال: مـن يعمـل خيـرا نـزد لـه. الاقْتراف: العمل.

وقوله: إنّ اللّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ يقـول: إن اللـه غفـور لـذنوب عبـاده, شـكور لحسناتهم وطاعتهم إياه. كما:

23700ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سـعيد, عـن قتـادة: إنّ اللّهَ غَفُورٌ للذنوب شَكُورٌ للحسنات يضاعفها.

23701ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: إنّ اللّهَ غَفُورٌ شَـكُورٌ قـال: غفـر لهـم الـذنوب, وشـكر لهـم نعمـا هـو أعطاهم إياها, وجعلها فيهم.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ كَـذِباً فَـإِن يَشَـإِ اللّهُ يَخْتِمْ عَلَىَ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقّ الْحَقّ بِكَلِمَـاتِهِ إِنّـهُ عَلِيـمٌ بِـذَاتِ الصّدُورِ }.

يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون بالله: افْتَرَى محمد على اللّهِ كَذِبا فجاء بهذا الذي يتلوه علينا اختلاقا من قِبَل نفسه. وقوله: فَإِنْ يَشأِ اللّـهُ يا محمد يطبع على قلبك, فتنس هذا القرآن الـذي أنـزل إليـك. وبنحـو الـذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23702ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة: أمْ يَقُولُونَ افْتَرَى على الله كَذِبا, فإنْ يَشأ اللّهُ يَختِم على قَلْبكَ فينسيك القرآن.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمـر, عـن قتـادة, فـي قوله: فإنْ يَشأ اللّهُ يَخْتمْ على قَلْبكَ قال: إن يشأ الله أنساك ما قد أتاك.

23703ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قول الله عزّ وجلّ: فإنْ يَشأ اللّهُ يَخْتمْ على قَلْبكَ قال: يطبع.

وقوله: ويَمْحُ اللّهُ الباطِلَ يقول: ويذهب الله بالباطل فيمحقه ويُحِقّ الحَقّ بكَلِماتِهِ التي أنزلها إليك يا محمد فيثبته.

وقوله: وَيمْحُ اللّهُ الباطِلَ في موضع رفع بالابتداء, ولكنه حُذفت منه الواو في المصحف, كما حُـذفت مـن قـوله: سَـنَدْعُ الزّبانيَـةَ ومـن قـوله: وَيَـدْعُ الإنْسانُ بالشّرّ وليس بجزم على العطف على يختم.

وقوله: إنّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصّدُورِ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما فـي صدور خلقه, وما تنطوي عليه ضمائرهم, لا يخفى عليه مـن أمـورهم شـيء, يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: لو حدّثت نفسك أن تفتري على الله كـذبا, لطبعت على قلبـك, وأذهبـت الـذي آتيتـك من وحيي, لأنـي أمحـو الباطـل فأذهبه, وأحقّ الحقّ, وإنما هذا إخبـار مـن اللـه الكـافرين بـه, الزاعميـن أن محمدا افترى هذا القرآن من قِبل نفسه, فأخبرهم أنه إن فعل لفعـل بـه مـا أخبر به في هذه الآية.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ السّيّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والله الذي يقبل مراجعة العبد إذا رجع إلى توحيد الله وطاعته من بعد كفره وَيَعْفُـوا عَـنِ السّـيّئاتِ يقـول: ويعفـو أن يعـاقبه علـى سيئاته من الأعمال, وهي معاصيه التي تاب منها وَيَعْلَمُ مـا تَفْعَلُـونَ اختلفـت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة «يَفْعَلُونَ» بالياء, بمعنى: ويعلم ما يفعل عباده, وقرأته عامة قرّاء الكوفة تَفْعَلُونَ بالتـاء علـى وجه الخطاب.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتـان مشـهورتان فـي قَـرَأة الأمصار متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, غير أن الياء أعجـب إليّ, لأن الكلام من قبل ذلك جرى على الخبر, وذلك قوله: وَهُوَ الّـذِي يَقْبَـلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ويعني جلّ ثناؤه بقوله: وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُـونَ ويعلـم ربكـم أيهـا الناس ما تفعلون من خير وشرّ, لا يخفى عليه من ذلك شيء, وهو مجازيكم علـى كـل ذلـك جـزاءه, فـاتقوا اللـه فـي أنفسـكم, واحـذروا أن تركبـوا مـا تستحقون به منه العقوبة.

23704ـ حدثنا تميم بن المنتصر, قال: أخبرنا إسحاق بن يوسف, عن شريك عن إبراهيم بن مهاجر, عن إبراهيم النخعي, عن همام بن الحارث, قال: أتينا عبد الله نسأله عن هذه الآية: وَهُوَ الّذِي يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السّيّئاتِ وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ قال: فوجدنا عنده أناسا أو رجالاً يسألونه عن رجل أصاب من امرأة حراما, ثم تزوّجها, فتلا هذه الآية وَهُوَ الّذِي يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ, وَيَعْفُو عَنِ السّيّئاتِ, وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَسْتَجِيبُ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ }.

يقول تعالى ذكره: ويجيب الذين آمنوا بالله ورسوله, وعملوا بما أمرهم الله به, وانتهوا عما نهاهم عنه لبعضهم دعاء بعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23705ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثام, قال: حدثنا الأعمش, عن شقيق بن سلمة, عن سلمة بن سبرة, قال: خطبنا معاذ, فقال: أنتم المؤمنون, وأنتم أهل الجنة, والله إني لأرجو أن من تصيبون من فارس والروم يدخلون الجنة, ذلك بأن أحدهم إذا عمل لأحدكم العمل قال: أحسنت رحمك الله, أحسنت غفر الله لك, ثم قرأ: وَيَسْتَجِيبُ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

وقوله: وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ يقول تعالى ذكره: ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع إجابته إياهم دعاءهم, وإعطائه إياهم مسألتهم من فضله على مسألتهم إياه, بأن يعطيهم ما لم يسألوه. وقيل: إن ذلك الفضل الذي ضمن جلّ ثناؤه أن يزيدهموه, هو أن يشفعهم في إخوان إخوانهم إذا هم شفعوا في إخوانهم, فشفعوا فيهم. ذكر من قال ذلك:

23706ـ حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابيّ, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, عن سعيد بن بشر, عن قتادة, عن إبراهيم النخعيّ في قول الله عزّ وجلّ: وَيَسْتَجِيبُ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ قال: يُشَفّعون في إخوانهم, ويزدهم من فضله, قال: يشفعون في إخوان إخوانهم.

وقوله: والكافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يقول جلّ ثناؤه: والكافرون بالله لهم يوم القيامة عذاب شديد على كفرهم به.

واختلف أهل العربية في معنى قوله: وَيَسْتَجِيبُ الّذِينَ آمَنُوا فقال بعضهم: أي استجاب فجعلهم هم الفاعلين, فالذين في قوله رفع, والفعل لهم. وتأويل الكلام على هذا المذهب: واستجاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لربهم إلى الإيمان به, والعمل بطاعته إذ دعاهم إلى ذلك.

وقال آخر منهم: بل معنى ذلك: ويجيب الذين آمنوا. وهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما الرفع, بمعنى: ويجيب الله الذين آمنوا. والآخر ما قاله صاحب القول الذي ذكرنا.

وقال بعض نحويي الكوفة: وَيَسْتَجِيبُ الّذِينَ آمَنُوا يكون «الذين» في موضع نصب بمعنى: ويجيب الله الذين آمنوا. وقد جاء في التنزيل: فاسْتَجابَ لَهُمْ رَبّهُمْ والمعنى: فأجاب لهم ربهم, إلا أنك إذا قلت استجاب, أدخلت اللام في المفعول وإذا قلت أجاب حذفت اللام, ويكون استجابهم, بمعنى: استجاب لهم, كما قال جلّ ثناؤه: وَإذَا كالُوهُمْ أوْ وَزَنُوهُمْ والمعنى والله أعلم: وإذا كالوا لهم, أو وزنوا لهم يُخْسِرُونَ. قال: ويكون «الذين»

في موضع رفع إن يجعل الفعل لهم, أي الذين آمنوا يستجيبون لله, ويزيدهم على إجابتهم, والتصديق به من فضله. وقد بيّنا الصواب في ذلك من القول على ما تأوّله ومن ذكرنا قوله فيه.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ اللّهُ الرّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْاْ فِي الأرْضِ وَلَـكِن يُنَزّلُ بِقَدَرٍ مّا يَشَآءُ إِنّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ }.

ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من المسلمين تمنوا سعة الدنيا والغنى, فقال جلّ ثناؤه: ولو بسط الله الرزق لعباده, فوسعه وكثره عندهم لبغوا, فتجاوزوا الحدّ الذي حدّه الله لهم إلى غير الذي حدّه لهم في بلاده بركوبهم في الأرض ما حظره عليهم, ولكنه ينزل رزقهم بقدر لكفايتهم الذي يشاء منه. ذكر من قال ذلك:

23707ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال أبو هانىء: سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفّة وَلَوْ بَسَطَ اللّهُ الرّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الأرْضِ, وَلَكِنْ يُنَزّلُ بقَدَرٍ ما يَشاءُ ذلك بأنهم قالوا: لو أن لنا, فتمنوا.

حدثنا محمد بن سنان القزاز, قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المقري, قال: حدثنا حيوة, قال: أخبرني أبو هانىء, أنه سمع عمرو بن حريث يقول: إنما نزلت هذه الآية, ثم ذكر مثله.

23708ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ولَوْ بَسَطَ اللّهُ الرّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوا فِي الأرْضِ الآية... قال: كان يقال: خير الرزق ما لا يُطغيك ولا يُلهيك.

وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «أخْوَفُ ما أخافُ على أُمّتِي زَهْرَةُ الدّنيْا وكَثْرَتُها». فقال له قائل: يا نبي الله: هل يأتي الخير بالشرّ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هَلْ يَأتِي الخَيْرُ بالشّرّ؟» فأنزل الله عليه عند ذلك, وكان إذا نزل عليه كرب لذلك, وتربّد وجهه, حتى إذا سرّي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «هَلْ يَأتِي الخَيْرُ بالشّرّ» يقولها ثلاثا: «إنّ الخَيْرَ لا يأتِي إلاّ بالخَيْرِ», يقولها ثلاثا. وكان صلى الله عليه وسلم وتر الكلام: «ولكنه والله ما كان ربيع قط إلا أحبط أو ألمّ فأما عبد أعطاه الله مالاً, فوضعه في سبيل الله التي افترض وارتضى, فذلك عبد أريد به خير, وعزم له على الخير, وأما عبد أعطاه الله مالاً فوضعه في شهواته ولذّاته, وعدل عن حقّ الله عليه, فذلك عبد أريد به شرّ, وعزم له على شرّ».

وقوله: إنّهُ بعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ يقول تعالى ذكره: إن الله بما يصلح عباده ويفسدهم من غنى وفقر وسعة وإقتار, وغير ذلك من مصالحهم ومضارّهم, ذو خبرة, وعلم, بصير بتدبيرهم, وصرفهم فيما فيه صلاحهم.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي يُنَزّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيّ الْحَمِيدُ }.

يقول تعالى ذكره: والله الذي ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس مِنْ بَعْدِما قَنَطُوا يقول: من بعد ما يئس من نزوله ومجيئه وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ يقول: وينشر في خلقه رحمته, ويعني بالرحمة: الغيث الذي ينزله من السماء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23709ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أجدبت الأرض, وقنط الناس, قال: مطروا إذن.

23710ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا قال: يئسوا.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قال: ذُكر لنا أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه, فقال: يا أمير المؤمنين قحط المطر, وقنط الناس قال: مطرتم وَهُوَ الّذِي يُنَزّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِما قَنَطُوا, وَيَنْشُرَ رَحْمَتَهُ.

وقوله: وَهُوَ الوَلِيّ الحَميدُ يقول: وهو الذي يليكم بإحسانه وفضله, الحميد بأياديه عندكم, ونعمه عليكم في خلقه.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَثّ فِيهِمَا مِن دَآبّةٍ وَهُوَ عَلَىَ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها الناس أنه القادر على إحيائكم بعد فنائكم, وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم, خلقه السموات والأرض, وما بثّ فيهما من دابة. يعني وما فرّق في السموات والأرض من دابة. كما:

23711ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَما بَثّ فِيهِما مِنْ دَابّةٍ قال: الناس والملائكة وَهُوَ على جَمْعِهِمْ إذَا يَشاءُ قَدِيرٌ يقول: وهو على جمع ما بثّ فيهما من دابة إذا شاء جمعه, ذو قدرة لا يتعذّر عليه, كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه, يقول تعالى ذكره: فكذلك هو القادر على جمع خلقه بحشر يوم القيامة بعد تفرّق أوصالهم في القبور.

الآية : 30-31

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَصَابَكُمْ مّن مّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ * وَمَآ أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأرْضِ وَمَا لَكُمْ مّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيّ وَلاَ نَصِيرٍ }.

يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهليكم وأموالكم فَبِما كَسَبَتْ أيْدِيكُمْ يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم, فلا يعاقبكم بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23712ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا أيوب, قال: قرأت في كتاب أبي قلابة, قال: نزلت: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرّةٍ خَيْرا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرّةٍ شَرا يَرَهُ وأبو بكر رضي الله عنه يأكل, فأمسك فقال: يا رسول الله إني لراءٍ ما عملت من خير أو شر؟ فقال: «أرأيْتَ ما رأيْتَ مِمّا تَكْرَهُ فَهُوَ مِنْ مَثاقِيل ذَرّ الشّرّ, وَتَدّخِرُ مَثاقِيلَ الخَيْرِ حتى تُعْطاهُ يَوْمَ القِيامَةِ», قال: قال أبو إدريس: فأرى مصداقها في كتاب الله, قال: وَما أصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أيْدِيكُمْ, وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.

قال أبو جعفر: حدّث هذا الحديث الهيثم بن الربيع, فقال فيه أيوب عن أبي قلابة, عن أنس, أن أبا بكر رضي الله عنه كان جالسا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم, فذكر الحديث, وهو غلط, والصواب عن أبي إدريس.

23713ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَما أصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أيْدِيكُمْ... الآية «ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا يُصِيبُ ابْنِ آدَمَ خَدْشُ عُودٍ, وَلا عَثْرَةُ قَدَم, وَلا اخْتِلاجُ عِرْقٍ إلاّ بذَنْب, وَما يَعْفُو عَنْهُ أكْثرُ».

23714ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَما أصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أيديكم... الآية, قال: يعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم ولا يؤاخذون بها في الآخرة.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: وما عوقبتم في الدنيا من عقوبة بحدّ حُددِتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما كسبت أيديكم: يقول: فبما عملتم من معصية الله وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ فلا يوجب عليكم فيها حدّا. ذكر من قال ذلك:

23715ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن وَما أصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ... الآية, قال: هذا في الحدود. وقال قتادة: بلغنا أنه ما من رجل يصيبه عثرة قدم ولا خدش عود أو كذا وكذا إلا بذنب, أو يعفو, وما يعفو أكثر.

وقوله: وَما أنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأرْضِ يقول: وما أنتم أيها الناس بمفيتي ربكم بأنفسكم إذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التي أذنبتموها, ومعصيتكم إياه التي ركبتموها هربا في الأرض, فمعجزيه, حتى لا يقدر عليكم, ولكنكم حيث كنتم في سلطانه وقبضته, جارية فيكم مشيئته وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَلِيّ يليكم بالدفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم إياه ولا نَصِيرٍ يقول: ولا لكم من دونه نصير ينصركم إذا هو عاقبكم, فينتصر لكم منه, فاحذروا أيها الناس معاصيه, واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم, فإنه لا دافع لعقوبته عمن أحلها به.

الآية : 32-33

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأعْلاَمِ * إن يَشَأ يُسْكِنِ الرّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىَ ظَهْرِهِ إنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }.

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كلّ ما يشاء, وأنه لا يتعذّر عليه فعل شيء أراده, السفن الجارية في البحر. والجواري: جمع جارية, وهي السائرة في البحر. كما:

23716ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: الجَوَارِ في البَحْرِ قال: السفن.

23717ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَمِنْ آياتِهِ الجَوارِ في البَحْرِ قال: الجواري: السفن.

وقوله: كالأعْلامِ يعني كالجبال: واحدها علم ومنه قول الشاعر:

كأنّه عَلَمٌ فِي رأسِهِ نارُ

يعني: جَبَل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23718ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد كالأعْلام قال: كالجبال.
23719ـ حدثنا محمد, قَال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: الأعلام: الجبال.
وقوله: إنْ يَشأْ يُسْكِنِ الرّيح فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ يقول تعالى ذكره: إن يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحـر أن لا تجـري فيـه, أسـكن الريح التي تجري بها فيه, فثبتن في موضع واحد, ووقفن على ظهـر المـاء لا تجري, فلا تتقدّم ولا تتأخر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهـل التأويـل. ذكـر من قال ذلك:
23720ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمِنْ آياتِهِ الجَوارِ فِي البَحْرِ كالأعْلام, إنْ يَشـأْ يُسْـكِنِ الرّيـحَ فَيَظْلَلْـنَ رَوَاكِـدَ على ظَهْرِهِ سفن هذا البحر تجرى بالريح فـ إذا أمسكت عنها الريـح ركـدت, قال الله عَزّ وجلّ: إنّ فِي ذلك لآيَاتٍ لِكُلّ صَبّارٍ شَكُورٍ.
23721ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ إنْ يَشأْ يُسْكِنِ الرّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ لا تجري.
23722ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ يقول: وقوفا.
وقوله: إنّ في ذلكَ لآيـاتٍ لِكُـلّ صَـبّارٍ شَـكُورٍ يقـول: إن فـي جـري هـذه الجواري في البحر بقُدرة الله لعظة وعبرة وحجة بينة على قُـدرة اللـه علـى ما يشاء, لكل ذي صبر على طاعة الله, شكور لنِعمه وأياديه عنده.

الآية : 34-36

القول في تأويل قوله تعـالى: {أَوْ يُـوبِقْهُنّ بِمَـا كَسَـبُوا وَيَعْـفُ عَـن كَثِيـرٍ * وَيَعْلَمَ الّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيَ آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مّن مّحِيـصٍ * فَمَـآ أُوتِيتُـمْ مّ ن شَـيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىَ لِلّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَىَ رَبّهِمْ يَتَوَكّلُـونَ}.
يقول تعالى ذكره: أو يوبقْ هذه الجواري في البحر بما كسبت ركبانها من الذنوب, واجترموا من الآثام, وجزم يوبقهنّ, عطفا على يُسْكِنِ الرّيحِ ومعنى الكلام إن يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره, أَوْ يُوبِقْهُنّ ويعنـي بقـوله: أَوْ يُوبِقْهُنّ أو يهلكهنّ بالغرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23723ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أوْ يُوبِقْهُنّ يقول: يهلكهنّ.
23724ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: أوْ يُوبِقْهُنّ: أو يهلكهنّ.
23725ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ أو يُوبِقْهُنّ قال: يغرقهن بما كسبوا. وبنحو الذي قلنا في قوله: بِمَا كَسَـبُوا قـال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23726ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة أوْ يُوبِقْهُنّ بِمَا كَسَبُوا: أي بذنوب أهلها.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة أَوْ يُوبِقْهُنّ بِمَا كَسَبُوا قال: بذنوب أهلها.
23727ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَوْ يُوبِقْهُنّ بِمَا كَسَبوا قال: يوبقهنّ بما كسبت أصحابهنّ.
وقوله: وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ يقول: ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم فلا يعاقب عليها.
وقوله: وَيَعْلَمَ الّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِنا يقول جلّ ثناؤه: ويعلم الذين يخاصمون رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من المشركين في آياته وعبره وأدلته على توحيده.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة «وَيَعْلَمُ الّذِينَ» رفعا على الاستئناف, كما قال في سورة براءة: وَيَتُوبُ اللّهُ على مَنْ يَشاءُ وقرأته قرّاء الكوفة والبصرة وَيَعْلَمَ الّذِينَ نصبا كما قال في سورة آل عمران وَيَعْلَمَ الصّابِرِينَ على الصرف وكما قال النابغة:
فإنْ يَهْلِكْ أبو قابُوسَ يَهْلِكْ رَبِيعُ النّاسِ والشّهْرُ الحَرَامُ
وَنُمْسِكَ بَعْدَهُ بذَناب عَيْشٍ أجَبّ الظّهْرِ لَهُ سَنامُ
والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.
وقوله: ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ يقول تعالى ذكره: ما لهم من محيد من عقاب الله إذا عاقبهم على ذنوبهم, وكفرهم به, ولا لهم منه ملجأ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23728ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط عن السديّ, قوله: ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ: ما لهم من ملجأ.
وقوله: فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الحَياةِ الدّنْيا يقول تعالى ذكره: فما أعطيتم أيها الناس من شيء من رياش الدنيا من المال والبنين, فمتاع الحياة الدنيا, يقول تعالى ذكره: فهو متاع لكم تتمتعون به في الحياة الدنيا, وليس من دار الآخرة, ولا مما ينفعكم في معادكم وَما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ وأبْقَى يقول تعالى ذكره: والذي عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة, خير مما أوتيتموه في الدنيا من متاعها وأبقى, لأن ما أوتيتم في الدنيا فإنه نافد, وما عند الله من النعيم في جنانه لأهل طاعته باقٍ غير نافد لِلّذِينَ آمنوا: يقول: وما عند الله للذين آمنوا به, وعليه يتوكلون في أمورهم, وإليه يقومون في أسبابهم, وبه يثقون, خير وأبقى مما أوتيتموه من متاع الحياة الدنيا.

الآية : 37-38

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبّهِمْ وَأَقَامُواْ الصّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىَ بَيْنَهُمْ وَمِمّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ }.
يقول تعالى ذكره: وما عند الله للذين آمنوا وَالّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ, وكبائر فواحش الإثم, قد بيّنا اختلاف أهل التأويل فيها وبيّنا الصواب من القول عندنا فيها في سورة النساء, فأغنى ذلك عن إعادته ها هنا.
وَالفَوَاحِشَ قيل: إنها الزنى: ذكر من قال ذلك:
23729ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ والفَوَاحِشَ قال: الفواحش: الزنى واختلفت القرّاء في قراءة قوله: كَبائِرَ

الإثْمِ فقرأته عامة قرّاء المدينة على الجماع كذلك في النجم, وقرأته عامة قرّاءَ الكوفة «كَبِيرَ الإثْمِ» على التوحيد فيهما جميعا وكأن من قرأ ذلك كذلك, عنى بكبير الإثم: الشرك, كما كان الفرّاء يقول: كأني أستحب لمن قرأ كبائر الإثم أن يخفض الفواحش, لتكون الكبائر مضافة إلى مجموع إذ كانت جمعا, وقال: ما سمعت أحدا من القرّاء خفض الفواحش.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء على تقارب معنييهما, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: وَإِذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ يقول تعالى ذكره: وإذا ما غضبوا على من اجترم إليهم جرما, هم يغفرون لمن أجرم إليهم ذنبه, ويصفحون عنه عقوبة ذنبه.

وقوله: وَالّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبّهِمْ وأقامُوا الصّلاةَ يقول تعالى ذكره: والذين أجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيده, والإقرار بوحدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه وأقـ امُوا الصّلاةَ المفروضة بحدودها في أوقاتها وأمْرهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ يقول: وإذا حزبهم أمر تشاوروا بينهم, ومِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ يقول: ومن الأموال التي رزقناهم ينفقون في سبيل الله, ويؤدّون ما فرض عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة على من تجب عليه نفقته. وكان ابن زيد يقول: عنى بقوله: وَالّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبّهِمْ... الآية الأنصار.

23730ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, وقرأ وَالّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْم والفَوَاحِشَ وَإِذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ قال: فبدأ بهم وَالّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبّهِمْ الأنصار وأقامُوا الصّلاةَ وليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا.

الآية : 39-40

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَآءُ سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنّهُ لاَ يُحِبّ الظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: والذين إذا بغى عليهم باغٍ, واعتدى عليهم هم ينتصرون.

ثم اختلف أهل التأويل في الباغي الذي حمد تعالى ذكره, المنتصر منه بعد بغيه عليه, فقال بعضهم: هو المشرك إذا بغى على المسلم. ذكر من قال ذلك:

23731ـ حدثني يونس, قال: أخبرني ابن وهب قال: قال ابن زيد: ذكر المهاجرين صنفين, صنفا عفا, وصنفا انتصر, وقرأ وَالّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ والفَوَاحِشَ وَإِذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ قال: فبدأ بهم وَالّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبّهِمْ... إلى قوله: ومِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ وهم الأنصار. ثم ذكر الصنف الثالث فقال: وَالّذِينَ إِذَا أصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ من المشركين. وقال آخرون: بل هو كل باغٍ بغي فحمد المنتصر منه. ذكر من قال ذلك:

23732ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَالّذِينَ إِذَا أصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ قال: ينتصرون ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا.

وهذا القول الثاني أولى في ذلك بالصواب, لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى, بل حمد كلّ منتصر بحقّ ممن بغى عليه.

فإن قال قائل: وما في الانتصار من المدح؟ قيل: إن في إقامة الظالم على سبيل الحقّ وعقوبته بما هو له أهل تقويما له, وفي ذلك أعظم المدح.

وقوله: وَجَزاءُ سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مِثْلُها وقد بيّنا فيما مضى معنى ذلك, وأن معناه: وجزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه, فهي وإن كانت عقوبة من الله أوجبها عليه, فهي مَساءة له. والسيئة: إنما هي الفعلة من السوء, وذلك نظير قول الله عزّ وجلّ وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ فَلا يُجْزَى إلاّ مِثْلَها وقد قيل: إن معنى ذلك: أن يجاب القائل الكلمة القزعة بمثلها. ذكر من قال ذلك:

23733ـ حدثني يعقوب, قال: قال لي أبو بشر: سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله: وَجَزاءُ سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مِثْلُها قال: يقول أخزاه الله, فيقول: أخزاه الله.

23734ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَجَزَاءُ سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مِثْلُها قال: إذا شتمك بشتيمة فاشتمه مثلها من غير أن تعتدي. وكان ابن زيد يقول في ذلك بما:

23735ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في: وَالّذِينَ إذَا أصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ من المشركين وَجَزاءُ سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مِثْلُها, فَمَنْ عَفا وأصْلَحَ... الآية, ليس أمركم أن تعفوا عنهم لأنه أحبهم وَلَمَنِ انْتَصَر بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ, ثم نسخ هذا كله وأمره بالجهاد, فعلى قول ابن زيد هذا تأويل الكلام: وجزاء سيئة من المشركين إليكم, سيئة مثلها منكم إليهم, وإن عفوتم وأصلحتم في العفو, فأجركم في عفوكم عنهم إلى الله, إنه لا يحبّ الكافرين وهذا على قوله كقول الله عزّ وجلّ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْل ما اعْتَدَى عَلَيْكُمْ, وَاتّقُوا اللّهَ, وللذي قال من ذلك وجه. غير أن الصواب عندنا: أن تحمل الآية على الظاهر ما لم ينقله إلى الباطن ما يجب التسليم له, وأن لا يحكم لحكم في آية بالنسخ إلا بخبر يقطع العذر, أو حجة يجب التسليم لها, ولم تثبت حجة في قوله: وَجَزاءُ سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مِثْلُها أنه مراد به المشركون دون المسلمين, ولا بأن هذه الآية منسوخة, فنسلم لها بأن ذلك كذلك.

وقوله: فَمَنْ عَفا وأصْلَحَ فَأجْرُهُ على اللّهِ يقول جلّ ثناؤه: فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه, فغفرها له, ولم يعاقبه بها, وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله, فأجر عفوه ذلك على الله, والله مثيبه عليه ثوابه إنّهُ لا يُحِبّ الظّالِمِينَ يقول: إن الله لا يحبّ أهل الظلم الذين يتعدّون على الناس, فيسيئون إليهم بغير ما أذن الله لهم فيه.

الآية : 41-42

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَـئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مّن سَبِيلٍ * إِنّمَا السّبِيلُ عَلَى الّذِينَ يَظْلِمُونَ النّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه إياه فَأُولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ يقول: فأولئك المنتصرون منهم لا سبيل للمنتصر منهم عليهم بعقوبة ولا أذى, لأنهم انتصروا منهم بحقّ, ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه, ولم يتعدّ, لم يظلم, فيكون عليه سبيل.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنيّ بذلك, فقال بعضهم: عني به كلّ منتصر ممن أساء إليه, مسلما كان المسيء أو كافرا. ذكر من قال ذلك:

23736ـ حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا معاذ, قال: حدثنا ابن عون, قال: كنت أسأل عن الانتصار وَلَمن انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ... الآية, فحدثني عليّ بن زيد بن جدعان, عن أمّ محمد امرأة أبيه, قال ابن عون: زعموا أنها كانت تدخل على أمّ المؤمنين قالت: قالت أمّ المؤمنين: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم, وعندنا زينب بنت جحش, فجعل يصنع بيده شيئا, ولم يفطن لها, فقلت بيدي حتى فطّنته لها, فأمسك, وأقبلت زينب تقحم لعائشة, فنهاها, فأبت أن تنتهي, فقال لعائشة: «سُبيها» فسبتها وغلبتها وانطلقت زينب فأتت عليا, فقالت: إن عائشة تقع بكم وتفعل بكم, فجاءت فاطمة, فقال لها: «إنها حِبّة أبيك ورَبّ الكَعْبَة», فانصرفت وقالت لعليّ: إني قلت له كذا وكذا, فقال كذا وكذا قال: وجاء عليّ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فكلّمه في ذلك.

23737ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَمَنِ انْتَصَر بَعْدَ ظُلْمِهِ... الآية, قال: هذا في الخمش يكون بين الناس.

23738ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ قال: هذا فيما يكون بين الناس من القصاص, فأما لو ظلمك رجل لم يحلّ لك أن تظلمه.

وقال آخرون: بل عُنِي به الانتصار من أهل الشرك, وقال: هذا منسوخ. ذكر من قال ذلك:

23739ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَمَنِ انْتَصَر بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ قال: لمن انتصر بعد ظلمه من المؤمنين انتصر من المشركين وهذا قد نسخ, وليس هذا في أهل الإسلام, ولكن في أهل الإسلام الذي قال الله تبارك وتعالى: ادْفَعْ بالّتِي هِيَ أحْسَنُ, فإذَا الّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كأنّهُ وَلِيّ حَمِيمٌ.

والصواب من القول أن يقال: إنه معنيّ به كلّ منتصر من ظالمه, وأن الآية محكمة غير منسوخة للعلة التي بينت في الآية قبلها.

وقوله: إنّمَا السّبِيلُ على الّذِينَ يَظْلِمُونَ النّاسَ يقول تبارك وتعالى: إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدّون على الناس ظلما وعدوانا, بأن يعاقبوهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه, فأخذ منه حقه.

وقوله: وَيَبْغُونَ فِي الأرْضِ بغَيْرِ الحَقّ يقول: ويتجاوزون في أرض الله الحدّ الذي أباح لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه, فيفسدون فيها بغير الحقّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: فهؤلاء الذين يظلمون الناس, ويبغون في الأرض بغير الحقّ, لهم عذاب من الله يوم القيامة في جهنم مؤلم موجع.

الآية : 43-44

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيّ مّن بَعْدِهِ وَتَـرَى الظّـالِمِينَ لَمّا رَأَوُاْ الْعَـذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىَ مَرَدّ مّن سَبِيلٍ }.

يقول تعالى ذكره: ولمن صبر على إساءة إليه, وغفر للمسيء إليه جرمه إليه, فلم ينتصر منه, وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه إنّ ذلكَ لِمنْ عَزْم الأُمُورِ يقول: إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء إليه, لمن عزم الأمور التي ندب إليها عباده, وعزم عليهم العمل به وَمَنْ يُضْلِل اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيّ مِنْ بَعْدِهِ يقول: ومن خذ له الله عن الرشاد, فليس له من وليّ يليه, فيهديه لسبيل الصواب, ويسدّده من بعد إضلال الله

إياه وَتَرَى الظّالِمِينَ لَمّا رأَوُا العَذَابَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وترى الكافرين بالله يا محمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم: هَلْ لنا يا ربّ إلى مَرَدَ مِنْ سَبِيلٍ؟ وذلك كقوله وَلَوْ تَرَى إذِ المُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبّهِمْ رَبّنا أبْصَرْنا وَسِمعْنا... الآية, استعتب المساكين في غير حين الاستعتاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23740ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: هَلْ إلى مَرَدّ مِنْ سَبِيلٍ يقول: إلى الدنيا.

واختلف أهل العربية في وجه دخول «إن» في قوله: إنّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ مع دخول اللام في قوله: وَلَمِنْ صَبَرَ وَغَفَرَ فكان نحويّ أهل البصرة يقول في ذلك: أما اللام التي في قوله: وَلَمَنْ صَبَرَ وغَفَرَ فلام الابتداء, وأما إن ذلك فمعناه والله أعلم: إن ذلك منه من عزم الأمور, وقال: قد تقول: مررت بالدار الذراع بدرهم: أي الذراع منها بدرهم, ومررت ببرّ قفيز بدرهم, أي قفيز منه بدرهم. قال: وأما ابتداء «إن» في هذا الموضع, فمثل قُلْ إنّ المَوْتَ الّذِي تَفِرّونَ مِنْهُ فَإنّهُ مُلاَقِيكُمْ يجوز ابتداء الكلام, وهذا إذا طال الكلام في هذا الموضع.

وكان بعضهم يستخطيء هذا القول ويقول: إن العرب إذا أدخلت اللام في أوائل الجزاء أجابته بجوابات الأيمان بما, ولا, وإنّ واللام: قال: وهذا من ذاك, كما قال: لئن أُخْرِجُوا لا يَخْرَجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلّنّ الأدْبارَ ثُمّ لا يُنْصَرُونَ فجاء بلا وباللام جوابا للام الأولى. قال: ولو قال: لئن قمت إني لقائم لجاز ولا حاجة به إلى العائد, لأن الجواب في اليمين قد يكون فيه العائد, وقد لا يكون ألا ترى أنك تقول: لئن قمت لأقومنّ, ولا أقوم, وإني لقائم فلا تأتي بعائد. قال: وأما قولهم: مررت بدار الذراع بدرهم وببرّ قفيز بدرهم, فلا بدّ من أن يتصل بالأوّل بالعائد, وإنما يحذف العائد فيه, لأن الثاني تبعيض للأوّل مررت ببرّ بعضه بدرهم, وبعضه بدرهم فلما كان المعنى التبعيض حذف العائد. قال: وأما ابتداء «إن» في كل موضع إذا طال الكلام, فلا يجوز أن تبتديء إلا بمعنى: قل إن الموت الذي تفرّون منه, فإنه جواب للجزاء, كأنه قال: ما فررتم منه من الموت, فهو ملاقيكم. وهذا القول الثاني عندي أولى في ذلك بالصواب للعلل التي ذكرناها.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذّلّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيّ وَقَالَ الّذِينَ آمَنُوَاْ إِنّ الْخَاسِرِينَ الّذِينَ خَسِرُوَاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ إِنّ الظّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مّقِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد الظالمين يعرضون على النار خاشِعِينَ مِنَ الذّلّ يقول: خاضعين متذللين. كما:

23741ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد,: الخشوع: الخوف والخشية لله عزّ وجلّ, وقرأ قول الله عزّ وجلّ: لَمّا رأَوُا العَذَابَ... إلى قوله: خاشِعِينَ مِنَ الذّلّ قال: قد أذلهم الخوف الذي نزل بهم وخشعوا له.

23742ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: خاشِعِينَ قال: خاضعين من الذلّ.

وقوله: يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ يقول: ينظر هؤلاء الظـالمون إلـى النـار حين يعرضون عليها من طرف خفيّ.
واختلف أهل التأويل في معنى قوله: مِنْ طَرْفٍ خَفِيَ فقال بعضهم: معناه: من طرف ذليل. وكأن معنى الكلام: من طرف قد خَفِي مـن ذلّـةٍ. ذكـر مـن قال ذلك:
23743ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَتَراهُـمْ يُعْرَضُـونَ عَلَيْهـا خاشِـعِينَ مِـنَ الذّلّ... إلى قوله: مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ يعني بالخفيّ: الذليل.
23744ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى: وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله عزّ وجلّ: مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ قال: ذليل.
وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يسارقون النظر. ذكر من قال ذلك:
23745ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ قال: يسارقون النظر.
23746ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ قال: يسارقون النظر.
واختلف أهل العربية في ذلك, فقال بعض نحويي البصرة في ذلـك: جعـل الطرف العين, كأنه قال: ونظرهم من عين ضعيفة, والله أعلم. قال: وقـال يونس: إن مِنْ طَرْفٍ مثل بطرفٍ, كما تقـول العـرب: ضـربته فـي السـيف, وضربته بالسيف.
وقال آخر منهم: إنما قيل: مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ لأنه لا يفتح عينيـه, إنمـا ينظـر ببعضها.
وقال آخرون منهم: إنما قيل: مِنْ طَرْفٍ خَفِـيّ لأنهـم ينظـرون إلـى النـار بقلوبهم, لأنهم يُحشرُون عُميا.
والصواب من القول في ذلك, القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ومجاهد, وهو أن معناه: أنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل, وصفه الله جلّ ثنـاؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم, حتى كادت أعينهم أن تغور, فتذهب.
وقوله: وَقالَ الّذِينَ آمَنُوا إنّ الخاسِرِينَ الّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُم وأهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ يقول تعالى ذكره: وقال الـذين آمنـوا بـالله ورسـوله: إن المغبـونين الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة في الجنة. كما:
23747ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قـوله: الّـذِينَ خَسِـرُوا أنْفُسَـهُمْ وأهْلِيهِـمْ يَـوْمَ القِيامـةِ قـال: غبنـوا أنفسـهم وأهليهم في الجنة.
وقوله: ألا إنّ الظّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ يقول تعالى ذكره: ألا إن الكافرين يوم القيامة في عذاب لهم من الله مُقيـمٍ عليهـم, ثـابت لا يـزول عنهـم, ولا يَبيد, ولا يخفّ.

الآية : 46-47

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَهُم مّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُـرُونَهُم مّـن دُونِ اللّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ * اسْتَجِيبُواْ لِرَبّكُـمْ مّـن قَبْـلِ أَن يَـأْتِيَ يَوْمٌ لاّ مَرَدّ لَهُ مِنَ اللّهِ مَا لَكُمْ مّن مّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مّن نّكِيرٍ }.
يقول تعالى ذكره: ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذّبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ولا ينتصرون لهم من ربهم على مـا نـالهم بـه

من العذاب من دون الله وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ يقول: ومن يخذله عن طريق الحقّ فما له من طريق إلى الوصول إليه, لأن الهداية والإضلال بيده دون كلّ أحد سواه.

وقوله: اسْتَجِيبُوا لِرَبّكُمْ يقول تعالى ذكره للكافرين به: أجيبوا أيها الناس داعيَ الله وآمنوا به واتبعوه على ما جاءكم به من عند ربكم, مِنْ قَبْلِ أَنْ يأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدّ لَهُ مِنَ اللّهِ: يقول: لا شيء يردّ مجيئه إذا جاء الله به, وذلك يوم القيامة ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ يقول جلّ ثناؤه: مالكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه, وتلجأون إليه, فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله على كفركم به, كان في الدنيا وَما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ يقول: ولا أنتم تقدرون لما يحلّ بكم من عقابه يومئذٍ على تغييره, ولا على انتصار منه إذا عاقبكم بما عاقبكم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23748ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ قال: من مَحْرَز. وقوله: مِنْ نَكِيرٍ قال: ناصر ينصركم.

23749ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ تلجأون إليه وَما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ يقول: من عزّ تعتزون.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلاّ الْبَلاَغُ وَإِنّآ إِذَآ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيّئَةٌ بِمَا قَدّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنّ الإِنسَانَ كَفُورٌ }.

يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون يا محمد عما أتيتهم به من الحقّ, ودعوتهم إليه من الرشد, فلم يستجيبوا لك, وأبَوْا قبوله منك, فدعهم, فإنا لن نرسلك إليهم رقيبا عليهم, تحفظ عليهم أعْمالهم وتحصيها إنْ عَلَيْكَ إلاّ البَلاغُ يقول: ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرسالة, فإذا بلغتهم ذلك, فقد قضيت ما عليك وَإنّا إذَا أذَقْنا الإنْسانَ منّا رَحْمَةً فَرِحَ بِها يقول تعالى ذكره: فإنا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه م ن عندنا سعة, وذلك هو الرحمة التي ذكرها جلّ ثناؤه, فرح بها: يقول: سرّ بما أعطيناه من الغِنى, ورزقناه من السّعة وكثرة المال, وَإنْ تُصِبْهُمْ سَيّئَةٌ يقول: وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش بِما قَدّمَتْ أيْدِيهِمْ يقول: بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه, جحد نعمة الله, وأيس من الخير فإنّ الإنْسانَ كَفُورٌ يقول تعالى ذكره: فإن الإنسان جحود نعم ربه, يعدّد المصائب, ويجحد النعم. وإنما قال: وَإنْ تُصْبِهُمْ سَيّئَةٌ فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور, وقد ذكر الإنسان قبل ذلك بمعنى الواحد, لأنه بمعنى الجمع.

الآية : 49-50

القول في تأويل قوله تعالى: {لِلّهِ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذّكُورَ * أَوْ يُزَوّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً إِنّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: لله سلطان السموات السبع والأرضين, يفعل في سلطانه ما يشاء, ويخلق ما يحبّ خلقه, يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور, بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى وَيَهبُ

لِمُنْ يَشاءُ الذّكُورَ يقول: ويهب لمن يشاء منهم الذكور, بأن يجعل كـلّ حمـل حملته امرأته ذكرا لا أنثى فيهم.
23750ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد أوْ يُزَوّجُهُمْ ذُكْرَانا وَإناثا قال: يخلط بينهـم يقـول: التزويـج: أن تلد المرأة غلاما, ثم تلد جارية, ثم تلد غلاما, ثم تلد جارية.
23751ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثا, وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذّكُورَ قـادر واللـه ربنـا علـى ذلـك أن يهـب للرجـل ذكـورا ليسـت معهـم أنـثى, وأن يهـب للرجـل ذكرانـا وإناثـا, فيجمعهم له جميعا, وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيما لا يولد له.
23752ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قول الله عزّ وجلّ: يَهَبُ لَمَنْ يَشاءُ إناثا, وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذّكُورَ ليسـت معهم إناث أوْ يُزَوّجُهُمْ ذُكْرَانا وَإناثا قال: يهب لهم إناثا وذكرانـا, ويجعـل مـن يشاء عقيما لا يُولدَ له.
23753ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيما يقول: لا يُلْقِح.
23754ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيما لا يلد واحدا ولا اثنين.
23755ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد الله, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثا, وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذّكُورَ ليس فيهم أنثى أوْ يُزَوّجُهُمْ ذُكْرَانا وَإناثـا تلـد المـرأة ذكـرا مـرّة وأنثى مرّة وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيما لا يُولد له. وقال ابن زيد: في معنى قوله: أوْ يُزَوّجُهُمْ ما:
23756ـ حدثني يونس, قال: ابن وهب, قال: قال ابن زيد: في قـوله: أوْ يُزَوّجُهُمْ ذُكْرَانا وَإناثا قال: أو يجعل في الواحد ذكرا وأنثى توأمـا, هـذا قـوله: أوْ يُزَوّجَهُمْ ذُكْرَانا وَإناثا.
وقوله: إنّهُ عَلِيم قَدِيرٌ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يخلق, وقُدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شيء من خلقـه, ولا يعجـزه شـيء أراد خلقه.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلّمَهُ اللّهُ إِلاّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنّهُ عَلِيّ حَكِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لبشر من بنـي آدم أن يكلمـه ربـه إلا وحيـا يوحي الله إليه كيف شاء, أو إلهاما, وإما غيره أوْ مِـنْ وَرَاءِ حِجـابٍ يقـول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يـراه, كمـا كلـم موسـى نـبيه صـلى اللـه عليـه وسلم أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولاً, إما جبرائيل, وإما غيره فَيُوحِيَ بإذْنِهِ ما يَشاءُ يقول: فيوحي ذلـك الرسـول إلـى المرسـل إليه بإذن ربه ما يشاء, يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهي, وغير ذلك من الرسالة والوحي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهـل التأويـل. ذكـر من قال ذلك:
23757ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله عزّ وجلّ: وَما كانَ لِبَشَر أنْ يُكَلّمَهُ اللّهُ إلاّ وَحْيـا يـوحي إليـه أوْ مِـنْ

وَراءِ حِجابٍ موسى كلمه الله من وراء حجاب, أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بإذْنِهِ ما يَشاءُ قال: جبرائيل يأتي بالوحي.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فيوحي, فقرأته عامة قرّاء الأمصار فَيُوحِيَ بنصب الياء عطفا على يُرْسِلَ, ونصبوا يُرْسِلَ عطفا بها على موضع الوحي, ومعناه, لأن معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه أو يرسل إليه رسولاً فيوحيَ بإذنه ما يشاء. وقرأ ذلك نافع المدني «فيُوحِي» بإرسال الياء بمعنى الرفع عطفا به على يُرْسِلُ, وبرفع يُرْسِلُ على الابتداء.

وقوله: إنّهُ عَلِيّ حَكِيمٌ يقول تعالى ذكره إنه يعني نفسه جلّ ثناؤه: ذو علوّ على كل شيء وارتفاع عليه, واقتدار. حكيم: يقول: ذو حكمة في تدبيره خلقه.

الآية : 52-53

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَـكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللّهِ الّذِي لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: وكَذلكَ أوْحَيْنا إلَيْكَ رُوحا مِنْ أمْرِنا وكما كنا نوحي في سائر رسلنا, كذلك أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن, روحا من أمرنا: يقول: وحيا ورحمة من أمرنا.

واختلف أهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع, فقال بعضهم: عنى به الرحمة. ذكر من قال ذلك:

23758ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن الحسن في قوله: رُوحا مِنْ أمْرِنا قال: رحمة من أمرنا.

وقال آخرون: معناه: وحيا من أمرنا. ذكر من قال ذلك:

23759ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وكَذلكَ أوْحَيْنا إلَيْكَ رُوحا مِنْ أمْرِنا قال: وحيا من أمرنا.

وقد بيّنا معنى الروح فيما مضى بذكر اختلاف أهل التأويل فيها بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: مَا كُنْتَ تَدْرِي ما الكِتابُ وَلا الإيمَانُ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ماكنت تدري يا محمد أيّ شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما وَلَكِنْ جَعَلْناهُ نُورا يقول: ولكن جعلنا هذا القرآن, وهو الكتاب نورا, يعني ضياءً للناس, يستضيئون بضوئه الذي بيّن الله فيه, وهو بيانه الذي بيّن فيه, مما لهم فيه في العمل به الرشاد, ومن النار النجاة نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا يقول: نهدي بهذا القرآن, فالهاء في قوله «به» من ذكر الكتاب.

ويعني بقوله: نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ: نسدّد إلى سبيل الصواب, وذلك الإيمان بالله مَنْ نَشاءُ منْ عِبادِنا يقول: نهدي به من نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23760ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ ما كُنْتَ تَدْرِي ما الكِتابُ وَلا الإيمانُ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وَلَكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا يعني بالقرآن. وقال جلّ ثناؤه وَلَكِنْ

جَعَلْناهُ فوحد الهاء, وقد ذكر قبل الكتاب والإيمان, لأنه قصد به الخبر عن الكتاب. وقال بعضهم: عنى به الإيمان والكتاب, ولكن وحد الهاء, لأن أسماء الأفعال يجمع جميعها الفعل, كما يقال: إقبالك وإدبارك يعجبني, فيوحدهما وهما اثنان.

وقوله: وَإنّكَ لَتَهْدِي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإنك يا محمد لتهدي إلى صراط مستقيم عبادنا, بالدعاء إلى الله, والبيان لهم. كما:

23761ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإنّكَ لَتَهْدي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ قال تبارك وتعالى وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ داعٍ يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَإنّكَ لَتَهْدي إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ قال: لكل قوم هاد.

23762ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَإنّكَ لَتَهْدِي إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ يقول: تدعو إلى دين مستقيم, صِراطِ اللّهِ الّذِي لَهُ ما فِي السّمّواتِ وما فِي الأرْض يقول جلّ ثناؤه: وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم, وهو الإسلام, طريق الله الذي دعا إليه عباده, الذي لهم مُلك جميع ما في السموات وما في الأرض, لا شريك له في ذلك. والصراط الثاني: ترجمة عن الصراط الأوّل.

وقوله جلّ ثناؤه: ألا إلى اللّهِ تَصِيرُ الامُورُ يقول جلّ ثناؤه: ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم في الآخرة, فيقضي بينكم بالعدل.

فإن قال قائل: أو ليست أمورهم في الدنيا إليه؟ قيل: هي وإن كان إليه تدبير جميع ذلك, فإن لهم حكاما ووُلاة ينظرون بينهم, وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره, فلذلك قيل: إليه تصير الأمور هنالك وإن كانت الأمور كلها إليه وبيده قضاؤها وتدبيرها في كل حال.

سورة الزخرف

سورة الزخرف مكية
وآياتها تسع وثمانون

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-2

القول في تأويل قوله تعالى: {حمَ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ }.

قد بيّنا فيما مضى قوله: حم بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: وَالكِتابِ المُبِينِ قسَم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال: وَالكِتابِ المُبِينِلمن تدبّره وفكّر في عبره, وعظاته, هداه, ورشده, وأدلته على حقيته, وأنه تنزيل من حكيم حميد, لا اختلاق من محمد صلى الله عليه وسلم ولا افتراء من أحد إنّا جَعَلْناهُ قُرْآنا عَرَبِيّا يقول: إنا أنزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب, إذ كنتم أيها المنذرُون به من رهط محمد صلى الله عليه وسلم عربا لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ يقول: لتعقلوا معانيه وما فيه من مواعظ, ولم ينزله بلسان العجم, فيجعله

أعجميا, فتقولوا: نحن عرب, وهذا كلام أعجميّ لا نفقه معانيه. وبنحو الـذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23763ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ حم. والكِتاب المُبِينِ هو هذا الكتاب المبين.
23764ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة حـم. والكتاب المبين مبين والله بركته, وهداه ورشده.

الآية : 3-4

القول في تأويل قوله تعـالى: {إِنّـا جَعَلْنَـاهُ قُرْآنـاً عَرَبِيّـاً لّعَلّكُـمْ تَعْقِلُـونَ * وَإِنّهُ فِيَ أُمّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيّ حَكِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: وإن هذا الكتاب أصل الكتاب الذي منه نسخ هذا الكتاب عندنا لعليّ: يقول: لذو علوّ ورفعة, حكيم: قد أحكمت آياته, ثم فصلت فهو ذو حكمة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23765ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن هشام الدستوائي, عن القاسم بن أبي بزة, قال: حدثنا عروة بن عامر, أنه سمع ابن عباس يقول: أوّل ما خلق الله القلم, فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق, قال: والكتاب عنده, قال: وإنه في أمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم.
23766ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت أبي, عن عطية بن سعد في قول الله تبارك وتعالى: وإنّـهُ فـي أمّ الكِتـابِ لَـدَيْنا لِعَلِيّ حَكِيمٌ يعني القرآن في أمّ الكتاب الذي عند الله منه نسخ.
23767ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت مالكا يروي عن عمران, عن عكرمة وإنّـهُ فِـي أُمّ الكِتـاب لَـدَيْنا قـال: أمّ الكتـاب القرآن.
23768ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَإِنّهُ في أمّ الكِتاب لَدَيْنا قال: أمّ الكتاب: أصل الكتاب وجملته.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة وَإِنّـهُ فِـي أُمّ الكِتابِ: أي جملة الكتاب أي أصل الكتاب.
23769ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ وَإِنّهُ فِي أُمّ الكِتابِ يقول: في الكتاب الذي عند الله في الأصل.
وقوله: لَدَيْنا لَعَلِيّ حَكِيمٌ وقد ذكرنا معناه. وبنحو الذي قلنا فـي ذلـك قـال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23770ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة لَـدَيْنا لَعَلِيّ حَكِيمٌ يخبر عن منزلته وفضله وشرفه.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُـمْ قَوْمـاً مّسْرِفِينَ }.
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: أفنضرب عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون, فلا نـذكركم بعقابنـا مـن أجـل أنكـم قوم مشركون. ذكر من قال ذلك:
23771ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قول الله عزّ وجلّ: أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذّكْرَ صَفْحا قـال: تكذّبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه.

23772ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا سفيان, عن إسماعيل, عن أبي صالح, قوله: أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحا قال: بالعذاب.
23773ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صفحا قال: أفنضرب عنكم العذاب.
23774ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحا أَنْ كُنْتُمْ قَوْما مُسْرِفِينَ يقول: أحسبتم أن نصفح عنكم ولما تفعلوا ما أمرتم به.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: أفنترك تذكيركم بهذا القرآن, ولا نذكركم به, لأن كنتم قوما مسرفين. ذكر من قال ذلك:
23775ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحا أَنْ كُنْتُمْ قَوْما مُسْرِفِينَ: أي مشركين, والله لو كان هذا القرآن رفع حين ردّه أوائل هذه الأمة لَهلكوا, فدعاهم إليه عشرين سنة, أو ما شاء الله من ذلك.
23776ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحا قال: لو أن هذه الأمة لم يؤمنوا لضرب عنهم الذكر صفحا, قال: الذكر ما أنزل عليهم مما أمرهم الله به ونهاهم صفحا, لا يذكر لكم منه شيئا.
وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوّله: أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم, لأن كنتم قوما مسرفين لا تؤمنون بربكم.
وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية, لأن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدها بهذه الآية في تكذيبها رسلها, وما أحلّ بها من نقمته, ففي ذلك دليل على أن قوله: أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحا وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك, إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة «إنْ كُنْتُم» بكسر الألف من «إن» بمعنى: أفنضرب عنكم الذكر صفحا إذ كنتم قوما مسرفين. وقرأه بعض قرّاء أهل مكة والكوفة وعامة قرّاء البصرة «أن» بفتح الألف من «أن», بمعنى: لأن كنتم.
واختلف أهل العربية في وجه فتح الألف من أن في هذا الموضع, فقال بعض نحويي البصرة: فتحت لأن معنى الكلام: لأن كنتم. وقال بعض نحويي الكوفة: من فتحها فكأنه أراد شيئا ماضيا, فقال: وأنت تقول في الكلام: أتيت أن حرمتني, تريد: إذ حرمتني, ويكسر إذا أردت: أتيت إن تحرمني. ومثله: لا يَجْرِمَنّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدّوكُمْ وإنْ صَدّوكُمْ بكسر وبفتح.
فَلَعَلّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ على آثارِهِمْ إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أسَفا قال: والعرب تنشد قول الفرزدق:
أتَجْزَعُ أنْ أذْنا قُتَيْبَةَ حُزّتاجِهارا ولَمْ تَجْزَعْ لقَتْلِ ابنِ حازِمِ
قال: وينشد:
أتَجْزَعُ أنْ بانَ الخَلِيطُ المُوَدّعُوَحَبْلُ الصّفا مِنْ عَزّةَ المُتَقَطّعُ
قال: وفي كل واحد من البيتين ما في صاحبه من الكسر والفتح.
والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الكسر والفتح في الألف في هذا الموضع قراءتان مشهورتان في قَرَأة الأمصار صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ

القارىء فمصيب, وذلك أن العرب إذا تقدم «أن» وهي بمعنى الجـزاء فعـل مستقبل كسروا ألفها أحيانا, فمحضوا لها الجـزاء, فقـالوا: أقـوم إن قمـت, وفتحوها أحيانا, وهم ينوون ذلك المعنى, فقالوا: أقـوم أن قمـت بتـأول, لأن قمت, فإذا كان الذي تقدمها من الفعل ماضيا لم يتكلّموا إلا بفتح الألـف مـن «أن» فقالوا: قمتُ أن قمتَ, وبذلك جاء التنزيل, وتتابع شعر الشعراء.

الآية : 6-7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَـمْ أَرْسَـلْنَا مِـن نّبِـيّ فِـي الأوّلِيـنَ * وَمَـا يَأْتِيهِم مّنْ نّبِيّ إِلاّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنَ نَبِيّ يا محمد في القرون الأوّلين الذين مضوا قبل قرنك الذي بعثت فيه كما أرسـلناك فـي قومـك مـن قريـش وَمـا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيَ إلاّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ يقول ومـا كـان يـأتي قرنـا مـن أولئـك القرون وأمة من أولئك الأمم الأوّلين لنا من نبيّ يدعوهم إلى الهدى وطريق الحق, إلاّ كان الذين يأتيهم ذلـك مـن تلـك الأمـم نـبيهم الـذي أرسـله إليهـم يسـتهزئون سـخرية منهـم بهـم كاسـتهزاء قومـك بـك يـا محمـد. يقـول: فلا يعظمنّ عليك ما يفعل بك قومك, ولا يشقنّ عليـك, فـإنهم إنمـا سـلكوا فـي استهزائهم بك مسلك أسـلافهم, ومنهـاج أئمتهـم الماضـين مـن أهـل الكفـر بالله.

الآية : 8

القول في تأويل قـوله تعـالى: {فَأَهْلَكْنَـآ أَشَـدّ مِنْهُـم بَطْشـاً وَمَضَـىَ مَثَـلُ الأوّلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فأهلكنا أشدّ من هؤلاء المستهزئين بأنبيائهم بطشا إذا بطشوا فلم يعجزونا بقواهم وشدّة بطشهم, ولم يقـدروا علـى الامتنـاع مـن بأسنا إذ أتاهم, فالذين هم أضعف منهم قوّة أحرى أن لا يقدروا على الامتناع من نقمنا إذا حلّت بهم وَمَضَى مَثَلُ الأوّلِينَ يقول جـلّ ثنـاؤه: ومضـى لهـؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضربائهم مثَلُنا لهم فـي أمثـالهم من مكذّبي رسلنا الذين أهلكناهم, يقول: فليتوقع هؤلاء الذين يستهزئون بك يا محمد من عقوبتنا مثل الذي أحللنـاه بأولئـك الـذين أقـاموا علـى تكـذيبك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23777ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَمَضَى مَثَلُ الأولِينَ قال: عقوبة الأوّلين.

23778ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله: مَثَلُ الأوّلِينَ قال: سُنتهم.

الآية : 9-10

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مّنْ خَلَـقَ السّـمَاوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنّ خَلَقَهُنّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَـا سُبُلاً لّعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك: من خلـق السـموات السـبع والأرضـين, فأحـدثهنّ وأنشـأهنّ؟ ليقـولنّ: خلقهـنّ العزيز في سلطانه وانتقامه من أعدائه, العليم بهنّ وما فيهنّ من الأشياء, لا يخفى عليه شيء الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْدا يقول: الذي مهّـد لكـم الأرض,

فجعلها لكم وطاء توطئونها بأقدامكم, وتمشون عليها بـأرجلكم وَجَعَـلَ لَكُـمْ فِيها سُبُلاً يقـول: وسهّل لكـم فيهـا طرقـا تتطرّقونهـا مـن بلـدة إلـى بلـدة, لمعايشكم ومتاجركم. كما:
23779ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَجَعَلَ لَكُمُ فِيها سُبُلاً أي طرقا.
23780ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْدا قال: بساطا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً قـال: الطـرق لَعَلّكُمْ تَهْتَدُون يقول: لكي تهتدوا بتلك السبل إلـى حيـث أردتـم مـن البُلـدان والقُرى والأمصار, لولا ذلك لم تطيقوا براح أفنيتكـم ودوركـم, ولكنهـا نعمـة أنعم بها عليكم.

الآية : 11-12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِي نَزّلَ مِنَ السّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالّذِي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلّهَا وَجَعَلَ لَكُـمْ مّـنَ الْفُلْـكِ وَالأنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ }.
يقول تعالى ذكره: وَالّذِي نَزّلَ مِنَ السّماءِ ماءً بقَدَرٍ يعني: مـا نـزّل جـلّ ثناؤه من الأمطار من السماء بقدر: يقول: بمقدار حاجتكم إليه, فلـم يجعلـه كالطوفان, فيكون عذابا كالذي أنزل على قوم نوح, ولا جعلـه قليلاً, لا ينبـت به النبات والزرع من قلّته, ولكنه جعله غيثا مغيثا, وَحَيا للأرض الميتـة محييـا فَأنْشَرْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتا يقول جلّ ثناؤه: فأحيينا به بلدة من بلادكـم ميتـا, يعنـي مجدبة لا نبات بها ولا زرع, قد درست مـن الجـدوب, وتعفنـت مـن القحـوط كَذلكَ تُخْرَجُونَ يقول تعالى ذكره: كما أخرجنـا بهـذا المـاء الـذي نزّلنـاه مـن السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع, كذلك أيها الناس تُخرجون من بعد فنائكم ومصيركم في الأرض رفاتا بالماء الذي أنزلـه إليها لإحيائكم من بعد مماتكم منهـا أحيـاء كهيئتكـم الـتي بهـا قبـل ممـاتكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23781ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَالّذِي نَزّلَ مِنَ السّماءِ ماءً بقَدَرٍ... الآية, كما أحيا الله هذه الأرض الميتة بهذا المـاء كذلك تبعثون يوم القيامة وقيل: أنشرنا به, لأن معناه: أحيينا به, ولو وصفت الأرض بأنها أحييت, قيل: نشرت الأرض, كما قال الأعشى:
حتى يَقُولَ النّاسُ مِمّا رأوْا يا عَجَبا للْمَيّتِ النّاشِرِ
وقوله: وَالّذِي خَلَقَ الأزْوَاجَ كلّها يقول تعالى ذكره: والذي خلق كلّ شـيء فزوّجه, أي خلق الذكور من الإناث أزواجا, والإناث من الذكور أزواجا وَجَعَـلَ لَكُمْ مِنَ الفُلْكِ وهي السفن والأنْعامِ وهي البهـائم مـا تَرْكَبُـونَ يقـول: جعـل لكم من السفن مـا تركبـونه فـي البحـار إلـى حيـث قصـدتم واعتمـدتم فـي سيركم فيها لمعايشكم ومطالبكم, ومـن الأنعـام مـا تركبـونه فـي الـبرّ إلـى حيث أردتم من البلدان, كالإبل والخيل والبغال والحمير.

الآية : 13-14

القول في تأويل قوله تعالى: {لِتَسْتَوُواْ عَلَىَ ظُهُورِهِ ثُمّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَانَ الّذِي سَخّرَ لَنَا هَـذَا وَمَـا كُنّـا لَـهُ مُقْرِنِيـنَ * وَإِنّآ إِلَىَ رَبّنَا لَمُنقَلِبُونَ }.
يقول تعالى ذكره: كي تستووا على ظهور ما تركبون.

واختلف أهل العربية في وجه توحيد الهاء في قوله: على ظُهُورِهِ وتذكيرها, فقال بعض نحويّي البصرة: تذكيره يعود على ما تركبون, وما هو مذكر, كما يقال: عندي من النساء من يوافقك ويسرّك, وقد تذكّر الأنعام وتؤنث. وقد قال في موضع آخر: مِمّا في بُطُونِهِ وقال في موضع آخر: بُطُونِها. وقال بعض نحويّي الكوفة: أضيفت الظهور إلى الواحد, لأن ذلك الواحد في معنى جمع بمنزلة الجند والجيش. قال: فإن قيل: فهلا قلت: لتستووا على ظهره, فجعلت الظهر واحدا إذا أضفته إلى واحد. قلت: إن الواحد فيه معنى الجمع, فردّت الظهور إلى المعنى, ولم يقل ظهره, فيكون كالواحد الذي معناه ولفظه واحد. وكذلك تقول: قد كثر نساء الجند, وقلت: ورفع الجند أعينه ولم يقل عينه. قال: وكذلك كلّ ما أضفت إليه من الأسماء الموصوفة, فأخرجها على الجمع, وإذا أضفت إليه اسما في معنى فعل جاز جمعه وتوحيده, مثل قولك: رفع العسكر صوتَه, وأصواته أجود وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له في الاثنين إلاّ الصورة في الواحد.

وقال آخر منهم: قيل: لتستووا على ظهره, لأنه وصف للفلك, ولكنه وحد الهاء, لأن الفلك بتأويل جمع, فجمع الظهور ووحد الهاء, لأن أفعال كل واحد تأويله الجمع توحد وتجمع مثل: الجند منهزم ومنهزمون, فإذا جاءت الأسماء خرج على الأسماء لا غير, فقلت: الجند رجال, فلذلك جمعت الظهور ووحدت الهاء, ولو كان مثل الصوت وأشباهه جاز الجند رافع صوته وأصواته.

قوله: ثُمّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبّكُمْ يقول تعالى ذكره: ثم تذكروا نعمة ربكم التي أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكب في البرّ والبحر إذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ فتعظموه وتمجدوه, وتقولوا تنزيها لله الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه من هذه الفلك والأنعام, مما يصفه به المشركون, وتشرك معه في العبادة من الأوثان والأصنام وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23782ـ حدثنا أبو كُرَيب وعبيد بن إسماعيل الهباري, قالا: حدثنا المحاربيّ, عن عاصم الأحول, عن أبي هاشم عن أبي مجلّز, قال: ركبت دابة, فقلت: سُبْحانَ الّذِي سَخّرَ لَنا هَذَا وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ, فسمعني رجل من أهل البيت قال أبو كُرَيب والهباريّ: قال المحاربيّ: فسمعت سفيان يقول: هو الحسن بن عليّ رضوان الله تعالى عليهما, فقال: أهكذا أمرت؟ قال: قلت: كيف أقول؟ قال: تقول الحمد لله الذي هدانا الإسلام, الحمد لله الذي منّ علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام, الحمد لله الذي جعلنا في خير أمة أُخرجت للناس, فإذا أنت قد ذكرت نعما عظاما, ثم تقول بعد ذلك سُبْحانَ الّذِي سَخّرَ لَنا هَذَا وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ, وَإنّا إلى رَبّنا لَمُنْقَلِبُونَ.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي هاشم, عن أبي مجلّز, أن الحسن بن عليّ رضي الله عنه, رأى رجلاً ركب دابة, فقال: الحمد لله الذي سخر لنا هذا, ثم ذكر نحوه.

23783ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لِتَسْتَوُوا على ظُهُورِهِ ثُمّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبّكُمْ إذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ يعلمكم كيف تقولون إذا ركبتم في الفلك تقولون: بِسْمِ اللّه مَجْراها وَمُرْساها, إنّ رَبّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ, وإذا ركبتم الإبل قلتم: سُبْحانَ الّذِي سَخّرَ لَنا هَذَا وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ, وإنّا إلى رَبنَا لمُنْقَلِبُونَ ويعلمكم ما تقولون إذا نزلتم من الفلك والأنعام جميعا تقولون: اللهمّ أنزلنا منزلاً مباركا وأنت خير المنزلين.

23784ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه أنه كان إذا ركب قال: اللهمّ هذا من منّك وفضلك, ثم يقول: سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هَذَا وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ, وَإنّا إلى رَبّنَا لمُنْقَلِبُونَ.
وقوله: وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ وما كنا له مُطِيقين ولا ضابطين, من قولهم: قد أقرنت لهذا: إذا صرت له قرنا وأطقته, وفلان مقرن لفلان: أي ضابط له مُطِيق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23785ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ يقول: مُطِيقين.
23786ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله عَزّ وَجَلّ: مُقْرِنِينَ قال: الإبل والخيل والبغال والحمير.
23787ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ: أي مطيقين, لا والله لا في الأيدي ولا في القوّة.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ قال: في القوّة.
23788ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ قال: مطيقين.
23789ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قول الله جلّ ثناؤه: سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هَذَا وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ قال: لسنا له مطيقين, قال: لا نطيقها إلاّ بك, لولا أنت ما قوينا عليها ولا أطقناها.
وقوله: وَإنّا إلى رَبّنا لَمُنْقَلِبُون يقول جلّ ثناؤه: وليقولوا أيضا: وإنا إلى ربنا من بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون.

الآية : 15-17

القول في تأويل قوله تعالى: {وَجَعَلُواْ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنّ الإنسَانَ لَكَفُورٌ مّبِينٌ * أَمِ اتّخَذَ مِمّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ * وَإِذَا بُشّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرّحْمَـَنِ مَثَلاً ظَلّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون لله م ن خلقه نصيبا, وذلك قولهم للملائكة: هم بنات الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23790ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءا قال: ولدا وبنات من الملائكة.
23791ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءا قال: البنات.
وقال آخرون: عنى بالجزء هاهنا: العدل. ذكر من قال ذلك:
23792ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءا: أي عِدلاً.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءا: أي عِدلاً.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك, لأن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله: أمِ اتّخَذَ مِما يخْلُقُ بَناتٍ وأصْفاكُمْ بالبَنِينَ توبيخا لهم على قولهم ذلك, فكان معلوما أن توبيخه إياهم بذلك إنما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في إضافة البنات إلى الله جلّ ثناؤه.

وقوله: إنّ الإنْسانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ يقول تعالى ذكره: إن الإنسان لذو جحد لنِعم ربه التي أنعمها عليه مبين: يقول: يبين كفرانه نعمه عليه, لمن تأمله بفكر قلبه, وتدبر حاله.

وقوله: أمِ اتّخَذَ مِمّا يَخْلُقُ بَناتٍ يقول جلّ ثناؤه موبخا هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن الملائكة بناته: اتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات, وأنتم لا ترضون لأنفسكم, وأصفاكم بالبنين: يقول: وأخلصكم بالبنين, فجعلهم لكم وَإذَا بُشّرَ أحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ للرّحْمَن مَثَلاً يقول تعالى ذكره: وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاعلين لله من عباده جزءا بما ضرب للرحمن مثلاً: يقول: بما مثل لله, فشبهه شبها, وذلك ما وصفه به من أن له بنات. كما:

23793ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: بِمَا ضَرَبَ للرّحْمَن مَثَلاً قال: ولدا.

23794ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: بِما ضَرَبَ للرّحْمَن مَثَلاً بما جعل لله.

وقوله: ظَلّ وَجْهُهُ مُسْوَدّا يقول تعالى ذكره: ظلّ وجه هذا الذي بشّر بما ضرب للرحمن مثلاً من البنات مسودّا من سوء ما بشر به وَهُوَ كَظِيمٌ يقول: وهو حزين. كما:

23795ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَهُوَ كَظِيمٌ: أي حزين.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَمَن يُنَشّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: أو من ينبت في الحلية ويزين بها وَهُوَ فِي الخِصَامِ يقول: وهو في مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين, من خصمه ببرهان وحجة, لعجزه وضعفه, جعلتموه جزء الله من خلقه وزعمتم أنه نصيبه منهم, وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر منه وهو ما ذكرت.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: أوْ مَنْ يُنَشّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ, فقال بعضهم: عُنِي بذلك الجواري والنساء. ذكر من قال ذلك:

23796ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أوَ مَنْ يُنَشّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ قال: يعني المرأة.

23797ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن علقمة, عن مرثد, عن مجاهد, قال: رخص للنساء في الحرير والذهب, وقرأ أوْ مَنْ يُنَشّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَام غَيرَ مُبِينٍ قال: يعني المرأة.

23798ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله أوْ مَنْ يُنَشّأُ فِـي الْحِلْيَـةِ وَهُـوَ فِـي الخِصَـام غَيـرُ مُبِينٍ قال: الجواري جعلتموهنّ للرحمن ولدا, كيف تحكمون.
23799ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أوَ مَنْ يُنَشّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ قـال: الجـواري يسـفههنّ بذلك, غير مبين بضعفهنّ.
23800ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة أوْ مَنْ يُنَشّأُ فِي الْحِلْيَةِ يقول: جعلوا لـه البنـات وهـم إذا بشّـر أحـدهم بهنّ ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم. قال: وأما قـوله: وَهُـوَ فِـي الخِصَـامِ غَيـرُ مُبِينٍ يقول: قلما تتكلـم امـرأة فتريـد أن تتكلـم بحجتهـا إلاّ تكلمـت بالحجـة عليها.
23801ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ أوْ مَنْ يُنَشّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ قال: النساء.
وقال آخرون: عُنِي بذلك أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. ذكر من قال ذلك:
23802ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: أوْ مَنْ يُنَشّأُ فِي الْحِلْيةِ... الآيةِ, قال: هذه تماثيلهم التي يضربونها مـن فضة وذهب يعبدونها هم الذين أنشأوها, ضربوها من تلك الحلية, ثم عبـدوها وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ قال: لا يتكلم, وقرأ فإذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبينٌ.
وأولى القولين في ذلـكَ بالصـواب قـول مـن قـال: عنـي بـذلك الجـواري والنساء, لأن ذلك عقيب خبر الله عـن إضـافة المشـركين إليـه مـا يكرهـونه لأنفسهم مـن البنـات, وقلـة معرفتهـم بحقـه, وتحليتهـم إيـاه مـن الصـفات والبخل, وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم, والمنعم عليهـم النعـم الـتي عـددها في أوّل هذه السورة ما لا يرضونه لأنفسهم, فاتباع ذلك مـن الكلام مـا كـان نظيرا له أشبه وأولى من اتباعه ما لم يجر له ذكر.
واختلف القرّاء في قراءة قوله: أوَ مَنْ يُنَشّأُ فِي الْحِلْيَةِ فقرأته عامة قرّاء المدينـة والبصـرة وبعـض المكيـين والكـوفيين «أوْ مَـنْ يَنْشَـأُ» بفتـح اليـاء والتخفيف من نشأ ينشأ. وقرأته عامة قرّاء الكوفة يُنَشّأُ بضم اليـاء وتشـديد الشين من نُشّأته فهو ينَشّأ.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان في قرأة الأمصار, متقاربتا المعنى, لأن المنشّأ من الإنشـاء ناشـىء, والناشـىء منشأ, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وقد ذُكر أن ذلك في قـراءة عبـد اللـه «أوْ مَنْ لا يُنَشّأُ إلاّ فِي الْحِلْيَةِ», وفي «من» وجوه من الإعراب الرفـع علـى الاستئناف والنصب على إضمار يجعلون كأنه قيل: أو مـن ينشـأ فـي الحليـة يجعلون بنات الله. وقد يجوز النصب فيه أيضا على الردّ على قوله: أم اتخـذ مما يخلق بنات أو من ينشأ في الحلية, فيردّ «من» علـى البنـات, والخفـض على الردّ على «ما» التي في قوله: وَإذَا بُشّـرَ أحَـدُهُمْ بِمَـا ضَـرَبَ للرّحْمَـن مَثَلاً.
الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {وَجَعَلُواْ الْمَلاَئِكَةَ الّـذِينَ هُـمْ عِبَـادُ الرّحْمَـنِ إِنَاثاً أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هـم عبـاد الرحمن.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة «الّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرّحْمَنِ» بالنون, فكأنهم تأوّلوا في ذلك قول الله جلّ ثناؤه: إنّ الّـذِينَ عِنْـدَ رَبّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ فتأويل الكلام على هذه القراءة: وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه ويقدّسونه إناثا, فقالوا: هـم بنـات اللـه جهلاً منهـم بحـقّ الله, وجرأة منهم على قيل الكذب والباطل. وقرأ ذلـك عامـة قـرّاء الكوفـة والبصرة وَجَعَلوا المَلائِكَةَ الّذِينَ هُـمْ عِبـادُ الرّحْمَـنِ إناثـا بمعنـى: جمـع عبـد. فمعنى الكلام على قراءة هؤلاء: وجعلوا ملائكة الله الذين هم خلقـه وعبـاده بنات الله, فأنثوهم بوصفهم إياهم بأنهم إناث.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهمـا قراءتـان معروفتـان فـي قـرأة الأمصار صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصـيب, وذلـك أن الملائكـة عباد الله وعنده.

واختلفوا أيضا في قراءة قوله: أشَهِدُوا خَلْقَهُمْ فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة «أأشْهِدُوا خَلْقَهُمْ» بضم الألف, على وجه ما لم يسمّ فاعله, بمعنـى: أأشـهد الله هَؤلاء المشركين الجاعلين ملائكـة اللـه إناثـا, خلـق ملائكتـه الـذين هـم عنده, فعلموا ما هم, وأنهم إناث, فوصفوهم بذلك, لعلمهـم بهـم, وبرؤيتهـم إياهم, ثم رُدّ ذلـك إلـى مـا لـم يسـمّ فـاعله. وقُرىء بفتـح الألـف, بمعنـى: أشهدوا هم ذلك فعلموه؟

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ يقول تعالى ذكره: ستكتب شهادة هؤلاء القائلين: الملائكة بنات الله في الدنيا, بما شهدوا به عليهـم, ويُسـألون عـن شـهادتهم تلك في الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها, ولن يجدوا إلى ذلك سبيلاً.

الآية : 20-21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ الرّحْمَـنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مّا لَهُـم بِذَلِكَ مِنْ عِلْـمٍ إِنْ هُـمْ إِلاّ يَخْرُصُـونَ * أَمْ آتَيْنَـاهُمْ كِتَابـاً مّـن قَبْلِـهِ فَهُـم بِـهِ مُسْتَمْسِكُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أوثاننا التي نعبدها من دونه, وإنما لم يحلّ بنا عقوبة على عبادتنـا إياهـا لرضاه منا بعبادتناها. كما:

23803ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: لَوْ شاءَ الرّحْمَنُ ما عَبَدْناهُمْ للأوثان يقـول اللـه عـزّ وجلّ ما لَهُمْ بِذَلكَ مِنْ عِلْم يقول: ما لهم بحقيقـة مـا يقولـون مـن ذلـك مـن علم, وإنما يقولونه تخرّصا وتكذّبا, لأنهم لا خبر عندهم مني بذلك ولا بُرْهـان. وإنما يقولونه ظنا وحسبانا إنْ هُمْ إلاّ يَخْرُصُونَ يقول: ما هـم إلاّ متخرّصـون هذا القول الذي قالوه, وذلـك قـولهم لـوْ شـاءَ الرّحْمَـنُ مـا عَبَـدْناهُمْ. وكـان مجاهد يقول في تأويل ذلك, ما:

23804ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنا الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إنْ هُمْ إلاّ يَخْرُصُونَ ما يعلمون قُدرة الله على ذلك.

وقوله: أمْ آتَيْناهُمْ كِتابا مِنْ قَبْلِهِ يقول تعالى ذكره ما آتينا هؤلاء المتخرّصين القائلين لو شاء الرحمن ما عبدنا الآلهة كتابا بحقيقة ما يقولون من ذلك, من قبل هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد فهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ يقول: فهم بذلك الكتاب الذي جاءهم من عندي من قبل هذا القرآن, مستمسكون يعملون به, ويدينون بما فيه, ويحتجون به عليك.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ قَالُوَاْ إِنّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَىَ أُمّةٍ وَإِنّا عَلَىَ آثَارِهِم مّهْتَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما آتينا هؤلاء القائلين: لو شاء الرحمن ما عبدنا هؤلاء الأوثان بالأمر بعبادتها, كتابا من عندنا, ولكنهم قالوا: وجدنا آباءنا الذين كانوا قبلنا يعبدونها, فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها وعنى جلّ ثناؤه بقوله: بَلْ وَجَدْنا آباءَنا على أُمّةٍ بل وجدنا آباءنا على دين وملة, وذلك هو عبادتهم الأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23805ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قوله: على أُمّةٍ: مِلّة.

23806ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمّةٍ يقول: وجدنا آباءنا على دين.

23807ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمّةٍ قال: قد قال ذلك مشركو قريش: إنا وجدنا آباءنا على دين.

23808ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط عن السديّ قالُوا إنّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمّةٍ قال: على دين.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: على أُمّةٍ فقرأته عامة قرّاء الأمصار على أُمّةٍ بضم الألف بالمعنى الذي وصفت من الدين والملة والسنة. وذُكر عن مجاهد وعمر بن عبد العزيز أنهما قرآه «على إمّةٍ» بكسر الألف. وقد اختُلف في معناها إذا كُسرت ألفها, فكان بعضهم يوجه تأويلها إذا كُسرت على أنها الطريقة وأنها مصدر من قول القائل: أممت القوم فأنا أؤمهم إمّة. وذُكر عن العرب سماعا: ما أحسن عمته وإمته وجلسته إذا كان مصدرا. ووجهه بعضهم إذا كُسرت ألفها إلى أنها الإمة التي بمعنى النعيم والمُلك, كما قال عديّ ابن زيد:

ثُمّ بَعْدَ الفَلاحِ وَالمُلْكِ والإمّة وَارَتّهُمْ هُناكَ القُبورُ

وقال: أرادَ إمامة الملك ونعيمه. وقال بعضهم: (الأُمّة بالضم, والإمّة بالكسر بمعنى واحد).

والصواب من القراءة في ذلك الذي لا أستجيز غيره: الضمّ في الألف لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه. وأما الذين كسروها فإني لا أراهم قصدوا بكسرها إلاّ معنى الطريقة والمنهاج, على ما ذكرناه قبلُ, لا النعمة

والملك, لأنه لا وجه لأن يقال: إنا وجدنا آباءنا على نعمة ونحن لهم متبعون في ذلك, لأن الاتباع إنما يكون في الملل والأديان وما أشبه ذلك لا في الملك والنعمة, لأن الاتباع في الملك ليس بالأمر الذي يصل إليه كلّ من أراده.

وقوله: وَإِنّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ يقول: وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون, يعني: لهم متبعون على منهاجهم. كما:

23809ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَإِنّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ يقول: وإنا على دينهم.

23810ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإِنّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ يقول: وإنا متبعوهم على ذلك.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مّن نّذِيرٍ إِلاّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَىَ أُمّةٍ وَإِنّا عَلَىَ آثَارِهِم مّقْتَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله, وقالوا مثل قولهم, لم نرسل مِن قبلك يا محمد في قرية, يعني إلى أهلها رسلاً تنذرهم عقابنا على كفرهم بنا فأنذروهم وحذّروهم سخطنا, وحلول عقوبتنا بهم إلاّ قال مُتْرَفوها, وهم رؤساؤهم وكبراؤهم. كما:

23811ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: إلاّ قالَ مُتْرَفُوها قال: رؤساؤهم وأشرافهم.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وكَذلكَ ما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إلاّ قالَ مُتْرَفُوها قادتهم ورؤوسهم في الشرك.

وقوله: إِنّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمّةٍ يقول: قالوا: إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين وَإِنّا على آثارِهِمْ يعني: وإنا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم نفعل كالذي فعلوا, ونعبد ما كانوا يعبدون يقول جلّ ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم: فإنما سلك مشركو قومك منهاج من قبلهم من إخوانهم من أهل الشرك بالله في إجابتهم إياك بما أجابوك به, وردّهم ما ردّوا عليك من النصيحة, واحتجاجهم بما احتجوا به لمُقامهم على دينهم الباطل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23812ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَإِنّا على آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ قال بفعلهم.

23813ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإِنّا على آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ فاتبعوهم على ذلك.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىَ مِمّا وَجَدتّمْ عَلَيْهِ آبَآءَكُمْ قَالُوَاْ إِنّا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك, القائلين إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون أوَ لَوْ جِئْتُكُمْ أيها القوم من عند ربكم بأَهْدَى إلى طريق الحقّ, وأدلّ

لكم على سبيل الرشاد مِمّا وَجَدْتُمْ أنتم عليه آباءكم من الدين والمِلّة, قـالُوا إنّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ يقول: فقال ذلك لهم, فأجابوه بـأن قـالوا لـه كمـا قال الذين من قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها لأنبيائها: إنا بما أرسـلتم بـه يـا أيها القوم كافرون, يعني: جاحدون منكرون. وقرأ ذلك قرّاء الأمصـار سـوى أبي جعفر قُلْ أوَ لَوْ جِئْتُكُمْ بالتاء. وذُكر عن أبي جعفر القارىء أنه قرأه «قُلْ أوَ لَوْ جِئْناكُمْ» بالنون والألف. والقراءة عندنا ما عليه قـرّاء الأمصـار لإجمـاع الحجة عليه.

الآية : 25

القول في تأويـل قـوله تعـالى: {فَانتَقَمْنَـا مِنْهُـمْ فَـانظُرْ كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الْمُكَذّبِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فانتقمنا من هؤلاء المكذّبة رسلها من الأمـم الكـافرة بربها, بإحلالنا العقوبة بهم, فانظر يا محمد كيف كان عقبى أمرهم, إذ كـذّبوا بآيات الله. ويعني بقوله: عاقِبَةُ المُكَذّبِينَ آخر أمـر الـذين كـذّبوا رسـل اللـه إلام صار, يقول: ألم نهلكهم فنجعلهم عبرة لغيرهم؟ كما:

23814ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فانْظُرْ كَيْـفَ كانَ عاقِبَـةُ المُكَـذّبِينَ قـال: شـرّ واللـه, أخـذهم بخسف وغرق, ثم أهلكهم فأدخلهم النار.

الآية : 26-28

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنّنِي بَـرَآءٌ مّمّـا تَعْبُدُونَ * إِلاّ الّذِي فَطَرَنِي فَإِنّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَـا كَلِمَـةً بَاقِيَـةً فِـي عَقِبِـهِ لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَإذْ قالَ إبْراهِيمُ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ الذين كـانوا يعبـدون مـا يعبده مشركو قومك يا محمد إنّنِي بَرَاءٌ مِمّا تَعْبُدُونَ من دون اللـه, فكـذّبوه, فانتقمنا منهم كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها. وقيل: إنّنِـي بَرَاءٌ مِمّا تَعْبُدُونَ فوضع البراء وهـو مصـدر موضـع النعـت, والعـرب لا تثنـي البراء ولا تجمع ولا تؤنث, فتقول: نحن البَرَاء والخلاء: لِما ذكرت أنه مصـدر, وإذا قالوا: هو برىء منك ثنوا وجمعوا وأنّثوا, فقالوا: هما بريئان منـك, وهـم بريئون منك. وذُكر أنها في قراءة عبد الله: «إنّنِي بَرِىءٌ» بالياء, وقـد يجمـع برىء: بَرَاء وأبْراء إلاّ الّذِي فَطَرَنِي يقول: إني برىء مما تعبدون مـن شـيء إلاّ من الذي فطرني, يعني الذي خلقني فإنّهُ سَيَهْدِينِ يقول: فإنه سـيقوّمني للدين الحقّ, ويوفقني لاتباع سبيل الرشد. وبنحـو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23815ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإذْ قالَ إبْرَاهِيمُ لأبيه وقومِهِ... الآية, قال: كايـدهم, كـانوا يقولـون: إن اللـه ربّنا وَلَئِنْ سَألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السّـمَوَاتِ, وَالأرْضَ لَيَقُـولُنّ اللّـهُ, فلـم يـبرأ مـن ربه.

23816ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قـوله: إنّنِـي بَـرَاءٌ مِمّـا تَعْبُـدونَ يقـول: إننـي برى ء ممـا تعبـدون «إلاّ الّـذِي خَلَقَنِي».

23817ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ إلاّ الّذِي فَطَرَنِي قال: خلقني.

وقوله: وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ يقول تعالى ذكره: وجعل قوله: إنّنِي بَراءٌ مِمّا تَعْبُدُونَ إلاّ الّذِي فَطَرَنِي وهو قول: لا إله إلا الله, كلمة باقية في عقبه, وهم ذرّيته, فلم يزل في ذرّيته من يقول ذلك من بعده. واختلف أهل التأويل في معنى الكلمة التي جعلها خليل الرحمن باقية في عقبه, فقال بعضهم: بنحو الذي قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

23818ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ قال: لا إله إلا الله.

23819ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً قال: شهادة أن لا إله إلا الله, والتوحيد لم يزل في ذرّيته من يقولها من بعده.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ قال: التوحيد والإخلاص, ولا يزال في ذرّيته من يوحد الله ويعبده.

23820ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَجَعَلها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ قال: لا إله إلا الله. وقال آخرون: الكلمة التي جعلها الله في عقبه اسم الإسلام. ذكر من قال ذلك:

23821ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ فقرأ إذْ قالَ لَهُ رَبّهُ أسْلِمْ, قالَ أسْلَمْتُ لِرَبّ العَالَمِينَ قال: جعل هذه باقية في عقبه, قال: الإسلام, وقرأ هُوَ سَمّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ فقرأ وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لك. وبنحو ما قلنا في معنى العقب قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23822ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فِي عَقِبِهِ قال: ولده.

23823ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ قال: يعني من خلَفه.

23824ـ حدثني محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فِي عَقِبِهِ قال: في عقب إبراهيم آل محمد صلى الله عليه وسلم.

23825ـ حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا ابن أبي فديك, قال: حدثنا ابن أبي ذئب, عن ابن شهاب أنه كان يقول: العقب: الولد, وولد الولد.

23826ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد فِي عَقِبِهِ قال: عقبه: ذرّيته.

وقوله: لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم, ويثوبوا إلى عبادته, ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23827ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ: أي يتوبون, أو يذّكرون.

الآية : 29-30

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ مَتّعْتُ هَـؤُلاَءِ وَآبَآءَهُمْ حَتّىَ جَآءَهُمُ الْحَقّ وَرَسُولٌ مّبِينٌ * وَلَمّا جَآءَهُمُ الْحَقّ قَالُواْ هَـَذَا سِحْرٌ وَإِنّا بِهِ كَافِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: بَلْ مَتّعْتُ يا محمد هَؤُلاءِ المشركين من قومك وآباءَهُمْ من قبلهم بالحياة, فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءَهُمُ الحَقّ يعني جلّ ثناؤه بالحقّ: هذا القرآن: يقول: لم أهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم الكتاب, وبعثت فيهم رسولاً مبينا. يعني بقوله: وَرَسُولٌ مُبِينٌ: محمدا صلى الله عليه وسلم, والمبين: أنه يبين لهم بالحجج التي يحتجّ بها عليهم أنه لله رسول محقّ فيما يقول وَلَمّا جاءَهُمُ الحَقّ يقول جلّ ثناؤه: ولما جاء هؤلاء المشركين القرآنُ من عند الله, ورسول من الله أرسله إليهم بالدعاء إليه قالُوا هَذَا سِحْرٌ يقول: هذا الذي جاءنا به هذا الرسول سحر يسحرنا به, ليس بوحي من الله وَإنّا بِهِ كافِرُونَ يقول: قالوا: وإنا به جاحدون, ننكر أن يكون هذا من الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23828ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَلَمّا جاءَهُمُ الحَقّ قالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإنّا بِهِ كافِرُونَ قال: هؤلاء قريش قالوا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم: هذا سحر.

الآية : 31-32

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزّلَ هَـَذَا الْقُرْآنُ عَلَىَ رَجُلٍ مّـنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لّيَتّخِـذَ بَعْضُـهُم بَعْضـاً سُـخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبّكَ خَيْرٌ مّمّا يَجْمَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش لما جاءهم القرآن من عند الله: هذا سحر, فإن كان حقا فهلا نزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين مكة أو الطائف.

واختُلف في الرجل الذي وصفوه بأنه عظيم, فقالوا: هلاّ نزل عليه هذا القرآن, فقال بعضهم: هلاّ نزل على الوليد بن المُغيرة المخزومي من أهل مكة, أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من أهل الطائف؟. ذكر من قال ذلك:

23829ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لَوْلا نُزّلَ هَـذَا القُـرْآنُ عَلـى رَجُـلٍ مِـنَ القَرْيَتَيْنَ عَظِيمٍ قال: يعني بالعظيم: الوليد بن المغيرة القرشيّ, أو حبيب بن عمرو بن عُمير الثقفي, وبالقريتين: مكة والطائف.

وقال آخرون: بل عُنِي به عُتْبةُ بن ربيعة من أهل مكة, وابن عبد ياليل, من أهل الطائف. ذكر من قال ذلك:

23830ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ قال عتبة بن ربيعة من أهل مكة, وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف.

وقال آخرون: بل عني به من أهل مكة: الوليد بن المُغيرة, ومن أهل الطائف: ابن مسعود. ذكر من قال ذلك:

23831ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ قال: الرجل: الوليد بن المغيرة, قال: لو كان ما يقول محمد حقا أنزل عَلَىّ هذا, أو على ابن مسعود الثقفي,

والقريتان: الطائف ومكة, وابن مسعود الثقفي من الطائف اسمه عروة بـن مسعود.

23832ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَـوْلا نُـزّلَ هَـذَا القُـرآنُ علـى رَجُـلٍ مِـنَ القَرْيَتَيْـنِ عَظِيـمٍ والقريتـان: مكـة والطائف قال: قد قال ذلك مشركو قريش, قال: بلغنـا أنـه ليـس فخـذ مـن قريش إلا قد ادّعته, وقـالوا: هـو منـا, فكنـا نحـدّث أن الرجليـن: الوليـد بـن المغيرة, وعروة الثقفي أبو مسعود, يقولون: هلا كان أنزل على أحـد هـذين الرجلين.

23833ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب: قال ابن زيـد, فـي قـوله: لَوْلا نُزّلَ هَذَا القُرآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ قال: كان أحد العظيميـن عروة بن مسعود الثقفي, كان عظيم أهل الطائف.

وقال آخرون: بل عني به من أهل مكـة: الوليـد بـن المغيـرة, ومـن أهـل الطائف: كنانة بن عَبدِ بن عمرو. ذكر من قال ذلك:

23834ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ وَقالُوا لَوْلا نُزّلَ هَذَا القُرآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْـن عَظِيـمٍ قـال: الوليـد بـن المغيرة القرشي, وكنانة بن عبد بن عمرو بن عمير, عظيمَ أهل الطائف.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جلّ ثنـاؤه, مخـبرا عـن هؤلاء المشركين وَقالُوا لَوْلا نُزّلَ هَذَا القُرآنَ على رَجُل مِنَ القَرْيَتَيْـنِ عَظِيـمٍ إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء, ولم يضع اللـه تبـارك وتعـالى لنـا الدلالـةَ على الذين عُنُوا منهم فـي كتـابه, ولا علـى لسـان رسـوله صـلى اللـه عليـه وسلم, والاختلاف فيه موجود على ما بيّنت.

وقوله: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبّكَ يقول تعالى ذكره: أهؤلاء القائلون: لـولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريـتين عظيـم يـا محمـد, يقسـمون رحمـة ربك بين خلقه, فيجعلون كرامته لمـن شـاؤوا, وفضـله لمـن أرادوا, أم اللـه الذي يقسم ذلك, فيعطه من أحبّ, ويحرمه مَنْ شاء؟. وبنحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23835ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا بشر بن عمارة, عن أبي رَوْق, عن الضحاك عـن ابـن عبـاس, قـال: لمـا بعـث اللـه محمدا رسولاً, أنكرت العرب ذلك, ومن أنكر منهم, فقالوا: الله أعظـم مـن أن يكون رسوله بشرا مثل محمد, قال: فأنزل الله عـزّ وجـلّ: أكـانَ للنّـاس عَجَبا أَنْ أَوْحَيْنا إلى رَجُل مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِر النّاسَ وقال وَما أَرْسَلْنا مِـنْ قَبْلِـكَ إلاّ رِجالاً نُوحِي إلَيْهِمْ, فاسْئَلُوا أَهْلَ الذّكْر يعنـي: أهـل الكتـب الماضـية, أبشـرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أتتكم, وإن كانوا بشـرا فلا تنكرون أن يكون محمد رسولاً: قال: ثم قال: وَمـا أَرْسَـلَنا مِـنْ قَبْلِـكَ إلاّ رِجالاً نُوحِي إلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ القُرَى: أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم ق ال: فلما كرّر الله عليهـم الحجـج قـالوا, وإذ كـان بشـرا فغيـر محمـد كـان أحـقّ بالرسالة فلَوْلا نُزّلَ هَـذَا القُـرآنَ علـى رَجُـل مِـنَ القَرْيَتَيْـنِ عَظِيـمٍ يقولـون: أشـرف مـن محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم, يعنـون الوليـد بـن المغيـرة المخزومي, وكان يسمى ريحانة قريش, هذا من مكـة, ومسـعود بـن عمـرو بن عبيد الله الثقفي من أهل الطائف, قال: يقول اللـه عـزّ وجـلّ ردّا عليهـم أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبّكَ أنا أفعل ما شئت.

وقوله: نَحْن قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَياةِ الدّنيْا يقول تعالى ذكره: بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا, فنجعل من شئنا رسولاً, ومن أردنا صدّيقا, ونتخذ من أردنا خليلاً, كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات, فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة, بل جعلنا هذا غنيا, وهذا فقيرا, وهذا ملكا, وهذا مملوكا لِيَتّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضا سُخْرِيّا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23836ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال الله تبارك وتعالى أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَياةِ الدّنيْا فتلقاه ضعيف الحيلة, عيي اللسان, وهو مبسوط له في الرزق, وتلقاه شديد الحيلة, سليط اللسان, وهو مقتور عليه, قال الله جلّ ثناؤه: نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَياةِ الدّنيْا كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى.

وقوله: لِيَتّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضا سُخْرِيّا يقول: ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه, وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل, يقول: جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا في المعاش في الدنيا.

وقد اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله: لِيتّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضا سُخْرِيّا فقال بعضهم: معناه ما قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

23837ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: لِيَتّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضا سُخْرِيّا قال: يستخدم بعضهم بعضا في السخرة.

23838ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لِيَتّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضا سُخْرِيّا قال: هم بنو آدم جميعا, قال: وهذا عبد هذا, ورفع هذا على هذا درجة, فهو يسخره بالعمل, يستعمله به, كما يقال: سخر فلان فلانا.

وقال بعضهم: بل عنى بذلك: ليملك بعضهم بعضا. ذكر من قال ذلك:

23839ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, عن الضحاك, في قوله: لِيَتّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضا سُخْرِيّا يعني بذلك: العبيد والخدم سخر لهم.

23840ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لِيَتّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضا سُخْرِيّا مِلْكة.

وقوله: وَرَحْمَةُ رَبّكَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ يقول تعالى ذكره: ورحمة ربك يا محمد بإدخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَرَحْمَةُ رَبّكَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ يعني الجنة.

23841ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَرَحْمَةُ رَبّكَ يقول: الجنة خير مما يجمعون في الدنيا.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً لّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرّحْمَـنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مّن فِضّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَلَوْلا أن يَكُونَ النّاسُ أُمّةً: جماعة واحدة.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي لم يؤمن اجتماعهم عليه, لو فعل ما قال جلّ ثناؤه, وما به لم يفعله من أجله, فقال بعضهم: ذلك اجتماعهم على الكفر. وق ال: معنى الكلام: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على الكفر, فيصيرَ جميعهم كفارا لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرّحمَنِ لبُيُوتِهِمْ سُقُفا مِنْ فِضّةٍ ذكر من قال ذلك.

23842ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً يقول الله سبحانه: لولا أن أجعل الناس كلهم كفارا, لجعلت للكفار لبيوتهم سقفا من فضة.

23843ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة بن خليفة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً قال: لولا أن يكون الناس كفارا أجمعون, يميلون إلى الدنيا, لجعل الله تبارك وتعالى الذي قال, ثم قال: والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها, وما فعل ذلك, فكيف لو فعله.

23844ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً: أي كفارا كلهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً قال: لولا أن يكون الناس كفارا.

23845ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً يقول: كفارا على دين واحد.

وقال آخرون: اجتماعهم على طلب الدنيا وترك طلب الآخرة. وقال: معنى الكلام: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على طلب الدنيا ورفض الآخرة. ذكر من قال ذلك:

23846ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَوْلا أنْ يَكُونَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً قال: لولا أن يختار الناس دنياهم على دينهم, لجعلنا هذا لأهل الكفر.

وقوله: لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرّحْمَن لِبُيُوتِهِمْ سُقْفا مِنْ فِضّةٍ يقول تعالى ذكره: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن في الدنيا سقفا, يعني أعالي بيوتهم, وهي السطوح فضة. كما:

23847ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لِبُيُوتِهِمْ سُقُفا مِنْ فِضّةٍ السُقُف: أعلى البيوت.

واختلف أهل العربية في تكرير اللام التي في قوله: لِمَنْ يَكْفُرُ, وفي قوله: لِبُيُوتِهِمْ, فكان بعض نحويي البصرة يزعم أنها أدخلت في البيوت على البدل. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: إن شئت جعلتها في لِبُيُوتِهِمْ مكرّرة, كما في يَسْئَلُونَكَ عَن الشّهْرِ الحَرَام قِتالٍ فِيهِ, وإن شئت جعلت اللامين مختلفتين, كأن الثانية في معنى على, كأنه قال: جعلنا لهم على بيوتهم سقفا. قال: وتقول العرب للرجل في وجهه: جعلت لك لقومك الأعطية: أي جعلته من أجلك لهم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: «سَقْفا» فقرأته عامة قرّاء أهل مكة وبعض المدنيين وعامة البصريين سَقْفا بفتح السين وسكون القاف اعتبارا منهم ذلك بقوله: فَخَرّ عَلَيْهِمُ السّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وتوجيها منهم ذلك إلى أنه بلفظ واحد معناه الجمع. وقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة سُقُفا بضم السين والقاف, ووجّهوها إلى أنها جمع سقيفة أو سقوف. وإذا وجهت إلى أنها جمع سقوف كانت جمع الجمع, لأن السقوف: جمع سَقْف, ثم تجمع

السقوف سُقُفا, فيكون ذلك نظير قراءة من قرأه فرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ بضم الراء والهاء, وهي الجمع, واحدها رهان ورهون, وواحد الرهون والرهان: رَهْن. وكذلك قراءة من قرأ كُلُوا مِنْ ثُمُرِهِ بضم الثاء والميم, ونظير قول الراجز:
(حتى إذَا ابْتَلّتْ حَلاقِيمُ الحُلُقْ)
وقد زعم بعضهم أن السّقُف بضم السين والقاف جمع سَقْف, والرّهُن بضم الراء والهاء جمع رَهْن, فأغفل وجه الصواب في ذلك, وذلك أنه غير موجود في كلام العرب اسم على تقدير فعل بفتح الفاء وسكون العين مجموعا على فُعُل, فيجعل السّقُف والرّهُن مثله.
والصواب من القول في ذلك عندي, أنهما قراءتان متقاربتا المعنى, معروفتان في قرأة الأمصار, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.
وقوله: وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ يقول: ومراقي ودَرَجا عليها يصعدون, فيظهرون على السقف والمعارج: هي الدرج نفسها, كما قال المثنى بن جندل:
(يا رَبّ البَيْتِ ذي المَعارِج)
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23848ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وَمَعارِجَ قال: معارج من فضة, وهي درج.
23849ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ: أي دَرجا عليها يصعدون.
23850ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ قال: المعارج: المراقي.
حدثنا محمد, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَمَعَارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ قال: دُرُج عليها يُرفعون.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن ابن عباس قوله: وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ قال: درج عليها يصعدون إلى الغرف.
23851ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ قال: المعارج: درج من فضة.

الآية : 34-35

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتّكِئُونَ * وَزُخْرُفاً وَإِن كُلّ ذَلِكَ لَمّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبّكَ لِلْمُتّقِينَ }.
يقول تعالى ذكره: وجعلنا لبيوتهم أبوابا من فضة, وسُرُرا من فضة. كما:
23852ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, وسُررا قال: سرر فضة.
23853ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلِبُيُوتِهِمْ أبْوَابا وسرُرا عَلَيْها يَتّكِئُونَ قال: الأبواب من فضة, والسرر من فضة عليها يتكئون, يقول: على السرر يتكئون.
وقوله: وَزُخْرُفا يقول: ولجعلنا لهم مع ذلك زخرفا, وهو الذهب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23854ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وَزُخْرُفا وهو الذهب.

23855ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَزُخْرُفا قال: الذهب. وقال الحسن: بيت من زُخرف, قال: ذهب.
23856ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَزُخْرُفا الزخرف: الذهب, قال: قد والله كانت تكره ثياب الشهرة. وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إيّاكُمْ والحُمْرَةَ فإنّها مِنْ أحَبّ الزّينَةِ إلى الشّيْطانِ».
23857ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَزُخْرُفا قال: الذهب.
حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَزُخْرُفا قال: الذهب.
23858ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَزُخْرُفا لجعلنا هذا لأهل الكفر, يعني لبيوتهم سقفا من فضة وما ذكر معها. والزخرف سمى هذا الذي سمى السقف, والمعارج والأبواب والسرر من الأثاث والفرش والمتاع.
23859ـ حُدثت عن الحسن, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَزُخْرُفا يقول: ذهبا. والزخرف على قول ابن زيد: هذا هو ما تتخذه الناس في منازلهم من الفرش والأمتعة والآلات.
وفي نصب الزخرف وجهان: أحدهما: أن يكون معناه: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومن زخرف, فلما لم يكرّر عليه من نصب على إعمال الفعل فيه ذلك, والمعنى فيه: فكأنه قيل: وزخرفا يجعل ذلك لهم منه. والوجه الثاني: أن يكون معطوفا على السرر, فيكون معناه: لجعلنا لهم هذه الأشياء من فضة, وجعلنا لهم مع ذلك ذهبا يكون لهم غنى يستغنون بها, ولو كان التنزيل جاء بخفض الزخرف لكان: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومن زخرف, فكان الزخرف يكون معطوفا على الفضة. وأما المعارج فإنها جُمعت على مفاعل, وواحدها معراج, على جمع مِعرج, كما يجمع المفتاح مفاتح على جمع مفتح, لأنهما لغتان: معرج, ومفتح, ولو جمع معاريج كان صوابا, كما يجمع المفتاح مفاتيح, إذ كان واحده معراج.
وقوله: وَإنْ كُلّ ذلكَ لَمّا مَتاعُ الحَياةِ الدّنيْا يقول تعالى ذكره: وما كلّ هذه الأشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج والأبواب والسرر من الفضة والزخرف, إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا وَالاَخِرَةُ عِنْدَ رَبّكَ لَلْمُتّقِينَ يقول تعالى ذكره: وزين الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين, الذين اتقوا الله فخافوا عقابه, فجدّوا في طاعته, وحذروا معاصيه خاصة دون غيرهم من خلق الله. كما:
23860ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَالاَخِرَةُ عِنْدَ رَبّكَ لِلْمُتّقِينَ خصوصا.

الآية : 36-37

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرّحْمَنِ نُقَيّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنّهُمْ لَيَصُدّونَهُمْ عَنِ السّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنّهُم مّهْتَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن يُعْرِض عن ذكر الله فلم يخف سطوته, ولم يَخْشَ عقابه نُقَيّضْ لَهُ شَيْطانا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ يقول: نجعل له شيطانا يغويه فهو له قرين: يقول: فهو للشيطان قرين, أي يصير كذلك, وأصل العشو: النظر بغير ثبت لعلة في العين, يقال منه: عشا فلان يعشو عشوا وعشوّا: إذا ضعف بصره, وأظلمت عينه, كأن عليه غشاوة, كما قال الشاعر:

مَتى تَأتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِتَجِدْ حَطَبا جَزْلاً وَنارا تَأَجّجا

يعني: متى تفتقر فتأته يعنك. وأما إذا ذهب البصر ولم يبصر, فإنه يقال فيه: عَشِيَ فلان يَعْشَى عَشًى منقوص, ومنه قول الأعشي:

رأتْ رَجُلاً عائِبَ الوَافِدَيْنِمُخْتَلِفَ الخَلْقِ أعْشَى ضَرِيرَا

يقال منه: رجل أعشى وامرأة عشواء. وإنما معنى الكلام: ومن لا ينظر في حجج الله بالإعراض منه عنه إلا نظرا ضعيفا, كنظر من قد عَشِي بصره نُقَيّضْ لَهُ شَيْطانا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23861ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرّحْمَنِ نُقَيّضْ لَهُ شَيْطانا يقول: إذا أعرض عن ذكر الله نقيض له شيطانا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ.

23862ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السدّي, في قوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرّحْمَنِ قال: يعرض.

وقد تأوّله بعضهم بمعنى: ومن يعمَ, ومن تأوّل ذلك كذلك, فيجب أن تكون قراءته وَمَنْ يَعْشَ بفتح الشين على ما بيّنت قبل. ذكر من تأوّله كذلك:

23863ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرّحْمَنِ قال: من يعمَ عن ذكر الرحمن.

وقوله: وإنّهُمْ لَيَصُدّونَهُمْ عَنِ السّبِيلِ يقول تعالى ذكره: وإن الشياطين ليصدّون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله, عن سبيل الحقّ, فيزينون لهم الضلالة, ويكرّهون إليهم الإيمان بالله, والعمل بطاعته وَيَحْسَبُونَ أنّهُمْ مُهْتَدُونَ يقول: ويظنّ المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلالة, أنهم على الحقّ والصواب, يخبر تعالى ذكره عنهم أنهم من الذي هم عليه من الشرك على شكّ وعلى غير بصيرة. وقال جلّ ثناؤه: وإنّهُمْ لَيَصُدّونَهُمْ عَنِ السّبِيلِ فأخرج ذكرهم مخرج ذكر الجميع, وإنما ذُكر قبل واحدا, فقال: نُقَيّضْ لَهُ شَيْطانا لأن الشيطان وإن كان لفظه واحدا, ففي معنى جمع.

الآية : 38-39

القول في تأويل قوله تعالى: {حَتّىَ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظّلَمْتُمْ أَنّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: حتى إذَا جاءَنا فقرأته عامة قرّاء الحجاز سوى ابن محيصن, وبعض الكوفيين وبعض الشاميين «حتى إذَا جاءانا» على التثنية بمعنى: حتى إذا جاءنا هذا الذي عَشِيَ عن ذكر الرحمن, وقرينه الذي قيض له من الشياطين. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة وابن محيصن: حتى إذَا جاءَنا على التوحيد, بمعنى: حتى إذا جاءنا هذا العاشي من بني آدم عن ذكر الرحمن.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وذلك أنّ في خبر الله تبارك وتعالى عن حال أحد الفريقين عند مقدمه عليه فيما أقرنا فيه في الدنيا, الكفاية للسامع عن خبر الآخر, إذ كان الخبر عن حال أحدهما معلوما به خبر حال الآخر, وهما مع ذلك قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23864ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: حتى إذَا جاءَانا هو وقرينه جميعا.

وقوله: يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المُشْرقَيْنِ يقول تعالى ذكره: قال أحد هذين القرينين لصاحبه الآخر: وددت أن بيني وبينك بعد المشرقين: أي بُعد ما بين المشرق والمغرب, فغلب اسم أحدهما على الآخر, كما قيل: شبه القمرين, وكما قال الشاعر:

أَخَذْنا بآفاقِ السّماءِ عَلَيْكُمُلنَا قَمَرَاهَا والنّجُومُ الطّوَالِعُ

وكما قال الآخر:

فَبَصْرَةُ الأزْدِ مِنّا والعِرَاقُ لنَاوالمَوْصِلانِ وَمِنّا مِصْرُ والحَرَمُ

يعني: الموصل والجزيرة, فقال: الموصلان, فغلب الموصل.

وقد قيل: عنى بقوله بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ: مشرق الشتاء, ومشرق الصيف, وذلك أن الشمس تطلع في الشتاء من مشرق, وفي الصيف من مشرق غيره وكذلك المغرب تغرب في مغربين مختلفين, كما قال جلّ ثناؤه: رَبّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبّ المَغْرِبَينِ.

وذُكر أن هذا قول أحدهما لصاحبه عند لزوم كل واحد منهما صاحبه حتى يورده جهنم. ذكر من قال ذلك:

23865ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن سعيد الجريري, قال: بلغني أن الكافر إذا بُعث يوم القيامة من قبره, سفعَ بيده الشيطان, فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار, فذلكم حين يقول: يا ليت بيني وبينك بُعد المشرقين, فبئس القرين. وأما المؤمن فيوكّل به مَلك فهو معه حتى قال: إما يفصل بين الناس, أو نصير إلى ما شاء الله.

وقوله: وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اليَوْمَ أيها العاشون عن ذكر الله في الدنيا إذْ ظَلَمْتُمْ أنّكُمْ فِي العَذَابِ مُشْتركُونَ يقول: لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه, لأن لكلّ واحد منكم نصيبه منه, و«أنّ» من قوله أنّكُمْ في موضع رفع لما ذكرت أن معناه: لن ينفعكم اشتراككم.

الآية : 40-42

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصّمّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ * فَإِمّا نَذْهَبَنّ بِكَ فَإِنّا مِنْهُم مّنتَقِمُونَ * أَوْ نُرِيَنّكَ الّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنّا عَلَيْهِمْ مّقْتَدِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أفأنْتَ تُسْمِعُ الصّمّ: من قد سلبه الله استماع حججه التي احتجّ بها في هذا الكتاب فأصمه عنه, أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبصاره, واستحوذ عليه الشيطان, فزيّن له الرّدَى وَمَنْ كانَ في ضَلال مُبِينٍ يقول: أو تهدي من كان في جور عن قصد السبيل, سالك غير سبيل الحقّ, قد أبان ضلاله أنه عن الحقّ زائل, وعن قصد السبيل جائر: يقول جلّ ثناؤه: ليس ذلك إليك, إنما

ذلك إلى الله الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء, وإنما أنت منذر, فبلغهم النذارة.

وقوله: فإمّا نَذْهَبّنَ بِكَ فإنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ اختلف أهل التأويل في المعنيين بهذا الوعيد, فقال بعضهم: عُنِي به أهل الإسلام من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام. ذكر من قال ذلك:

23866ـ حدثنا سوار بن عبد الله العنبري, قال: ثني أبي, عن أبي الأشهب, عن الحسن, في قوله: فإمّا نَذْهَبنّ بِكَ فإنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ قال: لقد كانت بعد نبيّ الله نقمة شديدة, فأكرم الله جلّ ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يريه في أمته ما كان من النقمة بعده.

23867ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإمّا نَذْهَبنّ بِكَ فإنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ فذهب الله بنبيه صلى الله عليه وسلم, ولم ير في أمته إلا الذي تقرّ به عينه, وأبقى الله النقمة بعده, وليس من نبيّ إلا وقد رأى في أمته العقوبة, أو قال ما لا يشتهي. ذُكر لنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أُري الذي لقيت أمته بعده, فما زال منقبضا ما انبسط ضاحكا حتى لقي الله تبارك وتعالى.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: تلا قتادة فإمّا نَذْهَبنّ بِكَ فإنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ فقال: ذهب النبيّ صلى الله عليه وسلم وبقيت النقمة, ولم يُرِ الله نبيه صلى الله عليه وسلم في أمته شيئا يكرهه حتى مضى, ولم يكن نبيّ قطّ إلا رأى العقوبة في أمته, إلا نبيكم صلى الله عليه وسلم. قال: وذُكر لنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أُري ما يصيب أمته بعده, فما رُئي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله.

وقال آخرون: بل عنى به أهل الشرك من قريش, وقالوا: قد رأى الله نبيه عليه الصلاة والسلام فيهم. ذكر من قال ذلك:

23868ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: فإمّا نَذْهَبنّ بِكَ فإنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ كما انتقمنا من الأمم الماضية أوْ نُرِيَنّكَ الّذِي وَعَدْناهُمْ فقد أراه الله ذلك وأظهره عليه وهذا القول الثاني أولى التأويلين في ذلك بالصواب وذلك أن ذلك في سياق خبر الله عن المشركين فلأن يكون ذلك تهديدا لهم أولى من أن يكون وعيدا لمن لم يجر له ذكر. فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: فإن نذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين, فنخرجَك من بينهم فَإنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ, كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذّبة رسلها, أوْ نُرِيَنّكَ الّذِي وَعَدْناهُمْ يا محمد من الظفر بهم, وإعلائك عليهم فَإنّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ أن نظهرك عليهم, ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك.

الآية : 43-44

القول في تأويل قوله تعالى: {فَاسْتَمْسِكْ بِالّذِيَ أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنّكَ عَلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ * وَإِنّهُ لَذِكْرٌ لّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فتمسك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك, إنّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ومنهاج سديد, وذلك هو دين الله الذي أمر به, وهو الإسلام. كما:

23869ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فاسْتَمْسِكْ بالّذِي أُوحِيَ إلَيْكَ إنّكَ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ: أي الإسلام.

23870ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فاسْتَمْسِكْ بالّذِي أُوحِيَ إلَيْكَ إنّكَ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.
وقوله: وَإنّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن الذي أوحي إليك يا محمد الذي أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ يقول: وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه, وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه, وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه؟. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23871ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: قوله: وَإنّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ يقول: إن القرآن شرف لك.
23872ـ حدثني عمرو بن مالك, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَإنّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ قال: يقول للرجل: من أنت؟ فيقول: من العرب, فيقال: من أيّ العرب؟ فيقول: من قريش.
23873ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإنّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وهو هذا القرآن.
23874ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَإنّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ قال: شرف لك ولقومك, يعني القرآن.
23875ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإنّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ قال: أو لم تكن النبوّة والقرآن الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ذكرا له ولقومه.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ }.
اختلف أهل التأويل في معنى قوله: واسأَلْ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا ومن الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسألتهم ذلك, فقال بعضهم الذين أُمر بمسألتهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم, مؤمنو أهل الكتابين: التوراة, والإنجيل. ذكر من قال ذلك:
23876ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن ابن عيينة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قال: في قراءة عبد الله بن مسعود «وَاسألِ الّذِينَ أرْسَلْنا إلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلَنا».
23877ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَاسْألِ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا إنها قراءة عبد الله: «سل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا».
23878ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة واسأَلْ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا يقول: سل أهل التوراة والإنجيل: هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد أن يوحدوا الله وحده؟ قال: وفي بعض القراءة: «واسأل الذين أرسلنا إليهم رسلنا قبلك». أجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرّحْمَنِ آلِهَة يُعْبَدُونَ.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة في بعض الحروف «واسألِ الّذِينَ أرْسَلْنا إلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا» سل أهل الكتاب: أما كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد؟ أما كانت تأتي بالإخلاص؟.
23879ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول: في قوله: واسأَلْ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رُسُلِنا في قراءة ابن مسعود «سَلِ الّذينَ يَقْرَءُونَ الكِتاب مِنْ قَبْلِكَ» يعني: مؤمني أهل الكتاب.

وقال آخرون: بل الذي أمر بمسألتهم ذلك الأنبياء الذين جُمعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس. ذكر من قال ذلك:

23880ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: واسْئَلِ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ... الآية, قال: جمعوا له ليلة أسري به ببيت المقدس, وصلى بهم, فقال الله له: سلهم, قال: فكان أشدّ إيمانا ويقينا بالله وبما جاءه من الله أن يسألهم, وقرأ فإنْ كُنْتَ فِي شَكّ مِمّا أنْزَلْنا إلَيْكَ فاسأل الّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ قال: فلم يكن في شكّ, ولم يسأل الأنبياء, ولا الذين يقرأون الكتاب. قال: ونادى جبرائيل صلى الله عليه وسلم, فقلت في نفسي: «الآن يؤمنا أبونا إبراهيم» قال: «فدفع جبرائيل في ظهري», قال: تقدم يا محمد فصلّ, وقرأ سُبْحانَ الّذِي أسْرَى بعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَام... حتى بلغ لِنُرِيهُ مِنْ آياتِنا.

وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك, قول من قال: عنى به: سل مؤمني أهل الكتابين.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يقال: سل الرسل, فيكون معناه: سل المؤمنين بهم وبكتابهم؟ قيل: جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم وبكتبهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم, فالخبر عنهم وعما جاؤوا به من ربهم إذا صحّ بمعنى خبرهم, والمسألة عما جاؤوا به بمعنى مسألتهم إذا كان المسؤول من أهل العلم بهم والصدق عليهم, وذلك نظير أمر الله جلّ ثناؤه إيانا بردّ ما تنازعنا فيه إلى الله وإلى الرسول, يقول: فإنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدّوهُ إلى اللّهِ وَالرّسُولِ, ومعلوم أن معنى ذلك: فردّوه إلى كتاب الله وسنة رسوله, لأن الردّ إلى ذلك ردّ إلى الله والرسول. وكذلك قوله: وَاسْئَلْ مَنْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا إنما معناه: فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل, فإنك تعلم صحة ذلك من قِبَلِنا, فاستغني بذكر الرسل من ذكر الكتب, إذ كان معلوما ما معناه.

وقوله: أجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ يقول: أمرناهم بعبادة الآلهة من دون الله فيما جاؤوهم به, أو أتوهم بالأمر بذلك من عندنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23881ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ أجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ؟ أتتهم الرسل يأمرونهم بعبادة الآلهة من دون الله؟ وقيل: آلِهَةً يُعْبَدُونَ, فأخرج الخبر عن الآلهة مخرج الخبر عن ذكور بني آدم, ولم يقل: تعبد, ولا يعبدن, فتؤنث وهي حجارة, أو بعض الجماد كما يفعل في الخبر عن بعض الجماد. وإنما فعل ذلك كذلك, إذ كانت تعبد وتعظم تعظيم الناس ملوكهم وسَرَاتهم, فأجْرِي الخبر عنها مُجْرى الخبر عن الملوك والأشراف من بني آدم.

الآية : 46-47

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىَ بِآيَاتِنَآ إِلَىَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنّي رَسُولُ رَبّ الْعَالَمِينَ * فَلَمّا جَآءَهُم بِآيَاتِنَآ إِذَا هُم مّنْهَا يَضْحَكُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه, كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك, فقال لهم

موسى: إني رسول ربّ العالمين, كما قلتَ أنت لقومك من قريش. إني رسول الله إليكم, فَلَمّا جاءَهُمْ بآياتِنا إذَا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ يقول: فلما جاء موسى فرعونَ وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله, فيما يدعوهم إليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة, إذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعِبَر يضحكون كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعِبر يسخرون, وهذا تسلية من الله عزّ وجلّ نبيه صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مشركي قومه, وإعلام منه له, أن قومه من أهل الشرك لن يَعْدُو أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على منهاجهم في الكفر بالله وتكذيب رسله, وندب منه نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الاستنان في الصبر عليهم بسنن أولي العزم من الرسل, وإخبار منه له أن عقبى مردتهم إلى البوار والهلاك كسنته في المتمرّدين عليه قبلهم, وإظفاره بهم, وإعلائه أمره, كالذي فعل بموسى عليه السلام, وقومه الذين آمنوا به من إظهارهم على فرعون وملئه.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا نُرِيهِم مّنْ آيَةٍ إِلاّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وما نري فرعون وملأه آية, يعني: حجته لنا عليه بحقيقة ما يدعوه إليه رسولنا موسى إلاّ هِيَ أكْبَرُ مِنْ أُخْتِها يقول: إلا التي نريه من ذلك أعظم في الحجة عليهم وأوكد من التي مضت قبلها من الآيات, وأدلّ على صحة ما يأمره به موسى من توحيد الله.

وقوله: وأخَذْناهُمْ بالعَذابِ يقول: وأنزلنا بهم العذاب, وذلك كأخذه تعالى ذكره إياهم بالسنين, ونقص من الثمرات, وبالجراد, والقُمّل, والضفادع, والدم.

وقوله: لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ يقول: ليرجعوا عن كفرهم بالله إلى توحيده وطاعته, والتوبة مما هم عليه مقيمون من معاصيهم. كما: 23882ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأخَذْناهُمْ بالعَذَاب لَعَلّهُم يَرْجِعُونَ أي يتوبون, أو يذكرون.

الآية : 49-50

!!! ========== لا يوجد فى الأصل !!!
==========

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {وَنَادَىَ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـَذِهِ الأنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَنادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ من القبط, فقالَ يا قَوْم أَلَيْسَ لي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأنهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي, أفَلا تُبْصِرُونَ يعني بقوله: مِنْ تَحْتِي: من بين يديّ في الجنان. كما:

23886ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَهَذِهِ الأنهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي قال: كانت لهم جنات وأنهار ماء.

وقوله: أفَلا تُبْصِرُونَ يقول: أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعيم والخير, وما فيه موسى من الفقر وعيّ اللسان, افتخر بملكه مصر عدوّ الله, وما قد مكّن له من الدنيا استدراجا من الله له, وحسب أن الذي هو

فيه من ذلك ناله بيده وحوله, وأن موسى إنما لم يصل إلى الذي يصفه, فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة محتجا على جهلة قومه بأن موسى عليه السلام لو كان محقا فيما يأتي به من الآيات والعبر, ولم يكن ذلك سحرا, لأكسب نفسه من المُلك والنعمة, مثل الذي هو فيه من ذلك جهلاً بالله واغترارا منه بإملائه إياه.

الآية : 52-53

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ أَنَآ خَيْرٌ مّنْ هَـَذَا الّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه, وبيان لسانه وتمام خلقه, وفضل ما بينه وبين موسى بالصفات التي وصف بها نفسه وموسى: أنا خير أيها القوم, وصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم, أمْ هَذَا الّذِي هُوَ مَهِينٌ لا شيء له من المُلك والأموال مع العلة التي في جسده, والآفة التي بلسانه, فلا يكاد من أجلها يبين كلامه؟

وقد اختُلف في معنى قوله: أمْ في هذا الموضع, فقال بعضهم: معناها: بل أنا خير, وقالوا: ذلك خبر, لا استفهام. ذكر من قال ذلك:

23887ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: أمْ أنا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الّذِي هُوَ مَهِينٌ قال: بل أنا خير من هذا. وبنحو ذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة.

وقال بعض نحويي الكوفة, هو من الاستفهام الذي جعل بأم لاتصاله بكلام قبله. قال: وإن شئت رددته على قوله: أَلَيْسَ لي مُلْكُ مِصْرَ؟ وإذا وجه الكلام إلى أنه استفهام, وجب أن يكون في الكلام محذوف استغني بذكر ما ذكر مما ترك ذكره, ويكون معنى الكلام حينئذٍ: أنا خير أيها القوم من هذا الذي هو مهين, أم هو؟.

وذُكر عن بعض القرّاء أنه كان يقرأ ذلك «أما أنا خَيْرٌ».

23888ـ حُدثت بذلك عن الفرّاء قال: أخبرني بعض المشيخة أنه بلغه أن بعض القرّاء قرأ كذلك, ولو كانت هذه القراءة قراءة مستفيضة في قَرَأة الأمصار لكانت صحيحة, وكان معناها حسنا, غير أنها خلاف ما عليه قرّاء الأمصار, فلا أستجيز القراءة بها, وعلى هذه القراءة لو صحّت لا كلفة له في معناها ولا مؤونة.

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار. وأولى التأويلات بالكلام إذ كان ذلك كذلك, تأويل من جعل: أمْ أنا خَيْرٌ؟ من الاستفهام الذي جعل بأم, لاتصاله بما قبله من الكلام, ووجهه إلى أنه بمعنى: أأنا خير من هذا الذي هو مهين؟ أم هو؟ ثم ترك ذكر أم هو, لما في الكلام من الدليل عليه. وعنى بقوله: مِنْ هَذَا الّذِي هُوَ مَهِينٌ: من هذا الذي هو ضعيف لقلّة ماله, وأنه ليس له من الملك والسلطان ماله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23889ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أمْ أنا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الّذِي هُوَ مَهِين قال: ضعيف.

23890ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ مِنْ هَذَا الّذِي هُوَ مَهِينٌ قال: المهين: الضعيف.

وقوله: وَلا يَكادُ يُبِينُ يقول: ولا يكاد يُبين الكلام من عِيّ لسانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23891ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلا يَكادُ يُبِينُ: أي عَيّ اللسان.
23892ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَلا يَكادُ يُبِينُ الكلام.
وقوله: فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ يقول: فهلا أُلقي على موسى إن كان صادقا أنه رسول ربّ العالمين أسورة من ذهب, وهو جمع سوار, وهو القُلْب الذي يجعل في اليد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23893ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَب يقول: أقلبة من ذهب.
23894ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ: أي أقلبة من ذهب.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة والكوفة «فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أساوِرَةٌ مِنْ ذَهَب». وذُكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأه أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ.
وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي ما عليه قَرَأة الأمصار, وإن كانت الأخرى صحيحة المعنى.
واختلف أهل العربية في واحد الأساورة, والأسورة, فقال بعض نحويّي البصرة: الأسورة جمع إسوار قال: والأساورة جمع الأسورة وقال: ومن قرأ ذلك أساورة, فإنه أراد أساوير والله أعلم, فجعل الهاء عوضا من الياء, مثل الزنادقة صارت الهاء فيها عوضا من الياء التي في زناديق. وقال بعض نحويّي الكوفة: من قرأ أساورة جعل واحدها إسوار ومن قرأ أسورة جعل واحدها سوار وقال: قد تكون الأساورة جمع أسورة كما يقال في جمع الأسقية الأساقي, وفي جمع الأكرع الأكارع. وقال آخر منهم قد قيل في سوار اليد: يجوز فيه أَسْوار وإسْوار قال: فيجوز على هذه اللغة أن يكون أساورة جمعه. وحُكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: واحد الأساورة إسوار قال: وتصديقه في قراءة أبيّ بن كعب «فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أساوِرَةٌ مِنْ ذَهَب» فإن كان ما حُكي من الرواية من أنه يجوز أن يقال في سوار اليد إسوار, فلا مؤونة في جمعه أساورة, ولست أعلم ذلك صحيحا عن العرب برواية عنها, وذلك أن المعروف في كلامهم من معنى الإسوار: الرجل الرامي, الحاذق بالرمي من رجال العجم. وأما الذي يُلبس في اليد, فإن المعروف من أسمائه عندهم سوارا. فإذَا كان ذلك كذلك, فالذي هو أولى بالأساورة أن يكون جمع أسورة على ما قاله الذي ذكرنا قوله في ذلك.
وقوله: أَوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ يقول: أو هلا إن كان صادقا جاء معه الملائكة مقترنين قد اقترن بعضهم ببعض, فتتابَعُوا يشهدون له بأنه لله رسول إليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة على تأويله, فقال بعضهم: يمشون معا. ذكر من قال ذلك:
23895ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ قال: يمشون معا.
وقال آخرون: متتابعين. ذكر من قال ذلك:

23896ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ: أي متتابعين.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.
وقال آخرون: يقارن بعضهم بعضا. ذكر من قال ذلك:
23897ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ أوْ جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ قال: يقارن بعضهم بعضا.

الآية : 54-55

القول في تأويل قوله تعالى: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ * فَلَمَّآ آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ }.
يقول تعالى ذكره: فاستخفّ فرعون خلقا من قومه من القبط, بقوله الذي أخبر الله تبارك وتعالى عنه أنه قال لهم, فقبلوا ذلك منه فأطاعوه, وكذّبوا موسى, وقال الله: وإنما أطاعوا فاستجابوا لما دعاهم إليه عدوّ الله من تصديقه, وتكذيب موسى, لأنهم كانوا قوما عن طاعة الله خارجين بخذلانه إياهم, وطبعه على قلوبهم, يقول الله تبارك وتعالى: فَلَمّا آسَفُونا يعني بقوله: آسفونا: أغضبونا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23898ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَلَمّا آسَفُونا يقول: أسخطونا.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, فَلَمّا آسَفُونا يقول: لما أغضبونا.
23899ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَلَمّا آسَفُونا: أغضبونا.
23900ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلَمّا آسَفُونا قال: أغضبوا ربهم.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فَلَمّا آسَفُونا قال: أغضبونا.
23901ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فَلَمّا آسَفُونا قال: أغضبونا, وهو على قول يعقوب: يا أسَفِي عَلى يُوسُفَ قال: يا حزَني على يوسف.
23902ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَلَمّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ قال: أغضبونا, وقوله: انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ يقول: انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجّلناه لهم, فأغرقناهم جميعا في البحر.

الآية : 56-57

القول في تأويل قوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لّلآخِرِينَ * وَلَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدّونَ }.
اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الكوفة غير عاصم «فَجَعَلْناهُمْ سُلُفا» بضم السين واللام, توجيها ذلك منهم إلى جمع سليف من الناس, وهو المتقدّم أمام القوم. وحَكى الفراء أنه سمع القاسم بن معن يذكر أنه سمع العرب تقول: مضى سليف من الناس. وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وعاصم: فَجَعَلْناهُمْ سَلَفا بفتح السين واللام. وإذا قُرىء كذلك احتمل أن يكون مرادا به الجماعة والواحد والذكر والأنثى, لأنه

يُقال للقوم: أنتم لنا سلف, وقد يُجمع فيقال: هم أسلاف ومنه الخبر الذي رُوي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يَذْهَب الصّالِحُونَ أَسْلافا». وكان حُميد الأعرج يقرأ ذلك: «فَجَعَلْناهُمْ سُلَفا» بضم السين وفتح اللام, توجيها منه ذلك إلى جمع سلفة من الناس, مثل أمة منهم وقطعة.

وأولى القراءات في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بفتح السين واللام, لأنها اللغة الجوداء, والكلام المعروف عند العرب, وأحقّ اللغات أن يُقرأ بها كتاب الله من لغات العرب أفصحها وأشهرها فيهم. فتأويل الكلام إذن: فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون في البحر مقدّمة يتقدمون إلى النار, كفار قومك يا محمد من قريش, وكفار قومك لهم بالأثر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23903ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَجَعَلْناهُمْ سَلَفا وَمَثَلاً للآخِرِين قال: قوم فرعون كفارهم سلفا لكفار أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

23904ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَجَعَلْناهُمْ سَلَفا في النار.

23905ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر: فَجَعلْناهُمْ سَلَفا قال: سلفا إلى النار.

وقوله: وَمَثَلاً للآخِرِينَ يقول: وعبرة وعظة يتعظ بهم مَنْ بعدهم من الأمم, فينتهوا عن الكفر بالله. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23906ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَمَثَلاً للآخِرِينَ قال: عبرة لمن بعدهم.

23907ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَمَثَلاً للآخِرِينَ: أي عظة للآخرين.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَمَثَلاً للآخِرِينَ: أي عظة لمن بعدهم.

23908ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فَجَعَلْناهُمْ سَلَفا وَمَثَلاً قال: عبرة.

وقوله: وَلما ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَم مَثَلاً يقول تعالى ذكره: ولما شبه الله عيسى في إحداثه وإنشائه إياه من غير فحل بآدم, فمثّله به بأنه خلقه من تراب من غير فحل, إذا قومك يا محمد من ذلك يضجون ويقولون: ما يريد محمد منا إلاّ أن نتخذه إلها نعبده, كما عبدت النصارى المسيح. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم بنحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

23909ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله عزّ وجلّ: إذَا قَوْمُكَ منْهُ يَصِدّونَ قال: يضجون قال: قالت قريش: إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى.

23910ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: لما ذُكر عيسى بن مريم جزعت قريش من ذلك, وقالوا: يا محمد ما

ذكرت عيسى بن مريم, وقالوا: ما يريد محمد إلاّ أن نصنع به كما صنعت النصارى بعيسى بن مريم, فقال الله عزّ وجلّ: ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاّ جَدَلاً.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: لما ذُكر عيسى في القرآن قال مشركو قريش: يا محمد ما أردت إلى ذكر عيسى؟ قال: وقالوا: إنما يريد أن نحبه كما أحبّت النصارى عيسى.

وقال آخرون: بل عنى بذلك قول الله عزّ وجلّ إنّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُون قِيلُ المشركين عند نزولها: قد رضينا بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعُزَير والملائكة, لأن كل هؤلاء مما يُعبد من دون الله, قال الله عزّ وجلّ: ولَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدّونَ وقالوا: أآلهتنا خير أم هو؟ ذكر من قال ذلك:

23911ـ حدثني محمد بن سعد قال, ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: ولَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدّونَ قال: يعني قريشا لما قيل لهم إنّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُون فقالت له قريش: فما ابن مريم؟ قال: ذاك عبد الله ورسوله, فقالوا: والله ما يريد هذا إلاّ أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا, فقال الله عزّ وجلّ: ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاّ جَدَلاً, بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: يَصِدّونَ, فقرأته عامة قرّاء المدينة, وجماعة من قرّاء الكوفة: «يَصُدّونَ» بضم الصاد. وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة والبصرة يَصِدّونَ بكسر الصاد.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين ذلك إذا قُرىء بضم الصاد, وإذا قُرىء بكسرها, فقال بعض نحويّي البصرة, ووافقه عليه بعض الكوفيين: هما لغتان بمعنى واحد, مثل يشُدّ ويشِدّ, ويَنُمّ ويَنِمّ من النميمة. وقال آخر: منهم من كسر الصاد فمجازها يضجون, ومن ضمها فمجازها يعدلون. وقال بعض من كسرها: فإنه أراد يضجون, ومن ضمها فإنه أراد الصدود عن الحقّ.

23912ـ حُدثت عن الفرّاء قال: ثني أبو بكر بن عياش, أن عاصما ترك يصدّون من قراءة أبي عبد الرحمن, وقرأ يصدّون, قال: قال أبو بكر. حدثني عاصم, عن أبي رزين, عن أبي يحيى, أن ابن عباس لقي ابن أخي عبيد بن عمير, فقال: إن عمك لعربيّ, فما له يُلحِن في قوله: «إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدّونَ», وإنما هي يَصِدّونَ.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان, ولغتان مشهورتان بمعنى واحد, ولم نجد أهل التأويل فرّقوا بين معنى ذلك إذا قرىء بالضمّ والكسر, ولو كان مختلفا معناه, لقد كان الاختلاف في تأويله بين أهله موجودا وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين, ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا في أن تأويله: يضجون ويجزعون, فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب. ذكر ما قلنا في تأويل ذلك:

23913ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدّونَ قال: يضجون.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدّونَ يقول: يضجون.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا أبو حمزة, عن المُغيرة الضبيّ, عن الصعب بن عثمان قال: كان ابن عباس يقرأ إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدّونَ, وكان يفسرها يقول: يضجون.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن أبي رزين, عن ابن عباس إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدّونَ قال: يضجون.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة عن عاصم عن أبي رزين, عن ابن عباس بمثله.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح عن مجاهد, في قول الله عزّ وجلّ: إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدّونَ قال: يضجون.
23914ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدّونَ: أي يجزعون ويضجون.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن عاصم بن أبي النّجود, عن أبي صالح, عن ابن عباس أنه قرأها يَصِدّون: أي يضجون, وقرأ عليّ رضي الله عنه يَصِدّونَ.
23915ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدّونَ قال: يضجون.
23916ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدّونَ قال: يضجون.

الآية : 58-60

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُوَاْ أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلاّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لّبَنِيَ إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ مّلاَئِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ }.
يقول تعالى ذكره: وقال مشركو قومك يا محمد: آلهتنا التي نعبدها خير؟ أم محمد فنعبد محمدا؟ ونترك آلهتنا؟. وذُكر أن ذلك في قراءة أُبيّ بن كعب: أَآلِهَتُنا خَيْرٌ أمْ هَذَا. ذكر الرواية بذلك:
23917ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور عن معمر, عن قتادة أن في حرف أبي بن كعب وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هَذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم. وقال آخرون: بل عني بذلك: آلهتنا خير أم عيسى؟. ذكر من قال ذلك:
23918ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَقالُوا أَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ؟ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاّ جَدَلاً, بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ قال: خاصموه, فقالوا: يزعم أن كلّ من عبد من دون الله في النار, فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعُزير والملائكة هؤلاء قد عُبدوا من دون الله, قال: فأنزل الله براءة عيسى.
23919ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَآلِهَتُنا خَيْرٌ قال: عَبَدَ هؤلاء عيسى, ونحن نعبد الملائكة.
وقوله: ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلاّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ... إلى فِي الأرْض يخْلُفُونَ. وقوله تعالى ذكره: ما ضَرَبُوهُ لَكَ إلا جَدَلاً يقول تعالى ذكره: ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد هؤلاء المشركين في محاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ يلتمسون الخصومة بالباطل.

وذُكر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما ضَلّ قَوْمٌ عَنِ الحَقّ إلاّ أُوتُوا الجَدَلَ». ذكر الرواية ذلك:

23920ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يعلى, قال: حدثنا الحجاج بن دينار, عن أبي غالب عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ضَلّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كانُوا عَلَيْهِ إلاّ أُوتُوا الجَدَلَ, وقرأ: مـا ضَـرَبُوهُ لَـكَ إلاّ جَدَلاً... الآية».

حدثني موسى بن عبد الرحمن الكندي وأبو كُرَيب قالا: حدثنا محمد بن بشر, قال: حدثنا حجاج بن دينار, عن أبي غالب, عن أبي أُمامة, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن, عن عباد بن عباد عن جعفر بن القاسم, عن أبي أُمامة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن, فغضب غضبا شديدا, حتى كأنما صبّ على وجهه الخلّ, ثم قال صلى الله عليه وسلم: «لا تَضْرِبُوا كِتابَ اللّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ, فإنّهُ ما ضَلّ قَوْمٌ قَطّ إلاّ أُوتُو الجَدَلَ», ثم تلا: مـا ضَـرَبُوهُ لَـكَ إلاّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ.

وقوله: إنْ هُوَ إلاّ عَبْدٌ أنْعَمْنا عَلَيْهِ يقول تعالى ذكره: فما عيسى إلا عبد من عبادنا, أنعمنا عليه بالتوفيق والإيمان, وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل, يقول: وجعلناه آية لبني إسرائيل, وحجة لنا عليهم بإرسالناه إليهم بالدعاء إلينا, وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى, تعالى الله عن ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23921ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: إنْ هُوَ إلاّ عَبْدٌ أنْعَمْنَا عَلَيْهِ يعني بذلك عيسى ابن مريم, ما عدا ذلك عيسى ابن مريم, إن كان إلا عبدا أنعم الله عليه.

وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله: وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِي إسْرَائِيلَ قالوا. ذكر من قال ذلك:

23922ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن قتادة مَثَلاً لِبَنِي إسْرَائِيلَ أحسبه قال: آية لبني إسرائيل.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِي إسْرَائِيل أي آية.

قوله: وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ يقول تعالى ذكره: ولو نشاء معشر بني آدم أهلكناكم, فأفنينا جميعكم, وجعلنا بدلاً منكم في الأرض ملائكة يخلفونكم فيها يعبدونني وذلك نحو قوله تعالى ذكره: إنْ يَشأ يُذْهِبْكُمْ أيّها النّاسُ وَيأتِ بآخَرِينَ وكانَ اللّهُ على ذلكَ قَدِيرا وكما قال: إنْ يَشأ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, غير أن منهم من قال: معناه: يخلف بعضهم بعضا. ذكر من قال ذلك:

23923ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ يقول: يخلف بعضهم بعضا.

23924ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي

نجيح, عن مجاهد, قوله: لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ قال: يعمرون الأرض بدلاً منكم.
23925ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: مَلائِكَةً فِي الأرْض يَخْلُفُونَ قال: يخلف بعضهم بعضا, مكان بني آدم.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ لو شاء الله لجعل في الأرض ملائكة يخلف بعضهم بعضا.
23926ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ قال: خلفا منكم.

الآية : 61-62

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّهُ لَعِلْمٌ لّلسّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنّ بِهَا وَاتّبِعُونِ هَـَذَا صِرَاطٌ مّسْتَقِيمٌ * وَلاَ يَصُدّنّكُمُ الشّيْطَانُ إِنّهُ لَكُمْ عَدُوّ مّبِينٌ }.
اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: وإنّهُ وما المعنيّ بها, ومن ذكر ما هي, فقال بعضهم: هي من ذكر عيسى, وهي عائدة عليه. وقالوا: معنى الكلام: وإن عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة, لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا, وإقبال الآخرة. ذكر من قال ذلك:
23927ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن أبي رزين, عن يحيى, عن ابن عباس, «وَإنّهُ لَعَلَمٌ لِلسّاعَةِ» قال: خروج عيسى بن مريم.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن عاصم, عن أبي رزين, عن ابن عباس بمثله, إلا أنه قال: نزول عيسى بن مريم.
حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسيّ, قال: حدثنا غالب بن قائد, قال: حدثنا قيس, عن عاصم, عن أبي رزين, عن ابن عباس, أنه كان يقرأ «وَإنّهُ لَعَلَمٌ للسّاعَةِ» قال: نزول عيسى بن مريم.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن عطية, عن فضيل بن مرزوق, عن جابر, قال: كان ابن عباس يقول: ما أدري علم الناس بتفسير هذه الآية, أم لم يفطنوا لها؟ «وَإنّهُ لَعَلَمٌ للسّاعَةِ» قال: نزول عيسى ابن مريم.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: «وَإنّهُ لَعَلَمٌ للسّاعَةِ» قال: نزول عيسى ابن مريم.
23928ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن أبي مالك وعوف عن الحسن أنهما قالا في قوله: وَإنّهُ لَعِلْمٌ للسّاعَةِ قالا: نزول عيسى ابن مريم وقرأها أحدهما «وإنّهُ لَعَلَمٌ للسّاعَةِ».
23929ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَإنّهُ لَعِلْمٌ للسّاعَةِ قال: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة.
23930ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة «وَإنّهُ لَعَلَمٌ للسّاعَةِ قال: نزول عيسى ابن مريم علم للساعة: القيامة.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: «وَإنّهُ لَعَلَمٌ للسّاعَة» قال: نزول عيسى ابن مريم علم للساعة.

23931ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ وَإنّهُ لَعِلْمٌ للسّاعَةِ قال: خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة.
23932ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَإنّهُ لَعِلْمٌ للسّاعَةِ يعني خروج عيسى ابن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة.
23933ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَإنّهُ لَعِلْمٌ للسّاعَة قال: نـزول عيسـى ابـن مريـم علـم للسـاعة حيـن ينزل.
وقال آخرون: الهاء التي في قوله: وَإنّهُ من ذكـر القـرآن, وقـالوا: معنـى الكلام: وإن هذا القرآن لعلم للساعة يعلمكم بقيامهـا, ويخـبركم عنهـا وعـن أهوالها. ذكر من قال ذلك:
23934ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان الحسن يقول: «وَإنّهُ لَعَلَمٌ للسّاعَةِ» هذا القرآن.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة قال: كان ناس يقولون: القرآن علم للساعة. واجتمعت قرّاء الأمصار في قراءة قوله: وَإنّهُ لَعِلْمٌ للسّاعَةِ على كسـر العيـن مـن العلـم. ورُوي عـن ابـن عبـاس مـا ذكرت عنه في فتحها, وعن قتادة والضحاك.
والصواب من القراءة في ذلك: الكسر في العين, لإجماع الحجة من القرّاء عليه. وقد ذُكر أن ذلك في قراءة أُبـيّ, وإنـه لـذكر السـاعة, فـذلك مصـحح قراءة الذين قرأوا بكسر العين من قوله: لَعِلْمٌ.
وقوله: فَلا تَمْتَرُنّ بِها يقول: فلا تشكنّ فيها وفي مجيئها أيها الناس. كما:
23935ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ فَلا تَمْتَرُنّ بِها قال: تشكون فيها.
وقوله: وَاتّبِعُونِ يقول تعـالى ذكـره: وأطيعـون فـ اعملوا بمـا أمرتكـم بـه, وانتهوا عما نهيتكم عنه, وَهَذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ يقول: اتباعكم إياي أيها الناس في أمري ونهيي صراط مستقيم, يقول: طريق لا اعوجاج فيه, بل هو قويم.
وقوله: وَلايَصُدّنّكُمُ الشّيْطانُ يقول جل ثناؤه: ولا يعـدلنكم الشـيطان عـن طاعتي فيما آمركم وأنهـاكم, فتخـالفوه إلـى غيـره, وتجـوروا عـن الصـراط المستقيم فتضلوا إنّهُ لَكُمْ عَدُوّ مُبِينٌ يقول: إن الشيطان لكـم عـدوّ يـدعوكم إلى ما فيه هلاككم, ويصدّكم عن قصد السبيل, ليوردكم المهالك, مـبين قـد أبان لكم عداوته, بامتنـاعه مـن السـجود لأبيكـم آدم, وإدلائـه بـالغرور حـتى أخرجه من الجنة حسدا وبغيا.

الآية : 63-64

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمّا جَآءَ عِيسَـىَ بِالْبَيّنَـاتِ قَـالَ قَـدْ جِئْتُكُـم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيّنَ لَكُم بَعْضَ الّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنّ اللّهَ هُوَ رَبّي وَرَبّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مّسْتَقِيمٌ }.
يقـول تعـالى ذكـره: ولمـا جـاء عيسـى بنـي إسـرائيل بالبيّنـات, يعنـي بالواضحات من الأدلة. وقيل: عُني بالبيّنات: الإنجيل. ذكر من قال ذلك:
23936ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة وَلَمّـا جاءَ عِيسَى بالبَيّناتِ أي بالإنجيل. وقوله: قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بالْحِكْمَةِ قيـل: عُنـي بالحكمة في هذا الموضع: النبوّة. ذكر من قال ذلك:

23937ـ حدثني محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بالْحِكْمَةِ قال: النبوّة.
وقد بيَّنت معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده, وذكرت اختلاف المختلفين في تأويله, فأغنى ذلك عن إعادته.
وقوله: وَلِأبَيّنَ لَكُمْ بَعْضَ الّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ يقول: ولأبين لكم معشر بني إسرائيل بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة. كما:
23938ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلأبَيّنَ لَكُمْ بَعْضَ الّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ قال: من تبديل التوراة.
وقد قيل: معنى البعض في هذا الموضع بمعنى الكلّ, وجعلوا ذلك نظير قول لبيد:
تَرّاكُ أمْكِنَةٍ إذَا لَمْ أَرْضهاأوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النّفُوسِ حِمامُها
قالوا: الموت لا يعتلق بعض النفوس, وإنما المعنى: أو يعتلق النفوس حمامها, وليس لما قال هذا القائل كبير معنى, لأن عيسى إنما قال لهم: وَلِأبَيّنَ لَكُمْ بَعْض الّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ, لأنه قد كان بينهم اختلاف كثير في أسباب دينهم ودنياهم, فقال لهم: أبين لكم بعض ذلك, وهو أمر دينهم دون ما هم فيه مختلفون من أمر دنياهم, فلذلك خصّ ما أخبرهم أنه يبينه لهم. وأما قول لبيد: «أو يعتلق بعض النفوس», فإنه إنما قال ذلك أيضا كذلك, لأنه أراد: أو يعتلق نفسه حمامها, فنفسه من بين النفوس لا شكّ أنها بعض لا كلّ.
وقوله: فاتّقُوا اللّهَ وأطِيعُونِ يقول: فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته, وخافوه باجتناب معاصيه, وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره, وقبول نصيحتي لكم.
وقوله: إنّ اللّهَ هُوَ رَبّي وَرَبّكُم فاعْبُدُوهُ يقول: إن الله الذي يستوجب علينا إفراده بالألوهية وإخلاص الطاعة له, ربي وربكم جميعا, فاعبدوه وحده, لا تشركوا معه في عبادته شيئا, فإنه لا يصلح, ولا ينبغي أن يُعبد شيء سواه.
وقوله: هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ يقول: هذا الذي أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتي, وإفراد الله بالألوهة, هو الطريق المستقيم, وهو دين الله الذي لا يقبل من أحد من عباده غيره.

الآية : 65-66

القول في تأويل قوله تعالى: {فَاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لّلّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلاّ السّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ }.
اختلف أهل التأويل في المعنيين بالأحزاب, الذين ذكرهم الله في هذا الموضع, فقال بعضهم: عنى بذلك: الجماعة التي تناظرت في أمر عيسى, واختلفت فيه. ذكر من قال ذلك:
23939ـ حدثنا ابن عبد الأعلى قال, حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قال: هم الأربعة الذين أخرجهم بنو إسرائيل يقولون في عيسى. وقال آخرون: بل هم اليهود والنصارى. ذكر من قال ذلك:

23940ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قال: اليهود والنصارى.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: فاختلف الفِرَق المختلفون في عيسى بن مريم من بين من دعاهم عيسى إلى ما دعاهم إليه من اتقاء الله والعمل بطاعته, وهم اليهود والنصارى, ومن اختلف فيه من النصارى, لأن جميعهم كانوا أحزابا مبتسلين, مختلفي الأهواء مع بيانه لهم أمر نفسه, وقوله لهم: إنّ اللـه هُوَ رَبّي وَرَبّكُمْ فاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

وقوله: فَوَيْلٌ لِلّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَاب يَوْم أَلِيمٍ يقول تعالى ذكره فالوادي السائل من القيح والصديد في جهنم للذين كفروا بالله, الذين قالوا في عيسى بن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه في هذه الآية مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ يقول: من عذاب يوم مؤلم, ووصف اليوم بالإيلام, إذ كان العذاب الذي يؤلمهم فيه, وذلك يوم القيامة. كما:

23941ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ قال: من عذاب يوم القيامة.

وقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ السّاعَةَ أنْ تَأتِيَهُمْ بَغْتَةً يقول: هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى بن مريم, القائلون فيه الباطل من القول, إلاّ الساعة التي فيها تقوم القيامة فجأة وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ يقول: وهم لا يعلمون بمجيئها.

الآية : 67-68

القول في تأويل قوله تعالى: {الأخِلاّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ إلاّ الْمُتّقِينَ * يَعِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أنْتُمْ تَحْزَنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: المتخالّون يوم القيامة على معاصي الله في الدنيا, بعضهم لبعض عدوّ, يتبرأ بعضهم من بعض, إلاّ الذين كانوا تخالّوا فيها على تقوى الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23942ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: الأخِلاّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ إلاّ المُتّقِينَ فكلّ خلة على معصية الله في الدنيا متعادون.

23943ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: الأخِلاّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ إلاّ المُتّقِينَ فكل خُلّة هي عداوة إلاّ خُلّة المتقين.

23944ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن أبي إسحاق, أن عليا رضي الله عنه قال: خليلان مؤمنان, وخليلان كافران, فمات أحد المؤمنَين فقال: يا ربّ إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك, ويأمرني بالخير, وينهاني عن الشرّ ويخبرني أني ملاقيك يا ربّ فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني, فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول: ليثن أحدكما على صاحبه فيقول: يا ربّ إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك, ويأمرني بالخير, وينهاني عن الشرّ, ويخبرني أني ملاقيك, فيقول: نعم الخليل, ونعم الأخ, ونعم الصاحب قال: ويموت أحد الكافرين فيقول: يا ربّ إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك,

ويأمرني بالشرّ, وينهاني عن الخير, ويخبرني أني غير ملاقيك, فيقول: بئس الأخ, وبئس الخليل, وبئس الصاحب.

وقوله: يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلا أنْتُمْ تَحْزَنُونَ وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه. ومعنى الكلام: الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتقين, فإنهم يقال لهم: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي, فإني قد أمنتكم منه برضاي عنكم, ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا فإن الذي قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها.

وذُكر أن الناس ينادون هذا النداء يوم القيامة, فيطمع فيها من ليس من أهلها حتى يسمع قوله: الّذِينَ آمَنُوا بآياتِنا وكانُوا مُسْلِمِينَ فييأس منها عند ذلك.

23945ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, قال سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلاّ فزع, فينادي منادٍ: يا عباد الله لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون, فيرجوها الناس كلهم, قال: فيتبعها الّذِينَ آمَنُوا بآياتِنا وكانُوا مُسْلِمِينَ قال: فييأس الناس منها غير المسلمين.

الآية : 69-70

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ آمَنُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ * ادْخُلُواْ الْجَنّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ }.

وقوله: الّذِينَ آمَنُوا بآياتِنا يقول تعالى ذكره: يا عبادي الذين آمنوا وهم الذين صدّقوا بكتاب الله ورسله, وعملوا بما جاءتهم به رسلهم, وكانوا مسلمين, يقول: وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم, وقبول منهم لما جاءتهم به رسلهم عن ربهم على دين إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم, حنفاء لا يهود ولا نصارى, ولا أهل أوثان.

وقوله: ادْخُلُوا الجَنّةَ أنْتُمْ وأزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يقول جلّ ثناؤه: ادخلوا الجنة أنتم أيها المؤمنون وأزواجكم مغبوطين بكرامة الله, مسرورين بما أعطاكم اليوم ربكم.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: تُحْبَرُونَ وقد ذكرنا ما قد قيل في ذلك فيما مضى, وبيّنا الصحيح من القول فيه عندنا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع, غير أنا نذكر بعض ما لم يُذكر هنالك من أقوال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23946ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ادْخُلُوا الجَنّةَ أنْتُمْ وأزْوَاجُكُم تُحْبَرُونَ: أي تَنْعَمون.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: تُحْبَرُونَ قال: تنعمون.

23947ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: تُحْبَرُونَ قال: تكرمون.

23948ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أنْتُمْ وأزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ قال: تنعمون.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذّ الأعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يُطاف على هؤلاء الذين آمنوا بآياته في الدنيا إذا دخلوا الجنة في الآخرة بصحاف من ذهب, وهي جمع للكثير من الصّحْفة, والصّحْفة: القصعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23949ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ قال: القِصاع.

23950ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث بن إسحاق, عن جعفر, عن شعبة, قال: «إنّ أدنى أهل الجنة منزلة, من له قصر فيه سبعون ألف خادم, في يد كل خادم صحفة سوى ما في يد صاحبها, لو فتح بابه فضافه أهل الدنيا لأوسعهم».

23951ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القميّ, عن جعفر, عن سعيد, قال: «إن أخسّ أهل الجنة منزلاً من له سبعون ألف خادم, مع كل خادم صحفة من ذهب, لو نزل به جميع أهل الأرض لأوسعهم, لا يستعين عليهم بشيء من غيره, وذلك في قول الله تبارك وتعالى: لَهُمْ ما يَشاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنا مَزيدٌ ولهم فِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ, وَتَلَذّ الأَعْيُنُ».

23952ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أبي أيوب الأزديّ, عن عبد الله بن عمرو, قال: «ما أحد من أهل الجنة إلاّ يسعى عليه ألف غلام, كلّ غلام على عمل ما عليه صاحبه».

وقوله: وأكْوَابٍ وهي جمع كوب, والكوب: الإبريق المستدير الرأس, الذي لا أذن له ولا خرطوم, وإياه عنى الأعشى بقوله:

صَرِيفَيّةٌ طَيّبٌ طَعْمُهالَهَا زَبَدٌ بينَ كُوبٍ وَدَنّ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23953ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وأكْوَابٍ قال: الأكواب التي ليست لها آذان. ومعنى الكلام: يطاف عليهم فيها بالطعام في صِحاف من ذهب, وبالشراب في أكواب من ذهب, فاستغنى بذكر الصّحاف والأكواب من ذكر الطعام والشراب, الذي يكون فيها لمعرفة السامعين بمعناه «وَفِيها ما تَشْتَهي الأَنْفُسُ وَتَلَذّ الأَعْيُنُ» يقول تعالى ذكره: لكم في الجنة ما تشتهي نفوسكم أيها المؤمنون, وتلذّ أعينكم وأنْتُمْ فِيها خالِدُونَ يقول: وأنتم فيها ماكثون, لا تخرجون منها أبدا. كما:

23954ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن علقمة بن مرثد, عن ابن سابط أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أُحبّ الخيل, فهل في الجنة خيل؟ فقال: «إنْ يُدْخِلْكَ الجَنّةَ إنْ شاءَ, فَلا تَشاءُ أنْ تَرْكَبَ فَرَسا مِنْ ياقُوتَةٍ حَمْرَاءَ تَطِيرُ بِكَ فِي أيّ الجَنّةِ شِئْتَ إلاّ فَعَلَتْ», فقال أعرابيّ: يا رسول الله إني أحبّ الإبل, فهل في الجنة إبل؟ فقال: «يا أعرابِيّ إنْ يُدْخِلْكَ اللّهُ الجَنّةَ إن شاءَ اللّهُ, فَفِيها ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ, وَلَذّت عَيْناكَ».

23955ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا عمر بن عبد الرحمن الأبار, عن محمد بن سعد الأنصاري, عن أبي ظبية السلفي, قال: إن السرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة, قال: فتقول: ما أُمْطِرُكُمْ؟ قال: فما يدعو داعٍ من القوم بشيء إلاّ أمطرتهم, حتى إن القائل منهم ليقول: أمطرينا كواعب أترابا.

23956ـ حدثنا ابن عرفة, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن عليّ بن أبي الوليد, قال: قيل لمجاهد في الجنة سماع؟ قال: إن فيها لشجرا يقال له العيص, له سماع لم يسمع السامعون إلى مثله.

23957ـ حدثني موسى بن عبد الرحمن, قال: حدثنا زيد بن حباب, قال: أخبرنا معاوية بن صالح, قال: ثني سليمان بن عامر, قال: سمعت أبا أُمامة, يقول: «إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الطائر وهو يطير, فيقع متفلقا نضيجا في كفه, فيأكل منه حتى تنتهي نفسه, ثم يطير, ويشتهي الشراب, فيقع الإبريق في يده, ويشرب منه ما يريد, ثم يرجع إلى مكانه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الأنْفُسُ فقرأته عامة قرّاء المدينة والشام: ما تَشْتَهِيهِ بزيادة هاء, وكذلك ذلك في مصاحفهم. وقرأ ذلك عامة قرّاء العراق «تَشْتَهِي» بغير هاء, وكذلك هو في مصاحفهم.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 72-73

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْجَنّةُ الّتِيَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مّنْهَا تَأْكُلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: وهذه الجنة التي أورثكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم بما كنتم في الدنيا تعملون من الخيرات لَكُمْ فِيها يقول: لكم في الجنة فاكهة كثيرة من كلّ نوع مِنْها تَأْكُلُونَ يقول: من الفاكهة تأكلون ما اشتهيتم.

الآية : 74-76

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنّمَ خَالِدُونَ * لاَ يُفَتّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ هُمُ الظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره إنّ المُجْرِمِينَ وهم الذين اجترموا في الدنيا الكفر بالله, فاجترموا به في الآخرة فِي عَذَابِ جَهَنّمَ خالِدُونَ يقول: هم فيه ماكثون, لا يُفتّر عنهم, يقول: لا يخفف عنهم العذاب وأصل الفتور: الضعف وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ يقول: وهم في عذاب جهنم مبلسون, والهاء في فيه من ذكر العذاب. ويُذكر أن ذلك في قراءة عبدالله: «وَهُمْ فِيها مُبْلِسُونَ» والمعنى: وهم في جهنم مبلسون, والمبلس في هذا الموضع: هو الآيس من النجاة الذي قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23958ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ: أي مستسلمون.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ قال: آيسون. وقال آخرون بما:

23959ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَهُمْ فِيهِ مُبْلسونَ متغير حالهم.

وقد بيّنا فيما مضى معنى الإبلاس بشواهده, وذكر المختلفين فيه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: وَما ظَلَمْناهُمْ وَلَكِنْ كانُوا هُمُ الظّالِمِينَ يقول تعالى ذكره: وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيها الناس أنا فعلنا بهم من

التعذيب بعذاب جهنم وَلَكِنْ كانُوا هُمُ الظّالِمِينَ بعبادتهم في الدنيا غير من كان عليهم عبادته, وكفرهم بالله, وجحودهم توحيده.

الآية : 77-78

القول في تأويل قوله تعالى: {وَنَادَوْاْ يَمَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبّكَ قَالَ إِنّكُمْ مّاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقّ وَلَـكِنّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقّ كَارِهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ونادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم, فنالهم فيها من البلاء ما نالهم, مالكا خازن جهنم يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبّكَ قال: ليمتنا ربك, فيفرغ من إماتتنا, فذكر أن مالكا لا يجيبهم في وقت قيلهم له ذلك, ويدعهم ألف عام بعد ذلك, ثم يجيبهم, فيقول لهم: إنّكُمْ ماكِثُونَ. ذكر من قال ذلك: 23960ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عطاء بن السائب, عن أبي الحسن, عن ابن عباس وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبّكَ, فأجابهم بعد ألف سنة إنّكُمْ ماكِثونَ.

23961ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء بن السائب, عن رجل من جيرانه يقال له الحسن, عن نوف في قوله: وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبّكَ قال: يتركهم مئة سنة مما تعدّون, ثم يناديهم فيقول: يا أهل النار إنكم ماكثون.

23962ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن سعيد, عن قتادة, عن عبد الله بن عمرو, قال: وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْض عَلَيْنَا رَبّكَ قال: فخلى عنهم أربعين عاما لا يجيبهم, ثم أجابهم: إنّكمْ ماكِثُونَ: قالُوا رَبّنا أخْرِجْنا مِنْها فإنْ عُدْنا فإنّا ظالِمُونَ فخلى عنهم مثلي الدنيا, ثم أجابهم: اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلّمُونِ قال: فوالله ما نبس القوم بعد الكلمة, إن كان إلا الزفيرُ والشهيق.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أبي أيوب الأزدي, عن عبد الله بن عمرو, قال: إن أهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاما فلا يجيبهم, ثم يقول: إنّكُمْ ماكِثُونَ, ثم ينادون ربهم رَبّنا أخْرِجْنا مِنْها فإنْ عُدْنا فإنّا ظالِمُونَ فيدعهم أو يخلي عنهم مثل الدنيا, ثم يردّ عليهم اخْسَئُوا فِيها وَلا تُكَلّمُون قال: فما نبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفيرُ والشهيق في نار جهنم.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن عطاء, عن الحسن, عن نوف وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبّكَ قال: يتركهم مئة سنة مما تعدّون, ثم ناداهم فاستجابوا له, فقال: إنكم ماكثون.

23963ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط عن السديّ, في قوله: وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبّكَ قال: مالك خازن النار, قال: فمكثوا ألف سنة مما تعدّون, قال: فأجابهم بعد ألف عام: إنكم ماكثون.

23964ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله تعالى ذكره: وَنادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبّكَ قال: يميتنا, القضاء ههنا الموت, فأجابهم إنّكُمْ مَاكِثُونَ.

وقوله: لَقَدْ جِئْناكُمْ بالحَقّ يقول: لقد أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا محمدا بالحق. كما:

23965ـ حدثني محمد, قال: حدثنا أحمد, حدثنا أسباط, عن السديّ, لَقَدْ جِئْناكُمْ بالْحَقّ, قال: الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وَلَكِنّ أكْثَرَكُمْ

لِلْحَقّ كارِهُونَ يقول تعالى ذكره: ولكن أكثرهم لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحقّ كارهون.

الآية : 79-80

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ أَبْرَمُوَاْ أَمْراً فَإِنّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنّا لاَ نَسْمَعُ سِرّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىَ وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمرا فأحكموه, يكيدون به الحقّ الذي جئناهم به, فإنا محكمون لهم ما يخزيهم, ويذلهم من النكال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23966ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أمْ أبْرَمُوا أمْرا فإنّا مُبْرِمُونَ قال: مجمعون: إن كادوا شرّا كدنا مثله.

23967ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: أمْ أبْرَمُوا أمْرا فإنّا مُبْرِمُونَ قال: أم أجمعوا أمرا فإنا مجمعون.

23968ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أمْ أبْرَمُوا أمْرا فإنّا مُبْرِمُونَ قال: أم أحكموا أمرا فإنا محكمون لأمرنا.

وقوله: أمْ يَحْسَبُونَ أنّا لا نَسْمَعُ سِرّهُمْ وَنجْوَاهُمْ يقول: أم يظنّ هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقهم, وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم, فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا.

وقوله: بَلى وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ يقول تعالى ذكره: بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم, وأخفوه عن الناس من سرّ كلامهم, وحفظتنا لديهم, يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق, وتكلموا به من كلامهم.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في نفر ثلاثة تدارأوا في سماع الله تبارك وتعالى كلام عباده. ذكر من قال ذلك:

23969ـ حدثني عمرو بن سعيد بن يسار القرشيّ, قال: حدثنا أبو قتيبة, قال: حدثنا عاصم بن محمد العمريّ, عن محمد بن كعب القرظي, قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها, قرشيان وثقفيّ, أو ثقفيان وقرشيّ, فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأوّل: إذا جهرتم سمع, وإذا أسررتم لم يسمع, قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم, فإنه يسمع إذا أسررتم, قال: فنزلت أمْ يَحْسَبُونَ أنّا لا نَسْمَعُ سِرّهُمْ وَنجْوَاهُمْ, بَلى وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: بَلى وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23970ـ حدثني محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ بَلى وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ قال: الحفظَة.

23971ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد. عن قتادة بلى وَرُسُلنا لَدَيهِمْ يَكْتُبُونَ: أي عندهم.

الآية : 81-82

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ لِلرّحْمَـنِ وَلَدٌ فَأَنَاْ أَوّلُ الْعَابِـدِينَ * سُبْحَانَ رَبّ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ رَبّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: قُلْ إنْ كانَ للرّحْمَنِ وَلَدٌ فَأنا أوّلُ العابِدِينَ فقال بعضهم: في معنى ذلك: قل يا محمد إن كان للرحمن ولد في

قولكم وزعمكم أيها المشركون, فأنا أوّل المؤمنين بالله في تكذيبكم, والجاحدين ما قلتم من أن له ولدا. ذكر من قال ذلك:
23972ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قُلْ إنْ كانَ للرّحمَنِ وَلَدٌ كما تقولون فَأنا أوّلُ العابِدِينَ المؤمنين بالله, فقولوا ما شئتم.
23973ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فأنا أوّلُ العابِدِينَ قال: قل إن كان لله ولد في قولكم, فأنا أوّل من عبد الله ووحده وكذّبكم.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: قل ما كان للرحمن ولد, فأنا أوّل العابدين له بذلك. ذكر من قال ذلك:
23974ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: قُلْ إنْ كانَ للرّحْمَن وَلَدٌ فَأنا أوّلُ العابِدِينَ يقول: لم يكن للرحمن ولد فأنا أوّل الشاهدين.
وقال آخرون: بل معنى ذلك نفي, ومعنى إن الجحد, وتأويل ذلك ما كان ذلك, ولا ينبغي أن يكون. ذكر من قال ذلك:
23975ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُلْ إنْ كانَ للرّحْمَنِ وَلَدٌ فَأنا أوّلُ العابِدِينَ قال قتادة: وهذه كلمة من كلام العرب إنْ كان للرّحْمن وَلَدٌ: أي إن ذلك لم يكن, ولا ينبغي.
23976ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قُلْ إنْ كانَ للرّحْمَنِ وَلَدٌ فَأنا أوّلُ العابِدِينَ قال: هذا الإنكاف ما كان للرحمن ولد, نكف الله أنَ يكون له ولد, وإن مثل «ما» إنما هي: ما كان للرحمن ولد, ليس للرحمن ولد, مثل قوله: وَإنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ إنما هي: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال, فالذي أنزل الله من كتابه وقضاه من قضائه أثبت من الجبال, و«إن» هي «ما» إن كان ما كان تقول العرب: إن كان, وما كان الذي تقول. وفي قوله: فَأنا أوّلُ العابِدِينَ أوّل من يعبد الله بالإيمان والتصديق أنه ليس للرحمن ولد على هذا أعبد الله.
23977ـ حدثني ابن عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: سألت ابن محمد, عن قول الله: إنْ كانَ للرّحْمَنِ وَلَدٌ قال: ما كان.
23978ـ حدثني ابن عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا عمرو, قال: سألت زيد بن أسلم, عن قول الله: قُلْ إنْ كانَ للرّحْمَنِ وَلَدٌ قال: هذا قول العرب معروف, إن كان: ما كان, إن كان هذا الأمر قطّ, ثم قال: وقوله: وإن كان: ما كان.
وقال آخرون: معنى «إن» في هذا الموضع معنى المجازاة, قالوا: وتأويل الكلام: لو كان للرحمن ولد, كنت أوّل من عبده بذلك. ذكر من قال ذلك:
23979ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قُلْ إنْ كانَ للرّحْمَنِ وَلَدٌ فَأنا أوّلُ العابِدِينَ قال: لو كان له ولد كنت أوّل من عبده بأن له ولدا, ولكن لا ولد له.
وقال آخرون: معنى ذلك: قل إن كان للرحمن ولد, فأنا أوّل الآنفين ذلك, ووجهوا معنى العابدين إلى المنكرين الآبين, من قول العرب: قد عبِد فلان من هذا الأمر إذا أنِف منه وغضب وأباه, فهو يعبَد عَبدا, كما قال الشاعر:

ألا هَوِيَتْ أُمّ الوَلِيدِ وأصْبَحَتْلِمَا أبْصَرَتْ فِي الرأس مِنّي تَعَبّدُ
وكما قال الآخر:
مَتى ما يَشأ ذُو الوُدّ يَصْرِمْ خَلِيلَهُوَيَعْبَدْ عَلَيْهِ لا مَحَالةَ ظالِمَا
23980ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال ثني: ابن أبي ذئب, عن أبي قسيط, عن بعجة بن زيد الجهني, أن امرأة منهم دخلت على زوجها, وهو رجل منهم أيضا, فولدت له في ستة أشهر, فذكر ذلك لعثمان بن عفان رضي الله عنه, فأمر بها أن تُرجم, فدخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه, فقال: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرا. وقال: وَفِصَالُهُ فِي عامَيْنِ قال: فوالله ما عبدِ عثمان أن بعث إليها تردّ. قال يونس, قال ابن وهب: عبد: استنكف.
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى: إنْ الشرط الذي يقتضي الجزاء على ما ذكرناه عن السديّ, وذلك أن «إن» لا تعدو في هذا الموضع أحد معنيين: إما أن يكون الحرف الذي هو بمعنى الشرط الذي يطلب الجزاء, أو تكون بمعنى الجحد, وهب إذا وجهت إلى الجحد لم يكن للكلام كبير معنى, لأنه يصير بمعنى: قل ما كان للرحمن ولد, وإذا صار بذلك المعنى أوهم أهل الجهل من أهل الشرك بالله أنه إنما نفي بذلك عن الله عزّ وجلّ أن يكون له ولد قبل بعض الأوقات, ثم أحدث له الولد بعد أن لم يكن, مع أنه لو كان ذلك معناه لقدر الذين أمر الله نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: ما كان للرحمن ولد, فأنا أوّل العابدين أن يقولوا له صدقت, وهو كما قلت, ونحن لم نزعم أنه لم يزل له ولد. وإنما قلنا: لم يكن له ولد, ثم خلق الجنّ فصاهرهم, فحدث له منهم ولد, كما أخبر الله عنهم أنهم كانوا يقولونه, ولم يكن الله تعالى ذكره ليحتجّ لنبيه صلى الله عليه وسلم وعلى مكذّبيه من الحجة بما يقدرون على الطعن فيه, وإذ كان في توجيهنا «إن» إلى معنى الجحد ما ذكرنا, فالذي هو أشبه المعنيين بها الشرط. وإذ كان ذلك كذلك, فبينة صحة ما نقول من أن معنى الكلام: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل عابديه بذلك منكم, ولكنه لا ولد له, فأنا أعبده بأنه لا ولد له, ولا ينبغي أن يكون له.
وإذا وجه الكلام إلى ما قلنا من هذا الوجه لم يكن على وجه الشكّ, ولكن على وجه الإلطاف في الكلام وحُسن الخطاب, كما قال جلّ ثناؤه قُلِ اللّهُ, وأنا أوْ إيّاكُمْ لَعَلى هُدًى أوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ.
وقد علم أن الحقّ معه, وأن مخالفيه في الضلال المبين.
وقوله: سُبْحانَ رَبّ السّمَوَاتِ وَالأرْضِ يقول تعالى ذكره تبرئة وتنزيها لمالك السموات والأرض ومالك العرش المحيط بذلك كله, وما في ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب, ويضيفون إليه من الولد وغير ذلك من الأشياء التي لا ينبغي أن تضاف إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
23981ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: رَبّ العَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ: أي يكذّبون.

الآية : 83-84

القول في تأويل قوله تعالى: {فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتّىَ يُلاَقُواْ يَـوْمَهُمُ الّذِي يُوعَدُونَ * وَهُوَ الّذِي فِي السّمآءِ إِلَـهٌ وَفِ ي الأرْضِ إِلَـهٌ وَهُـوَ الْحَكِيـمُ الْعَلِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: فذر يا محمد هؤلاء المفترين على الله, الواصفيه بأن له ولدا يخوضوا في باطلهم, ويلعبـوا فـي دنيـاهم حـتى يُلاقـوا يَـوْمَهُمْ الّـذِي يُوعَدُونَ وذلك يوم يصليهم الله بفريتهم عليه جهنم, وهو يوم القيامة. كما:

23982ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ حتى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الّذِي يُوعَدونَ قال: يوم القيامة.

وقوله: وَهُوَ الّذِي فِي السّماءِ إلَهٌ, وفي الأرْضِ إلَه يقول تعالى ذكره: والله الذي له الألوهة في السماء معبود, وفي الأرض معبود كمـا هـو فـي السـماء معبود, لا شيء سواه تصلح عبادته يقـول تعـالى ذكـره: فـأفردوا لمـن هـذه صفته العبادة, ولا تشركوا به شيئا غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:

23983ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَهُوَ الّذِي فِي السّماءِ إلَهٌ وفي الأرْضِ إلَهٌ قال: يُعبد فـي السـماء, ويُعبد في الأرض.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: وَهُوَ الّذِي فِي السّماءِ إلَهٌ وفي الأرْضِ إلَهٌ: أي يعبد في السماء وفي الأرض.

وقوله: وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ يقول: وهو الحكيم في تدبير خلقه, وتسخيرهم لما يشاء, العليم بمصالحهم.

الآية : 85

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَبَـارَكَ الّـذِي لَـهُ مُلْـكُ السّـمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره, وتبارك الذي له سلطان السموات السبع والأرض, وما بينهما من الأشياء كلها, جارٍ علـى جميـع ذلـك حكمـه, مـاضٍ فيهـم قضـاؤه. يقول: فكيف يكون له شريكا من كان في سلطانه وحكمه فيـه نافـد وَعِنْـدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ يقول: وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة, ويُحشر فيهـا الخلق من قبورهم لموقف الحساب.

قوله: وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يقـول: وإليـه أيها النـاس تـردّون م ن بعـد ممـاتكم, فتصيرون إليه, فيجازي المحسن بإحسانه, والمسيء بإساءته.

الآية : 86

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ يَمْلِكُ الّذِينَ يَدْعُونَ مِـن دُونِـهِ الشّـفَاعَةَ إِلاّ مَن شَهِدَ بِالْحَقّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلـك: ولا يملـك عيسى وعزير والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركون بالسـاعة, الشـفاعة عند الله لأحد, إلا من شـهد بـالحقّ, فوحـد اللـه وأطـاعه, بتوحيـد علـم منـه وصحة بما جاءت به رسله. ذكر من قال ذلك:

23984ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلا يَمْلِكُ الّـذِينَ يَـدْعُونَ مِـنْ دُونـه الشّـفاعَةَ قـال: عيسى, وعُزير, والملائكة.

قوله: إلاّ مَنْ شَهِدَ بالحَقّ قال: كلمة الإخلاص, وهم يعلمون أن الله حـقّ, وعيسى وعُزير والملائكة يقـول: لا يشـفع عيسـى وعُزيـر والملائكـة إلاّ م ن شهد بالحقّ, وهو يعلم الحق.

وقـال آخـرون: عنـي بـذلك: ولا تملـك الآلهـة الـتي يـدعوها المشـركون ويعبدونها من دون الله الشفاعة إلاّ عيسى وعُزير وذووهما, والملائكة الذين شهدوا بالحقّ, فأقرّوا به وهم يعلمون حقيقة مـا شـهدوا بـه. ذكـر مـن قـال ذلك:

23985ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة وَلا يَمْلِكُ الّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دونِـهِ الشّـفاعَةَ إلاّ مَـنْ شَـهِدَ بـالحَقّ وَهُـمْ يَعْلَمُـونَ: الملائكة وعيسى وعُزيـر, قـد عُبِـدوا مـن دون اللـه ولهـم شـفاعة عنـد اللـه ومنزلة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة إلاّ مَـنْ شَهِدَ بالحَقّ قال: الملائكة وعيسـى ابـن مريـم وعُزيـر, فـإن لهـم عنـد اللـه شهادة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنـه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشـفاعة عنـده لأحـد, إلاّ مـن شهد بالحقّ, وشهادته بالحقّ: هو إقراره بتوحيـد اللـه, يعنـي بـذلك: إلاّ مـن آمن بالله, وهم يعلمون حقيقة توحيده, ولم يخصص بأن الذي لا يملـك ملـك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله, فذلك على جميـع مـن كـان تعبد قريش من دون الله يوم نزلت هذه الآية وغيرهم, وقـد كـان فيهـم مـن يعبد من دون الله الآلهة, وكان فيهم مـن يعبـد مـن دونـه الملائكـة وغيرهـم, فجميع أولئك داخلون في قوله: ولا يملك الذين يدعو قريـش وسـائر العـرب من دون الله الشفاعة عند الله. ثم استثنى جـلّ ثنـاؤه بقـوله: إلاّ مَـنْ شَـهِدَ بـالحَقّ وَهُـم يَعْلَمُـونَ وهـم الـذين يشـهدون شـهادة الحـقّ فيوحـدون اللـه, ويخلصون له الوحدانية, على علم منهم ويقين بذلك, أنهم يملكون الشـفاعة عنده بإذنه لهم بها, كما قال جلّ ثناؤه: وَلا يَشْـفَعُونَ إلا لِمَـن ارْتَضَـى فـأثبت جلّ ثناؤه للملائكة وعيسى وعُزير ملكهم من الشـفاعة مـا نفـاه عـن الآلهـة والأوثان باستثنائه الذي استثناه.

الآية : 87-88

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنّ اللّـهُ فَـأَنّىَ يُؤْفَكُونَ * وَقِيلِهِ يَرَبّ إِنّ هَـؤُلاَءِ قَوْمٌ لاّ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولَئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك: من خلقهم؟ ليقولنّ: اللّهُ خلقنا فَأنّى يُؤْفَكُونَ فأيّ وجه يصرفون عـن عبـادة الذي خلقهم, ويحرمون إصابة الحقّ في عبادته.

وقوله: وَقِيلِه: يا رَبّ إن هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاّ يُؤمِنُونَ اختلفت القـرّاء فـي قـراءة قوله: وَقِيلِهِ فقرأته عامة قرّاء المدينـة ومكـة والبصـرة «وَقِيلَـهُ» بالنصـب. وإذا قرىء ذلك كذلك, كان لـه وجهـان فـي التأويـل: أحـدهما العطـف علـى قوله: أمْ يَحْسَبُونَ أنّا لا نَسْمَعُ سِرّهُمْ ونَجْوَاهُمْ, ونسمع قيله يا ربّ. والثاني: أن يضمر له ناصب, فيكون معناه حينئذٍ: وقال قوله: يا رَبّ إنّ هَؤُلاءِ قَـوْمٌ لا يَؤْمِنُونَ وشكا محمـد شـكواه إلـى ربـه. وقرأتـه عامـة قـرّاء الكوفـة وَقِيلِـهِ بالخفض على معنى: وعنده علم الساعة, وعلم قيله.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. فتأويل الكلام إذن: وقال محمد قيله شاكيا إلى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذّبوه, وما يلقى منهم: يا ربّ إن هؤلاء الذين أمرتني بإنذارهم وأرسلتني إليهم لدعائهم إليك, قوم لا يؤمنون. كما:

23986ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَقِيلِهِ يا رَبّ إنّ هَؤُلاء قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ قال: فأبرّ الله عزّ وجلّ قول محمد صلى الله عليه وسلم.

23987ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَقِيلِهِ يا رَبّ إنّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ قال: هذا قول نبيكم عليه الصلاة والسلام يشكو قومه إلى ربه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَقِيلِهِ يا رَبّ قال: هو قول النبيّ صلى الله عليه وسلم إنّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ.

الآية : 89

القول في تأويل قوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلاَمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم, جوابا له عن دعائه إياه إذ قال: «يا ربّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون» فاصْفَحْ عَنْهُمْ يا محمد, وأعرض عن أذاهم وَقُلْ لهم سَلامٌ عليكم ورفع سلام بضمير عليكم أو لكم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة «فَسَوْفَ تَعْلَمونَ» بالتاء على وجه الخطاب, بمعنى: أمر الله عزّ وجلّ نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك للمشركين, مع قوله: سَلامٌ, وقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض قرّاء مكة فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ بالياء على وجه الخبر, وأنه وعيد من الله للمشركين, فتأويله على هذه القراءة: فاصْفَحْ عَنْهُمْ يا محمد وقُلْ سَلامٌ. ثم ابتدأ تعالى ذكره الوعيدَ لهم, فقال فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ما يلقون من البلاء والنكال والعذاب على كفرهم, ثم نسخ الله جلّ ثناؤه هذه الآية, وأمر نبيّه صلى الله عليه وسلم بقتالهم. كما:

23988ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة فاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ قال: اصفح عنهم, ثم أمره بقتالهم.

23989ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال الله تبارك وتعالى يعزّي نبيه صلى الله عليه وسلم فاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ.

سورة الدخان

سورة الدخان مكيّة
وآياتها تسع وخمسون
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-6

القول في تأويل قوله تعالى: {حمَ * وَالْكِتَـابِ الْمُبِـينِ * إِنّـآ أَنزَلْنَـاهُ فِـي لَيْلَةٍ مّبَارَكَةٍ إِنّا كُنّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مّنْ عِنْـدِنَآ إِنّـا كُنّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مّن رّبّكَ إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ }.

قد تقدم بياننا في معنى قوله: حم. والكِتابِ المُبِينِ. وقوله: إنّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكةٍ أقسم جلّ ثناؤه بهذا الكتاب, أنه أنزله في ليلة مباركة.

واختلف أهل التأويل في تلك الليلة, أيّ ليلة من ليالي السنة هي؟ فقال بعضهم: هي ليلة القدر. ذكر من قال ذلك:

23990ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُباركَةٍ: ليلة القدر, ونزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من رمضان, ونزلت التوراة لستّ ليال مضت من رمضان, ونزل الزّبور لستّ عشرة مضت من رمضان, ونزل الإنجيل لثمان عشرة مضت من رمضان, ونزل الفُرقان لأربع وعشرين مضت من رمضان.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ قال: هي ليلة القدر.

23991ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله عزّ وجل: إنّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إنّا كُنّا مُنْذِرِيْنَ قال: تلك الليلة ليلة القدر, أنزل الله هذا القرآن من أمّ الكتاب في ليلة القدر, ثم أنزله على الأنبياء في الليالي والأيام, وفي غير ليلة القدر.

وقال آخرون: بل هي ليلة النصف من شعبان.

والصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى بها ليلة القدر, لأن الله جلّ ثناؤه أخبر أن ذلك كذلك لقوله تعالى: إنّا كُنّا مُنْذِرِينَ خَلْقنا بهذا الكتاب الذي أنزلناه في الليلة المباركة عقوبتنا أن تحلّ بمن كفر منهم, فلم ينب إلى توحيدنا, وإفراد الألوهة لنا.

وقوله: فِيها يُفْرَق كُلّ أمْرٍ حَكِيم اختلف أهل التأويل في هذه الليلة التي يُفرق فيها كلّ أمر حكيم, نحو اختلافهم في الليلة المباركة, وذلك أن الهاء التي في قوله: فِيها عائدة على الليلة المباركة, فقال بعضهم: هي ليلة القدر, يُقْضَى فيها أمر السنة كلها من يموت, ومن يولد, ومن يعزّ, ومن يذل, وسائر أمور السنة. ذكر من قال ذلك:

23992ـ حدثنا مجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا ربيعة بن كلثوم, قال: كنت عند الحسن, فقال له رجل: يا أبا سعيد, ليلة القدر في كلّ رمضان؟ قال: إي والله, إنها لفي كلّ رمضان, وإنها الليلة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم, فيها يقضي الله كلّ أجل وأمل ورزق إلى مثلها.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا ربيعة بن كلثوم, قال: قال رجل للحسن وأنا أسمع: أرأيت ليلة القدر, أفي كل رمضان هي؟ قال: نعم والله الذي لا إله إلاّ هو, إنها لفي كل رمضان, وإنها الليلة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم, يقضي الله كلّ أجل وخلق ورزق إلى مثلها.

23993ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال عبد الحميد بن سالم, عن عمر مولى غفرة, قال: يقال: ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر إلى مثلها, وذلك لأن الله عزّ وجلّ يقول: إنّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ وقال فِيها يُفْرَقُ كُلّ أمْرٍ حَكِيمٍ قال: فتجد الرجل ينكح النساء, ويغرس الغرس واسمه في الأموات.

23994ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن سلمة, عن أبي مالك, في قوله: فِيها يُفْرَق كُلّ أمْرٍ حَكِيمٍ قالَ: أمر السنة إلى السنة ما كان من خلق أو رزق أو أجل أو مصيبة, أو نحو هذا.
23995ـ قال: ثنا سفيان, عن حبيب, عن هلال بن يساف, قال: كان يقال: انتظروا القضاء في شهر رمضان.
23996ـ حدثنا الفضل بن الصباح, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن حصين, عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن في قوله: فِيها يُفْرَقُ كُلّ أمْرٍ حَكِيمٍ قال: يدبر أمر السنة في ليلة القدر.
23997ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فِيها يُفْرَقُ كُلّ أمْرٍ حَكِيمٍ قال: في ليلة القدر كلّ أمر يكون في السنة إلى السنة: الحياة والموت, يقدر فيها المعايش والمصائب كلها.
23998ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ ليلة القدر فِيها يُفْرَقُ كُلّ أمْرٍ حَكِيمٍ كُنّا نُحدّثُ أنه يُفْرق فيها أمر السنة إلى السنة.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: هي ليلة القدر فيها يُقضى ما يكون من السنة إلى السنة.
23999ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, قال: سألت مجاهدا, فقلت: أرأيت دعاء أحدنا يقول: اللهمّ إن كان اسمي في السعداء, فأثبته فيهم, وإن كان في الأشقياء فامحه منهم, واجعله بالسعداء, فقال: حسن, ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك, فسألته عن هذا الدعاء, قال: إنّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إنّا كُنّا مُنْذِرِينَ, فِيها يُفْرَقُ كُلّ أمْرٍ حَكِيمٍ قال: يقضي في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة, ثم يقدّم ما يشاء, ويؤخر ما يشاء فأما كتاب السعادة والشقاء فهو ثابت لا يغير. وقال آخرون: بل هي ليلة النصف من شعبان. ذكر من قال ذلك:
24000ـ حدثنا الفضل بن الصباح, والحسن بن عرفة, قالا: حدثنا الحسن بن إسماعيل البجلي, عن محمد بن سوقة, عن عكرمة في قول الله تبارك وتعالى: فِيها يُفْرَقُ كُلّ أمْرٍ حَكِيمٍ قال: في ليلة النصف من شعبان, يبرم فيه أمر السنة, وتنسخ الأحياء من الأموات, ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد, ولا ينقص منهم أحد.
24001ـ حدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا الليث, عن عقيل بن خالد, عن ابن شهاب, عن عثمان بن محمد بن المُغيرة بن الأخنس, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تُقْطَعُ الآجالُ مِنْ شَعْبانُ إلى شَعْبانَ حتى إن الرّجُلَ لَيَنْكِحُ وَيُولَدُ لَهُ وَقَدْ خَرَجَ اسمُهُ فِي المَوْتَى».
24002ـ حدثني محمد بن معمر, قال: حدثنا أبو هشام, قال حدثنا عبد الواحد, قال: حدثنا عثمان بن حكيم, قال: حدثنا سعيد بن جُبير, قال: قال ابن عباس: إن الرجل ليمشي في الناس وقد رُفع في الأموات, قال: ثم قرأ هذه الآية إنّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إنّا كُنّا مُنْذِرِينَ, فِيها يُفْرَقُ كُلّ أمْرٍ حَكِيم قال: ثم قال: يفرق فيها أمر الدنيا من السنة إلى السنة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك ليلة القدر لما قد تقدّم من بياننا عن أن المعنِيّ بقوله: إنّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ ليلة القدر, والهاء في قوله: فِيها من ذكر الليلة المباركة. وعنى بقوله: فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكِيمٍ في هذه الليلة المباركة يُقْضَى ويُفْصَل كلّ أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثلها من السنة الأخرى, ووضع حكيم موضع محكم, كما قال: آلم, تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الحَكِيمِ يعني: المحكم.

وقوله: أمْرا مِنْ عِنْدِنا إنّا كُنّا مُرْسِلِينَ يقول تعالى ذكره: في هذه الليلة المباركة يُفْرق كلّ أمر حكيم, أمرا من عندنا.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: أمْرا فقال بعض نحويي الكوفة: نصب على إنا أنزلناه أمرا ورحمة على الحال. وقال بعض نحويي البصرة: نصب على معنى يفرق كل أمر فرقا وأمرا. قال: وكذلك قوله: رَحْمَةً مِنْ رَبّكَ قال: ويجوز أن تنصب الرحمة بوقوع مرسلين عليها, فجعل الرحمة للنبيّ صلى الله عليه وسلم.

وقوله: إنّا كُنّا مُرْسِلِينَ يقول تعالى ذكره: إنا كنا مرسلي رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى عبادنا رحمة من ربك يا محمد إنّهُ هُوَ السّمِيعُ العَلِيمُ يقول: إن الله تبارك وتعالى هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا, وأرسلنا من رسلنا إليهم, وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم, العليم بما تنطوي عليه ضمائرهم, وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم.

الآية : 7-9

القول في تأويل قوله تعالى: {رَبّ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مّوقِنِينَ * لاَ إِلَـَهَ إِلاّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبّكُمْ وَرَبّ آبَآئِكُمُ الأوّلِينَ * بَلْ هُمْ فِي شَكّ يَلْعَبُونَ }.

اختلفتِ القرّاء في قراءة قوله: رَبّ السّمَوَاتِ والأرْضِ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة «رَبّ السّمَوَاتِ» بالرفع على إتباع إعرَاب الربّ إعراب السميع العليم. وقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض المكيين رَبّ السّمَوَاتِ خفضا ردّا على الرب في قوله جلّ جلاله: رَحْمَةً مِنْ رَبّكَ.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

ويعني بقوله: رَبّ السّمَوَات والأرْضِ وَما بَيْنَهُما يقول تعالى ذكره الذي أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك, وأرسلك إلى هؤلاء المشركين رحمة من ربك, مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلها.

وقوله: إنْ كُنْتُمْ مُوقِنِين يقول: إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم ربّ السموات والأرض, فإن الذي أخبرتكم أن الله هو الذي هذه الصفات صفاته, وأن هذا القرآن تنزيله, ومحمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حق يقين, فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء غيره.

وقوله: لا إلَهَ إلاّ هُوَ يقول: لا معبود لكم أيها الناس غير ربّ السموات والأرض وما بينهما, فلا تعبدوا غيره, فإنه لا تصلح العبادة لغيره, ولا تنبغي لشيء سواه, يحي ويميت, يقول: هو الذي يحي ما يشاء, ويميت ما يشاء مما كان حيا.

وقوله: رَبّكُمْ وَرَبّ آبائِكُمُ الأوّلِين يقول: هو مالككم ومالك من مضى قبلكم من آبائكم الأوّلين, يقول: فهذا الـذي هـذه صـفته, هـو الـربّ فاعبـدوه دون آلهتكم التي لا تقدر على ضرّ ولا نفع.

وقوله: بَلْ هُمْ فِي شَكّ يَلْعَبُون يقول تعالى ذكره ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الأخبار, يعني بذلك مشركي قريش, ولكنهم في شكّ منه, فهم يلهون بشكهم في الذي يخبرون به من ذلك.

الآية : 10-12

القول في تأويل قوله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَـوْمَ تَـأْتِي السّـمَآءُ بِـدُخَانٍ مّبِيـنٍ * يَغْشَى النّاسَ هَـذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رّبّنَا اكْشِفْ عَنّا الْعَذَابَ إِنّا مُؤْمِنُونَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: فارْتَقِبْ فانتظر يا محمد بهؤلاء المشركين مـن قومك الذين هم في شكّ يلعبون, وإنما هو افتعـل, مـن رقبتـه: إذا انتظرتـه وحرسته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24003ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فارْتَقِبْ: أي فانتظر.

وقوله: يَوْمَ تَأْتِي السمّاءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله عزّ وجلّ نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه, وأخبره أن السـماء تـأتي فيه بدخان مبين: أي يوم هو, ومتى هو؟ وفي معنى الـدخان الـذي ذُكـر فـي هذا الموضع, فقال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسـلم على قريش ربه تبارك وتعـالى أن يأخـذهم بسـنين كسـني يوسـف, فأخـذوا بالمجاعة, قالوا: وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذٍ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان. ذكر من قال ذلك:

24004ـ حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق, قال: دخلنـا المسـجد, فـإذا رجل يقص على أصحابه. ويقول: يَوْمَ تأتِي السّماءُ بِـدُخانٍ مُبِيـنٍ تـدرون مـا ذلـك الـدخان؟ ذلـك دخـان يـأتي يـوم القيامـة, فيأخـذ أسـماعَ المنـافقين وأبصارهم, ويأخـذ المـؤمنين منـه شـبه الزكـام؟ قـال: فأتينـا ابـن مسـعود, فذكرنا ذلك له وكان مضطجعا, ففزع, فقعد فقـال: إن اللـه عـزّ وجـلّ قـال لنـبيه صـلى اللـه عليـه وسـلم قُـلْ مـا أسـألُكُمْ عَلَيْـهِ مِـنْ أجْـرٍ وَمـا أنـا مِـنَ المُتَكَلّفِينَ إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلـم: اللـه أعلـم, سـأحدثكم عن ذلك, إن قريشا لما أبطأت عن الإسـلام, واستعصـت علـى رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يَوسف, فأصابهم مـن الجهـد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة, وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان, قال الله تبـارك وتعـالى: يَـوْمَ تَـأتِي السّـماءُ بِـدُخانٍ مُبِيـنٍ يَغْشَى الناسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ فَقالُوا: رَبّنا اكْشِفْ عَنا العَذَابَ إنّا مُؤْمِنُونَ قالَ اللهِ جلّ ثناؤه: إنّا كاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلاً إنّكُمْ عائِـدُونَ يَـوْم نَبْطِـش البَطْشَـةَ الكُبْرَى إنّا مُنْتَقِمُونَ قال: فعادوا يوم بدر فانتقم الله منهم.

حدثني عبد الله بن محمد الزهريّ, قال: حدثنا مالك بن سُعَير, قال: حدثنا الأعمش, عن مسلم, عن مسروق قال: كان في المسجد رجل يذكر الناس, فذكر نحو حديث عيسى, عن يحيى بن عيسى, إلا أنه قال: فانتقم يـوم بـدر, فهي البطشة الكبرى.

24005ـ حدثنا ابن حميد, وعمرو بن عبد الحميد, قالا: حـدثنا جريـر, عـن منصور, عن أبي الضحى مسلم بن صبيح, عن مسروق, قال: كنـا عنـد عبـد

الله بن مسعود جلوسا وهو مضطجع بيننا, فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن: إن قاصا عند أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار, ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام, فقام عبد الله وجلس وهو غضبان, فقال: يا أيها الناس اتقوا الله, فمن علم شيئا فليقل بما يعلم, ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم. وقال عمرو: فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم, وما على أحدكم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم, فإن الله عزّ وجلّ يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْر وَما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ إن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدبارا, قال: «اللهمّ سبعا كسبع يوسف», فأخذتهم سنة حصّت كل شيء, حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف, ينظر أحدهم إلى السماء فيرى دخانا من الجوع, فأتاه أبو سفيان بن حرب فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بالطاعة وبصلة الرحم, وإن قومك قد هلكوا, فادع الله لهم, قال الله عزّ وجلّ: فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأتِي السّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ... إلى قوله: إنّكُمْ عائِدُونَ قال: فكُشف عنهم يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إنّا مُنْتَقِمُونَ فالبطشة يوم بدر, وقد مضت آية الروم وآية الدخان, والبطشة واللزام.

24006ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق قال: قال عبد الله: خمس قد مضين: الدخان, واللزام, والبطشة, والقمر, والروم.

24007ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن عاصم, قال: شهدت جنازة فيها زيد بن عليّ فأنشأ يحدّث يومئذٍ, فقال: إن الدخان يجيء قبل يوم القيامة, فيأخذ بأنف المؤمن الزكام, ويأخذ بمسامع الكافر, قال: قلت رحمك الله, إن صاحبنا عبد الله قد قال غير هذا, قال: إن الدخان قد مضى وقرأ هذه الآية فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأتِي السّماءُ بِدُخانٍ مُبِين يَغْشَى النّاسَ هَذَا عَذَابٌ أليمٌ قال: أصاب الناس جهد حتى جعل الرجل يرى ما بينه وبين السماء دخانا, فذلك قوله: فارْتَقِبْ وكذا قرأ عبد الله إلى قوله: مُؤْمِنُونَ قالَ: إنّا كاشِفُوا العَذابِ قَلِيلاً قلت لزيد فعادوا, فأعاد الله عليهم بدرا, فذلك قوله: وَإنْ عُدْتُمْ عُدْنا فذلك يوم بدر, قال: فقبل والله, قال عاصم: فقال رجل يردّ عليه, فقال زيد رحمة الله عليه: أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال: «إنّكُمْ سَيَجِيئُكُمْ رُوَاةٌ, فَمَا وَافَقَ القُرآنَ فَخُذُوا بِهِ, وَما كانَ غيرَ ذلكَ فَدَعُوهُ».

24008ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن ابن مسعود أنه قال: البطشة الكبرى يوم بدر, وقد مضى الدخان.

24009ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن عوف, قال: سمعت أبا العالية يقول: إن الدخان قد مضى.

24010ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن عمرو, عن مغيرة, عن إبراهيم, قال: مضى الدخان لسنين أصابتهم.

24011ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا أيوب, عن محمد, قال: نُبئت أن ابن مسعود كان يقول: قد مضى الدخان, كان سنين كسني يوسف.

24012ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي

نجيح, عن مجاهد يَوْمَ تَأْتِي السّماءُ بِدُخانٍ مُبِين قال: الجدب وإمساك المطر عن كفار قريش, إلى قوله: إنّا مُؤْمِنُونَ.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يَوْمَ تَأْتِي السّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ قال: كان ابن مسعود يقول: قد مضى الدخان, وكان سنين كسني يوسف يَغْشَى النّاسَ هَذَا عَذَابٌ أليمٌ.

24013ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَوْمَ تَأْتِي السّماءُ بِدُخانٍ مُبِين: قد مضى شأن الدخان.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن إبراهيم, عن عبد الله يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى قال: يوم بدر.

وقال آخرون: الدخان آية من آيات الله, مرسلة على عباده قبل مجيء الساعة, فيدخل في أسماع أهل الكفر به, ويعتري أهل الإيمان به كهيئة الزكام, قالوا: ولم يأت بعد, وهو آتٍ. ذكر من قال ذلك:

24014ـ حدثني واصل بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن فضيل, عن الوليد بن جميع, عن عبد الملك بن المُغيرة, عن عبد الرحمن بن البيلمان, عن ابن عمر, قال: يخرج الدخان, فيأخذ المؤمن كهيئة الزكمة, ويدخل في مسامع الكافر والمنافق, حتى يكون كالرأس الحنيذ.

24015ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن ابن جريج, عن عبد الله بن أبي مليكة, قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم, فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت, قلت: لمَ؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب, فخشيت أن يكون الدخان قد طرق, فما نمت حتى أصبحت.

24016ـ حدثنا محمد بن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضل, عن عوف, قال: قال الحسن: إن الدخان قد بقي من الآيات, فإذا جاء الدخان نفخ الكافر حتى يخرج من كلّ سمع من مسامعه, ويأخذ المؤمن كزكمة.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عثمان, يعني ابن الهيثم, قال: حدثنا عوف, عن الحسن بنحوه.

24017ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن, عن أبي سعيد, قال: يهيج الدخان بالناس. فأما المؤمن فيأخذه منه كهيئة الزكمة. وأما الكافر فيهيجه حتى يخرج من كلّ مسمع منه قال: وكان بعض أهل العلم يقول: فما مَثل الأرض يومئذٍ إلا كمَثل بيت أوقد فيه ليس فيه خصاصة.

24018ـ حدثني عصام بن روّاد بن الجراح, قال: ثني أبي, قال: حدثنا سفيان بن سعيد الثوري, قال: حدثنا منصور بن المعتمر, عن ربْعِيّ بن حِرَاش, قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوّلْ الآياتِ الدّجالُ, وَنُزُولُ عِيسَى بْن مَرْيَمَ, وَنارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ أبَيْنَ تَسُوقُ النّاسَ إلى المَحْشَرِ تَقِيلُ مَعَهُمْ إذَا قالُوا, والدّخان», قال حُذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية يَوْمَ تَأتِي السّماءُ بِدُخانٍ مُبِين يَغْشَى النّاسَ هَذَا عَذَابٌ أليمٌ «يَمْلأ ما بَينَ المَشْرقِ والمَغْرِبِ يَمْكُثُ أرْبَعِينَ يَوْما وَلَيْلَةً أمّا المُؤْمِنُ فَيُصِيبَهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزّكامِ. وأمّا الكافِرُ فَيَكُونُ بِمْنزِلَةِ السّكْرانِ يَخْرُجُ مِنْ مَنْخِرَيْهِ وأُذُنَيْهِ ودُبُرِهِ».

24019ـ حدثني محمد بن عوف, قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش, قال: ثني أبي, قال: ثني ضمضم بن زرعة, عن شريح بن عبيد, عن أبي مالك الأشعريّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ رَبّكُمْ أنْذَرَكُمْ ثَلاثا: الدّخان يَأْخُذ المُؤْمِنَ كالزّكْمَةِ, وَيأْخُذُ الكافِرَ فَيَنْتَفِخُ حتى يَخْرُجَ مِنْ كُلّ مَسْمَعٍ مِنْهُ, والثّانِيَة الدّابّةُ, والثّالِثَة الدّجّالُ».

وأولى القولين بالصواب في ذلك ما رُوي عن ابن مسعود من أن الدخان الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه, هو ما أصاب قومه من الجهد بدعائه عليهم, على ما وصفه ابن مسعود من ذلك إن لم يكن خبر حُذيفة الذي ذكرناه عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا, وإن كان صحيحا, فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما أنزل الله عليه, وليس لأحد مع قوله الذي يصح عنه قول, وإنما لم أشهد له بالصحة, لأن محمد بن خلف العسقلانيّ حدثني أنه سأل روّادا عن هذا الحديث, هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا, فقلت له: فقرأته عليه, فقال: لا, فقلت له: فقرىء عليه وأنت حاضر فأقرّ به, فقال: لا, فقلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه عليّ وقالوا لي: اسمعه منا فقرأوه عليّ, ثم ذهبوا, فحدّثوا به عني, أو كما قال فلما ذكرت من ذلك لم أشهد له بالصحة, وإنما قلت: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية, لأن الله جلّ ثناؤه توعّد بالدخان مشركي قريش وأن قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم: فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله: لَا إلَهَ إلاّ هُوَ يُحْي ويُمِيتُ ربّكُمْ وَرَبّ آبائِكُمُ الأوّلِينَ, بَلْ هُمْ فِي شَكّ يَلْعَبُونَ, ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ أمرا منه له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه وتهديدا للمشركين فهو بأن يكون إذ كان وعيدا لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون آخره عنهم لغيرهم, وبعد, فإنه غير منكر أن يكون أجلّ بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم, ويكون مُجِلاً فيما يستأنف بعد بآخرين دخانا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا كذلك, لأن الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تظاهرت بأن ذلك كائن, فإنه قد كان ما رَوَى عنه عبد الله بن مسعود, فكلا الخبرين اللذين رُويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح.

وإن كان تأويل الآية في هذا الموضع ما قلنا, فإذ كان الذي قلنا في ذلك أولى التأويلين, فبين أن معناه: فانتظر يا محمد لمشركي قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذي يحل بهم على كفرهم بمثل الدخان المبين لمن تأمله أنه دخان. يغشَى الناسَ: يقول: يغشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ يعني أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد: هذا عذاب أليم. وهو الموجع, وترك من الكلام «يقولون» استغناءً بمعرفة السامعين معناه من ذكرها.

وقوله: رَبّنا اكْشِفْ عَنّا العَذَابَ يعني أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسألتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم, ويقولون: إنك إن كشفته آمنا بك وعبدناك من دون كلّ معبود سواك, كما أخبر عنهم جلّ ثناؤه رَبّنا اكْشِفْ عَنّا العَذَابَ إنّا مُؤْمِنُونَ.

الآية : 13-15

القول في تأويل قوله تعالى: {أَنّىَ لَهُمُ الذّكْرَىَ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مّبِينٌ * ثُمّ تَوَلّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلّمٌ مّجْنُونٌ * إِنّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنّكُمْ عَآئِدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: من أيّ وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم, وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه, لا يتذكرون بما يُتلى عليهم من كتابنا, ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا, ويقولون: إنما هو مجنون عُلّم هذا الكلام. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: أنّى لَهُمُ الذّكْرَى قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24020ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: أنّى لَهُمُ الذّكْرَى يقول: كيف لهم.

24021ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أنّى لَهُمُ الذّكْرَى بعد وقوع هذا البلاء.

وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله: ثُمّ تَوَلّوْا عَنْهُ وَقالُوا مُعَلّمُ مَجْنُونٌ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24022ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد ثُمّ تَوَلّوْا عَنْهُ وَقالُوا مُعَلّمُ مَجْنُونٌ قال: تولوا عن محمد عليه الصلاة والسلام, وقالوا: معلم مجنون.

وقوله: إنّا كاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلاً إنّكُمْ عائِدُونَ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل والعذاب الحالّ بهم من الجهد, وأخبر عنهم أنهم يعاهدونه أنه إن كشف العذاب عنهم آمنوا إنا كاشفوا العذاب: يعني الضرّ النازل بهم بالخصب الذي نحدثه لهم قَلِيلاً إنّكُمْ عائِدُونَ يقول: إنكم أيها المشركون إذا كَشَفْتُ عنكم ما بكم من ضرّ لم تفوا بما تعدون وتعاهدون عليه ربكم من الإيمان, ولكنكم تعودون في ضلالتكم وغيكم, وما كنتم قبل أن يكشف عنكم.

وكان قتادة يقول: معناه: إنكم عائدون في عذاب الله.

24023ـ حدثنا بذلك ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر عنه.

وأما الذين قالوا: عنى بقوله: يَوْمَ تَأْتِي السّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ الدخان نفسه, فإنهم قالوا في هذا الموضع: عنى بالعذاب الذي قال إنّا كاشِفُوا العَذَابِ: الدخان. ذكر من قال ذلك:

24024ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّا كاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلاً يعني الدخان.

24025ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّا كاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلاً قال: قد فعل, كشف الدخان حين كان.

قوله: إنّكُمْ عائِدونَ قال: كُشِف عنهم فعادوا.

24026ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة إنّكُمْ عائِدُونَ إلى عذاب الله.

الآية : 16-18

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىَ إِنّا مُنتَقِمُونَ * وَلَقَدْ فَتَنّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدّوَاْ إِلَيّ عِبَادَ اللّهِ إِنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ }.

يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم, والضرّ الحالّ بكم, ثم عدتم في كفركم, ونقضتم عهدكم الذي عاهدتم ربكم, انتقمت منكم يوم أبطش بكم بطشتي الكبرى في عاجل الدنيا, فأهلككم, وكشف الله عنهم, فعادوا, فبطش بهم جلّ ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا, فأهلكهم قتلاً بالسيف. وقد اختلف أهل التأويل في البطشة الكبرى, فقال بعضهم: هي بطشة الله بمشركي قريش يوم بدر. ذكر من قال ذلك:

24027ـ حدثنا ابن المثنى, قال: ثني ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن ابن مسعود, أنه قال: البطشة الكبرى: يوم بدر.

24028ـ حدثني عبد الله بن محمد الزهري, قال: حدثنا مالك بن سعير, قال: حدثنا الأعمش, عن مسلم, عن مسروق قال: قال يوم بدر, البطشة الكبرى.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا أيوب, عن محمد, قال: نبئت أن ابن مسعود كان يقول: يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى يوم بدر.

24029ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن ليث, عن مجاهد يَوْم نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى قال: يوم بدر.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى قال: يوم بدر.

24030ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, قال: سمعت أبا العالية في هذه الآية يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى قال: يوم بدر.

24031ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إنّا مُنْتَقِمُونَ قال: يعني يوم بدر.

24032ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عثام بن عليّ, عن الأعمش, عن إبراهيم, قال: قلت: ما البطشة الكبرى فقال: يوم القيامة, فقلت: إن عبد الله كان يقول: يوم بدر قال: فبلغني أنه سُئل بعد ذلك فقال: يوم بدر.

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب قالا: حدثنا ابن إدريس, عن الأعمش, عن إبراهيم, بنحوه.

24033ـ حدثنا بشر, حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أبي الخليل, عن مجاهد, عن أبيّ بن كعب, قال: يوم بدر.

24034ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى: يوم بدر.

24035ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الكُبْرَى قال: هذا يوم بدر. وقال آخرون: بل هي بطشة الله بأعدائه يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا خالد الحذّاء, عن عكرمة, قال: قال ابن عباس: قال ابن مسعود: البطشة الكبرى: يوم بدر, وأنا أقول: هي يوم القيامة.

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن دريس, قال: حدثنا الأعمش, عن إبراهيم, قال: مرّ بي عكرمة, فسألته عن البطشة الكبرى فقال: يوم

القيامة قال: قلت: إن عبد الله بن مسعود كان يقول: يوم بدر, وأخبرني من سأله بعد ذلك فقال: يوم بدر.
24036ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى قال قتادة عن الحسن: إنه يوم القيامة.
وقد بيّنا الصواب في ذلك فيما مضى, والعلة التي من أجلها اخترنا ما أخترنا من القول فيه.
وقوله: وَلَقَدْ فَتَنّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ يعني تعالى ذكره: ولقد اختبرنا وابتلينا يا محمد قبل مشركي قومك مثال هؤلاء قوم فرعون من القبط. وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ يقول: وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه إليهم, وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه. كما:
24037ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَقَدْ فَتَنّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ يعني موسى.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: رَسُولٌ كَرِيمٌ قال: موسى عليه السلام, ووصفه جل ثناؤه بالكرم, لأنه كان كريما عليه, رفيعا عنده مكانة, وقد يجوز أن يكون وصفه بذلك, لأنه كان في قومه شريفا وسيطا.
وقوله: أن أدّوا إليّ عِبادَ اللّهِ يقول تعالى ذكره: وجاء قوم فرعون رسول من الله كريم عليه بأن ادفعوا إليّ, ومعنى «أدوا»: ادفعو إليّ فأرسلوا معي واتبعونِ, وهو نحو قوله: أنْ أرْسِلْ مَعِيَ بَنِي أسْرَائِيلَ فإن في قوله: أنْ أدّوا إليّ نصب, وعباد الله نصب بقوله: أدّوا وقد تأوله قوم: أن أدّوا إليّ يا عباد الله, فعلى هذا التأويل عباد الله نصب على النداء. وبنحو الذي قلنا في تأويل أنْ أدّوا إليّ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24038ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَقَدْ فَتَنّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ. أن أدّوا إليّ عِبادَ اللّهِ إنّي لَكُمْ رَسُولٌ أمِينٌ قال: يقول: اتبعوني إلى ما أدعوكم إليه من الحقّ.
24039ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أنْ أدّوا إليّ عِبادَ اللّهِ قال: أرسلوا معي بني إسرائيل.
24040ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة أنْ أدّوا إليّ عِبادَ اللّهِ قال: بني إسرائيل.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أنْ أدّوا إليّ عِبادَ اللّهِ يعني به بني إسرائيل, قال لفرعون: علام تحبس هؤلاء القوم, قوما أحرارا اتخذتهم عبيدا, خلّ سبيلهم.
24041ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: أنْ أدّوا إليّ عِبادَ اللّهِ قال: يقول: أرسل عباد الله معي, يعني بني إسرائيل, وقرأ فَأرْسِلْ مَعَنا بَنِي إسْرَائِيلَ وَلا تَعذّبهم قال: ذلك قوله: أنْ أدّوا إليّ عِبادَ اللّهِ قال: ردّهم إلينا.
وقوله: إنّي لَكُمْ رَسُولٌ أمِينٌ يقول: إني لكم أيها القوم رسول من الله أرسلني إليكم لا يدرككم بأسه على كفركم به, أمين: يقول: أمين على وحيه ورسالته التي أوعدنيها إليكم.

الآية : 19-21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَن لاّ تَعْلُواْ عَلَى اللّهِ إِنّـيَ آتِيكُـمْ بِسُـلْطَانٍ مّبِينٍ * وَإِنّي عُذْتُ بِرَبّي وَرَبّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ * وَإِن لّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَاعْتَزِلُونِ}.

يقول تعالى ذكره: وجاءهم رسول كريم, أن أدّوا إليّ عباد اللـه, وبـأن لا تعلوا على الله.

وعنى بقوله: أنْ لا تَعْلُوا على اللّهِ أن لا تطغو وتبغوا على ربكم, فتكفروا به وتعصوه, فتخالفوا أمره إنّي آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِيـن يقـول: إنـي آتيكـم بحجـة على حقيقة ما أدعوكم إليه, وبرهان على صحته, مبين لمـن تأملهـا وتـدبرها أنها حجة لي على صحة ما أقول لكم. وبنحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24042ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأنْ لا تَعْلُوا على اللّهِ: أي لا تبغوا على اللـه إنّـي آتِيكُـمْ بسُـلْطانٍ مُبِيـن: أي بعذر مبين.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, بنحوه.

24043ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وأنْ لا تَعْلُوا على اللّـهِ يقـول: لا تفـتروا على الله.

وقوله: وَإنيّ عُذْتُ بِرَبّي وَرَبّكُمْ أنْ تَرْجُمُونَ يقول: وإني اعتصـمت بربـي وربكم, واستجرت به منكم أن ترجمون.

واختلف أهل التأويل في معنى الرجم الذي استعاذ موسى نبيّ اللـه عليـه السلام بربه منه, فقال بعضهم: هو الشتم باللسان. ذكر من قال ذلك:

24044ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وإنّي عُـذْتُ بِرَبّـي وَرَبّكُـمْ أنْ تَرْجُمُـونَ قال: يعني رجم القول.

24045ـ حدثني ابن المثنى, قال: حدثنا عثمان بن عمر بن فارس, قـال: حدثنا شعبة, عن إسماعيل بن أبي خالد, عـن أبـي صـالح, فـي قـوله: وإنّـي عُذْتُ بِرَبّي وَرَبّكُمْ أنْ تَرْجُمُونَ قال: الرجم: بالقول.

24046ـ حدثنا أبو هشام الرفاعي, قال: حدثنا يحيى بن يمان, قال: حدثنا سفيان, عن إسماعيل, عن أبي صالح وإنّي عُذْتُ بِرَبّـي وَرَبّكُـمْ أنْ تَرْجُمُـونِ قال: أن تقولوا هو ساحر.

وقال آخرون: بل هو الرجم بالحجارة. ذكر من قال ذلك:

24047ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإنّـي عُذْتُ بِرَبّي وَرَبّكُمْ أن تَرْجُمونِ: أي أن ترجمُون بالحجارة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر, عـن قتـادة أنْ تَرْجُمُونَ قال: أن ترجمون بالحجارة.

وقال آخرون: بل عنى بقوله: أنْ تَرْجُمُونِ: أن تقتلوني.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما دلّ عليه ظاهر الكلام, وهو أن موسى عليه السلام استعاذ بالله من أن يرجُمه فرعون وقـومه, والرجـم قـد يكـون قولاً باللسان, وفعلاً باليد. والصواب أن يقال: استعاذ موسى بربه مـن كـل معاني رجمهم الذي يصل منه إلى المرجـوم أذًى ومكـروه, شـتما كـان ذلـك باللسان, أو رجما بالحجارة باليد.

وقوله: وَإنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فاعْتَزِلُون يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى عليه السلام لفرعون وقومه: وإن أنتم أيها القوم لم تصدّقوني على ما جئتكم به من عند ربي, فاعتزلون: يقول: فخلوا سبيلي غير مرجوم باللسان ولا باليد. كما:

24048ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَإنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لي. فاعْتَزِلُونِ: أي فخلّوا سبيلي.

الآية : 22-24

القول في تأويل قوله تعالى: {فَدَعَا رَبّهُ أَنّ هَـَؤُلاَءِ قَوْمٌ مّجْرِمُونَ * فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنّكُم مّتّبَعُونَ * وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنّهُمْ جُندٌ مّغْرَقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فدعا موسى ربه إذ كذّبوه ولم يؤمنوا به, ولم يؤدّ إليه عباد الله, وهموا بقتله بأن هؤلاء, يعني فرعون وقومه قَوْمٌ مُجْرِمُونَ عنى: أنهم مشركون بالله كافرون.

وقوله: فَأَسْرِ بِعِبادِي وَفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذُكر عليه منه, وهو: فأجابه رَبه بأن قال له: فأسر إذ كان الأمر كذلك بعبادي, وهم بنو إسرائيل, وَإنما معنى الكلام: فأسر بعبادي الذين صَدّقوك وآمنو بك, واتبعوك دون الذين كذّبوك منهم, وأبَوْا قبول ما جئتهم به من النصيحة منك, وكان الذين كانوا بهذه الصّفة يومئذٍ بني إسرائيل. وقال: فَأَسْر بعِبادي لَيْلاً لأن معنى ذلك: سر بهم بليل قبل الصباح.

وقوله: إنّكُمْ مُتّبَعُونَ يقول: إن فرعون وقومه من القبط متبعوكم إذا شخصتم عن بلدهم وأرضهم في آثاركم.

وقوله: وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا يقول: وإذا قطعت البحر أنت وأصحابُك, فاتركه ساكنا على حاله التي كان عليها حين دخلته. وقيل: إن الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر ببني إسرائيل فإذ كان ذلك كذلك, ففي الكلام محذوف, وهو: فسرَى موسى بعبادي ليلاً, وقطع بهم البحر, فقلنا له بعد ما قطعه, وأراد ردّ البحر إلى هيئته التي كان عليها قبل انفلاقه: اتركّه رَهْوا. ذكر من قال ما ذكرنا من أن الله عزّ وجلّ قال لموسى صلى الله عليه وسلم هذا القول بعد ما قطع البحر بقومه:

24049ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَدَعا رَبّهُ أنّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ حتى بلغ إنّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ قال: لما خرج آخر بني إسرائيل أراد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب البحر بعصاه, حتى يعود كما كان مخافة آل فرعون أن يدركوهم, فقيل له: اتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا إنّهُمْ جُنْدٌ مُغْرقُونَ.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: لما قطع البحر, عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم, وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده, فقيل له: اتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا كما هو إنّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ.

واختلف أهل التأويل في معنى الرهْو, فقال بعضهم: معناه: اتركه على هيئته وحاله التي كان عليها. ذكر من قال ذلك:

24050ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا يقول: سَمْتا.

24051ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا إنّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ قال: الرهو: أن يترك كما كان, فإنهم لن يخلُصوا من ورائه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا حميد, عن إسحاق, عن عبد الله بن الحارث, عن أبيه, أن ابن عباس سأل كعبا عن قول الله: وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا قال: طريقا.

وقال آخرون: بل معناه: اتركه سَهْلاً. ذكر من قال ذلك:

24052ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبي جعفر, عن الربيع, قوله: وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا قال: سهلاً.

24053ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا قال: يقال: الرهو: السهل.

24054ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا حرميّ بن عُمارة قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرني عمارة, عن الضحاك بن مُزاحم, في قول الله عزّ وجلّ: وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا قال: دَمثا.

حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا قال: سهلاً دمثا.

24055ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا قال: هو السهل. وقال آخرون: بل معناه: واتركه يبسا جددا. ذكر من قال ذلك:

24056ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: ثني عبيد الله بن معاذ, قال: ثني أبي, عن شعبة, عن سماك, عن عكرمة, في قوله: وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا قال: جددا.

24057ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: ثني عبيد الله بن معاذ, قال: حدثنا أبي, عن شعبة, عن سماك, عن عكرمة في قوله: وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا قال: يابسا كهيئته بعد أن ضربه, يقول: لا تأمره يرجع, اتركه حتى يدخل آخرهم.

24058ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: رَهوا قال: طريقا يَبَسا.

24059ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوا كما هو طريقا يابسا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه: اتركه على هيئته كما هو على الحال التي كان عليها حين سَلكْته, وذلك أن الرهو في كلام العرب: السكون, كما قال الشاعر:

كأنما أَهْلُ حُجْرٍ يَنْظُرُونَ مَتيرَوْنَنِي خارِجا طَيْرٌ يَنادِيد

طَيرٌ رأتْ بازِيا نَضْحُ الدّماءِ بِهِوأُمّهُ خَرَجَتْ رَهْوا إلى عِيد

يعني على سكون, وإذا كان ذلك معناه كان لا شكّ أنه متروك سهلاً دَمِثا, وطريقا يَبَسا لأن بني إسرائيل قطعوه حين قطعوه, وهو كذلك, فإذا ترك البحر رهوا كما كان حين قطعه موسى ساكنا لم يُهج كان لا شكّ أنه بالصفة التي وصفت.

وقوله: إنّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ يقول: إن فرعون وقومه جند, الله مغرقهم في البحر.

الآية : 25-28

القول في تأويل قوله تعالى: {كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار, وهي الجنات, وعيون, يعني: ومنابع ما كان ينفجر في جنانهم وزروع قائمة في مزارعهم ومَقامٍ كَرِيم يقول: وموضع كانوا يقومونه شريف كريم.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم, فقال بعضهم: وصفه بذلك لشرفه, وذلك أنه مَقام الملوك والأمراء, قالوا: وإنما أريد به المنابر. ذكر من قال ذلك:

24060ـ حدثني جعفر ابن بنت إسحاق الأزرق, قال: حدثنا سعيد بن محمد الثقفي, قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مُهاجر, عن أبيه, عن مجاهد, في قوله: وَمَقامٍ كَرِيم قال: المنابر.

24061ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا عبد الله بن داود الواسطي, قال: حدثنا شريك عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جُبير, في قوله: وَمقام كَرِيم قال: المنابر.

وقال آخرون: وصف ذلك المقام بالكرم لحسنه وبهجته. ذكر من قال ذلك:

24062ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمَقامٍ كَرِيم: أي حسن.

وقولَه: وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ يقول تعالى ذكره: وأخرجوا من نعمة كانوا فيها فاكهين متفكهين ناعمين.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: فاكِهِينَ فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا أبي جعفر القارىء فاكِهِينَ على المعنى الذي وصفت. وقرأه أبو رجاء العُطاردي والحسن وأبو جعفر المدنيّ «فَكِهِينَ» بمعنى: أشِرِين بَطِرِين.

والصواب من القراءة عندي في ذلك, القَراءة التي عليها قرّاء الأمصار, وهي فاكِهِينَ بالألف بمعنى ناعمين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ: ناعمين, قال: إي والله, أخرجه الله من جناته وعيونه وزروعه حتى ورّطه في البحر.

وقوله: كَذلكَ وَأوْرَثْناها قَوْما آخَرِينَ يقول تعالى ذكره: هكذا كما وصفت لكم أيها الناس فعلنا بهولاء الذي ذكرتُ لكم أمرهم, الذين كذّبوا رسولنا موسى صلى الله عليه وسلم.

وقوله: وأوْرَثْناها قَوْما آخَرِينَ يقول تعالى ذكره وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومَقاماتهم وما كانوا فيه من النعمة عنهم قوما آخرين بعد مهلكهم, وقيل: عُنِي بالقوم الآخرين بنو إسرائيل. ذكر من قال ذلك:

24063ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: كَذلكَ وأوْرَثْناها قَوْما آخَرِينَ يعني بني إسرائيل.

الآية : 29-31

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السّمَآءُ وَالأرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ * وَلَقَدْ نَجّيْنَا بَنِيَ إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِن فِرْعَوْنَ إِنّهُ كَانَ عَالِياً مّنَ الْمُسْرِفِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فما بكت على هؤلاء الذين غرّقهم الله في البحر, وهم فرعون وقومه, السماء والأرض, وقيل: إن بكاء السماء حمرة أطرافها. ذكر من قال ذلك:

24064ـ حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسيّ, قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد, عن الحكم بن ظهير, عن السديّ قال: لما قتل الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما بكت السماء عليه, وبكاؤها حمرتها.

24065ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج, عن عطاء في قوله: فَمَا بَكَت عَلَيْهِمُ السّماءُ والأرْضُ قال: بكاؤها حمرة أطرافها.

وقيل: إنما قيل: فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السّماءُ والأرْضُ لأن المؤمن إذا مات, بكت عليه السماء والأرض أربعينَ صباحا, ولم تبكيا على فرعون وقومه, لأنه لم يكن لهم عمل يَصْعد إلى الله صالح, فتبكي عليهم السماء, ولا مسجد في الأرض, فتبكي عليهم الأرض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24066ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا طلق بن غنام, عن زائدة, عن منصور, عن المنهال, عن سعيد بن جُبير, قال: أتى ابنِ عباس رجل, فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمْ السّماءُ والأرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه, وفيه يصعد عمله, فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله, وينزل منه رزقه, بكى عليه وإذا فقده مُصلاّه من الأرض التي كان يصلي فيها, ويذكر الله فيها بكت عليه, وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة, ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير, قال: فلم تبكِ عليهم السماء والأرض.

24067ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن ويحيى قالا: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد, قال: كان يقال: تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحا.

24068ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي يحيى القَتّات, عن مجاهد, عن ابن عباس بمثله.

حدثني يحيى بن طلحة, قال: حدثنا فضيل بن عياض, عن منصور, عن مجاهد, قال: حُدثت أن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحا.

24069ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي, قال: حدثنا بكير بن أبي السميط, قال: حدثنا قتادة, عن سعيد بن جُبير أنه كان يقول: إن بقاع الأرض التي كان يصعد عمله منها إلى السماء تبكي عليه بعد موته, يعني المؤمن.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن منصور, عن المنهال, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس فَمَا بَكَتِ عَلَيْهِمُ السّماءُ والأرْضُ قال: إنه ليس أحد إلا له باب في السماء ينزل فيه رزقه ويصعد فيه عمله, فإذا فُقِد بكت عليه مواضعه التي كان يسجد عليها, وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يقبل منهم, فيصعد إلى الله عزّ وجلّ, فقال مجاهد: تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحا.

حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد قال: كان يقال: إن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحا.

24070ـ حدثنا يحيى بن طلحة, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن صفوان بن عمرو, عن شريح بن عبيد الحضرمي, قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: «إنّ الإسْلامَ بَدأ غَرِيبا وَسَيَعُودُ غَرِيبا, ألا لا غُرْبَةَ على المُؤْمن, ما ماتَ مُؤْمِنٌ فِي غُرْبَةٍ غابَتْ عَنْهُ فِيها بَواكِيهِ إلاّ بَكَتْ عَلَيْهِ السّماءُ والأرْضُ», ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السّماءُ والأرْضُ, ثم قال: «إنّهُما لا يَبْكِيانِ على الكافِرِ».

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السّماءُ والأرْضُ... الآية, قال: ذلك أنه ليس على الأرض مؤمن يموت إلاّ بكى عليه ما كان يصلي فيه من المساجد حين يفقده, وإلا بكى عليه من السماء الموضعُ الذي كان يرفع منه كلامه, فذلك قوله لأهل معصيته: فَمَا بَكَت عَلَيْهِمُ السّماءُ والأرْضُ, وَما كانُوا مُنْظَرِينَ لأنهما يبكيان على أولياء الله.

24071ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السّماءُ والأرْضُ.

24072ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السّماءُ والأرْضُ يقول: لا تبكي السماء والأرض على الكافر, وتبكي على المؤمن الصالح معالمُه من الأرض ومقرّ عمله من السماء.

24073ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: فَمَا بَكتْ عَلَيْهِمُ السّماءُ والأرْضُ قال: بقاع المؤمن التي كان يصلي عليها من الأرض تبكي عليه إذا مات, وبقاعه من السماء التي كان يرفع فيها عمله.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن المنهال, عن سعيد بن جُبَير, قال: سُئل ابن عباس: هل تبكي السماء والأرض على أحد؟ فقال: نعم إنه ليس أحد, من الخلق إلا له باب في السماء يصعد فيه عمله, وينزل منه رزقه, فإذا مات بكى عليه مكانه من الأرض الذي كان يذكر الله فيه ويصلي فيه, وبكى عليه بابه الذي كان يصعد فيه عمله, وينزل منه رزقه. وأما قوم فرعون, فلم يكن لهم آثار صالحة, ولم يصعد إلى السماء منهم خير, فلم تبكِ عليهم السماء والأرض.

وقوله: وَما كانُوا مُنْظَرِينَ يقول: وما كانوا مؤخرين بالعقوبة التي حلّت بهم, ولكنهم عوجلوا بها إذ أسخطوا ربهم عزّ وجلّ عليهم وَلَقَدْ نَجّيْنَا بنِي إسْرَائِيلَ مِنَ العَذَابِ المُهِينِ: يقول تعالى ذكره: ولقد نجّينا بني إسرائيل من العذاب الذي كان فرعون وقومه يعذّبونَهُم به, المهين يعني المذلّ لهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24074ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلَقَدْ نَجّيْنا بَنِي إسْرائِيلَ مِنَ العَذاب المُهِين بقتل أبنائهم, واستحياء نسائهم.

وقوله: مِنْ فِرْعَوْنَ إنّهُ كانَ عالِيًا مِنَ المُسْرِفِينَ يقول تعالى ذكره: ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب من فرعون, فقوله: مِنْ فِرْعَوْنَ مكرّرة على قوله: مِنَ العَذَابِ المُهِين مبدلة من الأولى. ويعني بقوله: إنّهُ كانَ عالِيا مِنَ المُسْرِفِينَ إنه كان جبارا مستعليا مستكبرا على ربه, مِنَ المُسْرِفِينَ يعني: من المتجاوزين ما ليس لهم تجاوزه. وإنما يعني جلّ ثناؤه أنه كان ذا اعتداء في كفره, واستكبار على ربه جلّ ثناؤه.

الآية : 32-33

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىَ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُم مّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاَءٌ مّبِينٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا بهم على عالمي أهل زمانهم يومئذٍ, وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24075ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ على العالَمِينَ: أي اختيروا على أهل زمانهم ذلك, ولكلّ زمان عالم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ على عِلْم على العالَمِينَ قال: عالم ذلك الزمان.

24076ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ على عِلْمٍ على العالَمِينَ قال: على من هم بين ظَهْرانَيْهِ.

قوله: وآتَيْناهُمْ مِنَ الآياتِ ما فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ يقول تعالى ذكره: وأعطيناهم من العِبر والعظات ما فيه اختبار يبين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به. واختلف أهل التأويل في ذلك البلاء, فقال بعضهم: ابتلاهم بنعمه عندهم. ذكر من قال ذلك:

24077ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وآتَيْناهُمْ مِنَ الآياتِ ما فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ أنجاهم الله من عدوّهم, ثم أقطعهم البحر, وظلّل عليهم الغمام, وأنزل عليهم المنّ والسلوى.

وقال آخرون: بل ابتلاهم بالرخاء والشدّة. ذكر من قال ذلك:

24078ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وآتَيْناهُمْ مِنَ الآياتِ ما فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ, وقرأ وَنَبْلُوَكُمْ بالشّرّ والخَيْرِ فِتْنَةً وَإلَيْنا تُرْجِعُونَ وقال: بلاء مبين لمن آمن بها وكفر بها, بلوى نبتليهم بها, نمحصهم بلوى اختبار, نختبرهم بالخير والشرّ, نختبرهم لننظر فيما أتاهم من الآيات من يؤمن بها, وينتفع بها ويضيعها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى بني إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم, وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء, ويكون بالشدّة, ولم يضع لنا دليلاً من خبر ولا عقل, أنه عنى بعض ذلك دون بعض, وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعا. وجائز أن يكون عنى اختباره إياهم بهما, فإذا كان الأمر على ما وصفنا, فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جلّ ثناؤه إنه اختبرهم.

الآية : 34-36

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ هَـَؤُلاَءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلاّ مَوْتَتُنَا الأُوْلَىَ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ * فَأْتُواْ بِآبَآئِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل مشركي قريش لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم: إن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد لَيَقُولُونَ إنْ هِيَ إلاّ مَوْتَتُنا الأُولى التي نموتها, وهي الموتة الأولى وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ بعد مماتنا, ولا بمبعوثين تكذيبا منهم بالبعث والثواب والعقاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24079ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ إنْ هِيَ إلاّ مَوْتَتُنَا الأُولى وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ قال: قد قال مشركو العرب وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ أي: بمبعوثين.

وقوله: فَأْتُوا بِآبَائِنَا إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يقول تعالى ذكره: قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم: فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا إن كنتم صادقين, أن الله باعثنا من بعد بلانا في قبورنا, ومحيينا من بعد مماتنا, وخوطب صلى الله عليه وسلم هو وحده خطاب الجميع, كما قيل: يا أيّها النّبِيّ إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ وكما قال رَبّ ارْجِعُونِ وقد بيّنت ذلك في غير موضع من كتابنا.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبّعٍ وَالّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إنّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أهؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير, أم قوم تُبّع, يعني تُبّعا الحِمْيريّ. كما:

24080ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله عزّ وجلّ: أهُمْ خَيرٌ, أمْ قَوْمُ تَبّعٍ قال: الحميريّ.

24081ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أهُمْ خَيْرٌ أمْ قَوْمُ تُبّعٍ ذُكر لنا أن تبعا كان رجلاً من حمير, سار بالجيوش حتى خَيْر الحيرة, ثم أتى سمرقند فهدمها. وذُكر لنا أنه كان إذا كَتَبَ كَتَب باسم الذي تسمّى وملك برّا وبحرا وصحا وريحا. وذُكر لنا أن كعبا كان يقول: نُعِتَ نَعْتَ الرّجُلِ الصّالحِ ذمّ الله قومَه ولم يذمه. وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تُبّعا, فإنه كَان رجلاً صالحا.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: قالت عائشة: كان تبّع رجلاً صالحا. وقال كعب: ذمّ قومه ولم يذمه.

24082ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن تميم بن عبد الرحمن, عن سعيد بن جبير, أن تُبّعا كسا البيت, ونهى سعيد عن سبه.

وقوله: وَالّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول تعالى ذكره: أهؤلاء المشركون من قريش خير أم قوم تبّعٍ والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بربها, يقول: فليس هؤلاء بخير من أولئك, فنصفح عنهم, ولا نهلكهم, وهم بالله كافرون, كما كان الذين أهلكناهم من الأمم من قبلهم كفارا.

وقوله: إنّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ يقول: إن قوم تبّع والذين من قبلهم من الأمم الذين أهلكناهم إنما أهلكناهم لإجرامهم, وكفرهم بربهم. وقيل: إنهم كانوا مجرمين, فكُسرت ألف «إن» على وجه الابتداء, وفيها معنى الشرط استغناء بدلالة الكلام على معناها.

الآية : 38-39

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَآ إلاّ بِالْحَقّ وَلَـكِنّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وما خَلَقْنَا السّموَاتِ السبع والأرضين وما بينهما من الخلق لَعِبا. وقوله: ما خَلَقْناهُما إلاّ بالحَقّ يقول: ما خلقنا السموات والأرض إلاّ بالحقّ الذي لا يصلح التدبير إلاّ به. وإنما يعني بذلك تعالى ذكره التنبيه

على صحة البعث والمجازاة, يقول تعالى ذكره: لـم نخلـق الخلـق عبثـا بـأن نحدثهم فنحييهـم مـا أردنـا, ثـم نفنيهـم مـن غيـر الامتحـان بالطاعـة والأمـر والنهي, وغير مجازاة المطيع على طاعته, والعاصي علـى المعصـية, ولكـن خلقنا ذلك لنبتلي من أردنا امتحانه من خلقنا بما شئنا من امتحانه مـن الأمـر والنهي لِنَجْزِيَ الَّذِينَ أساءُوا بِما عَمِلُوا وَنجْزِيَ الّذِينَ أحْسَنُوا بالحُسْنَى.

وَلَكِنّ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ يقول تعالى ذكره: ولكن أكـثر هـؤلاء المشـركين بالله لا يعلمون أن الله خلق ذلك لهـم, فهـم لا يخـافون علـى مـا يـأتون مـن سخط الله عقوبة, ولا يرجون على خير إن فعلوه ثوابا لتكذيبهم بالمعاد.

الآية : 40-42

القول في تأويل قوله تعالى: {إنّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَـاتُهُمْ أَجْمَعِيـنَ * يَـوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَن مّوْلًى شَـيْئاً وَلاَ هُـمْ يُنصَـرُونَ * إلاّ مَـن رّحِـمَ اللّـهُ إِنّـهُ هُـوَ الْعَزِيزُ الرّحِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: إن يوم فصل الله القضاء بين خلقه بمـا أسـلفوا فـي دنياهم من خير أو شرّ يجـزى بـه المحسـن بالإحسـان, والمسـيء بالإسـاءة ميقاتهم أجمعين: يقول: ميقات اجتماعهم أجمعين. كما:

24083ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقاتُهُمْ أجمَعِينَ يوم يُفْصَل فيه بين الناس بأعمالهم.

وقوله: يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عن مَوْلىً شَيْئا يقول: لا يدفع ابن عـمّ عـن ابـن عمّ, ولا صاحب عن صاحبه شيئا من عقوبة الله التي حلّت بهـم مـن اللـه وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ يقول: ولا ينصر بعضهم بعضا, فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا. كما:

24084ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئا... الآية, انقطعـت الأسـباب يومئـذٍ يـا ابـن آدم, وصار الناس إلى أعمالهم, فمن أصـاب يومئـذٍ خيـرا سـعد بـه آخـر مـا عليه, ومن أصاب يومئذٍ شرّا شقي به آخر ما عليه.

وقوله: إلاّ مَنْ رَحِمَ اللّهُ اختلف أهل العربية في موضع «مَنْ» فـي قـوله: إلاّ مَنْ رَحِمَ اللّهُ فقال بعض نحويي البصرة: إلاّ من رحم اللـه, فجعلـه بـدلاً من الاسم المضمر في ينصرون, وإن شـئت جعلتـه مبتـدأ وأضـمرت خـبره, يريد به: إلاّ من رحم الله فيغني عنه. وقال بعـض نحـويي الكوفـة قـوله: إلاّ مَنْ رَحِمَ اللّهُ قال: المؤمنون يشفع بعضـهم فـي بعـض, فـإن شـئت فاجعـل «مَنْ» في موضع رفع, كأنك قلت: لا يقوم أحـد إلاّ فلان, وإن شـئت جعلتـه نصبا على الاستثناء والانقطاع عن أوّل الكلام, يريد: اللهمّ إلاّ من رحم الله.

وقال آخرون منهم: معناه: لا يغني مولًى عن مولًى شيئا, إلاّ من أذن الله له أن يشفع قـال: لا يكـون بـدلاً ممـا فـي ينصـرون, لأن إلاّ محقـق, والأوّل منفـيّ, والبـدل لا يكـون إلاّ بمعنـى الأوّل. قـال: وكـذلك لا يجـوز أن يكـون مستأنفا, لأنه لا يستأنف بالاستثناء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون في موضع رفع بمعنـى: يـوم لا يغني مولًى عن مولًى شيئا إلاّ من رحم الله منهم, فإنه يغني عنه بأن يشـفع له عند ربه.

وقوله: إنّهُ هُوَ العَزِيزُ الرّحِيمُ يقول جلّ ثنـاؤه واصـفا نفسـه: إن اللـه هـو العزيز في انتقامه من أعدائه, الرحيم بأوليائه, وأهل طاعته.

الآية : 43-46

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ شَجَرَةَ الزّقّومِ * طَعَامُ الأثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ }.

يقول تعالى ذكره: إنّ شَجَرَةَ الزّقّومِ التي أخبر أنها تَنْبُت في أصل الجحيم, التي جعلها طعاما لأهل الجحيم, ثمرها في الجحيم طعام الآثم في الدنيا بربه, والأثيم: ذو الإثم, والإثم من أثم يأثم فهو أثيم. وعنى به في هذا الموضع: الذي إثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام. وقد:

24085ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن همام بن الحارث, أن أبا الدرداء كان يُقرىء رجلاً إنّ شَجَرَةَ الزّقّومِ طَعامُ الأثِيمِ فقال: طعام اليتيم, فقال أبو الدرداء: قل إن شجرة الزقوم طعام الفاجر.

24086ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش, عن أبي يحيى, عن مجاهد, عن ابن عباس قال: «لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا, لأفسدت على الناس معايشهم».

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن همام, قال: كان أبو الدرداء يُقرىء رجلاً إنّ شَجَرَةَ الزّقّومِ طَعامُ الأثِيمِ قال: فجعل الرجل يقول: إن شجرة الزقوم طعام اليتيم قال: فلما أكثر عليه أبو الدرداء, فرآه لا يفهم, قال: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر.

24087ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ شَجَرَةَ الزّقّومِ طَعامُ الأثِيمِ قال: أبو جهل.

وقوله: كالمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ يقول تعالى ذكره: إن شجرة الزقوم التي جعل ثمرتها طعام الكافر في جهنم, كالرصاص أو الفضة, أو ما يُذاب في النار إذا أذيب بها, فتناهت حرارته, وشدّت حميته في شدّة السواد.

وقد بيّنا معنى المهل فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع من الشواهد, وذكر اختلاف أهل التأويل فيه, غير أنا نذكر من أقوال أهل العلم في هذا الموضع ما لم نذكره هناك:

24088ـ حدثنا سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا محمد بن الصلت, قال: حدثنا أبو كدينة, عن قابوس, عن أبيه, قال: سألت ابن عباس, عن قول الله جلّ ثناؤه: كالمُهْلِ قال: كدرديّ الزيت.

حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: كالمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ يقول: أسود كمهل الزيت.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ويعقوب بن إبراهيم, قالوا: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت مطرفا, عن عطية بن سعد, عن ابن عباس, في قوله: كالمُهْلِ ماء غليظ كدرديّ الزيت.

حدثني يحيى بن طلحة, قال: حدثنا شريك, عن مطرّف, عن رجل, عن ابن عباس في قوله: كالمُهْلِ قال: كدرديّ الزيت.

24089ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا خليد, عن الحسن, عن ابن عباس, أنه رأى فضة قد أُذيبت, فقال: هذا المهل.

24090ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو معاوية, قال: حدثنا عمرو بن ميمون عن أبيه, عن عبد الله, في قوله: كالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوه قال: دخل

عبد الله بيت المال, فأخرج بقايا كانت فيه, فأوقد عليها النار حتى تلألأت, قال: أين السائل عن المهل, هذا المهل.

24091ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ: وحدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا خالد بن الحارث, عن عوف, عن الحسن, قال: بلغني أن ابن مسعود سُئل عن المهل الذي يقولون يوم القيامة شراب أهل النار, وهو على بيت المال, قال: فدعا بذهب وفضة فأذابهما, فقال: هذا أشبه شيء في الدنيا بالمهل الذي هو لون السماء يوم القيامة, وشراب أهل النار, غير أن ذلك هو أشدّ حرّا من هذا, لفظ الحديث لابن بشار وحديث ابن المثنى نحوه.

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا أشعث, عن الحسن, قال: كان من كلامه أن عبد الله بن مسعود رجل أكرمه الله بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم, فإن عمر رضي الله عنه استعمله على بيت المال, قال: فعمد إلى فضة كثيرة مكسرة, فخدّ لها أخدودا, ثم أمر بحطب جزل فأوقد عليها, حتى إذا امّاعت وتزبدت وعادت ألوانا, قال: انظروا من بالباب, فأدخل القوم فقال لهم: هذا أشبه ما رأينا في الدنيا بالمُهْل.

24092ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ شَجَرَةَ الزّقّومِ طَعامُ الأثِيمِ... الآية, ذُكر لنا أن ابن مسعود أهديت له سقاية من ذهب وفضة, فأمر بأخدود فخدّت في الأرض, ثم قُذِف فيها من جزل الحطب, ثم قذفت فيها تلك السقاية, حتى إذا أزبدت وانماعت قال لغلامه: ادع من بحضرتنا من أهل الكوفة, فدعا رهطا, فلما دخلوا قال: أترون هذا؟ قالوا نعم, قال: ما رأينا في الدنيا شبيها للمهل أدنى من الذهب والفضة حين أزبد وانماع.

24093ـ حدثنا أبو هشام الرفاعي, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن عبد الله بن سفيان الأسديّ, قال: أذاب عبد الله بن مسعود فضة, ثم قال: من أراد أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, عن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: يَوْمَ تَكُونُ السّماءُ كالمُهْلِ قال: كدُرديّ الزيت.

24094ـ حدثني يحيى بن طلحة قال: حدثنا شريك, عن سالم, عن سعيد: كالمهل قال: كدردي الزيت.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يعمر بن بشر, قال: حدثنا ابن المبارك, قال: حدثنا أبو الصباح, قال: سمعت يزيد بن أبي سمية يقول: سمعت ابن عمر يقول: هل تدرون ما المهل؟ المهل مهل الزيت, يعني آخره.

قال: ثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني, قال: حدثنا ابن المبارك, قال: أخبرنا أبو الصباح الأيلي, عن يزيد بن أبي سمية, عن ابن عمر بمثله.

24095ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا رشدين بن سعد, عن عمرو بن الحارث, عن درّاج أبي السمح, عن أبي الهيثم, عن أبي سعيد, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في قوله: بِمَاءٍ كالمُهْلِ «كعَكر الزيت, فإذا قرّبه إلى وجهه, سقطت فروة وجهه فيه».

قال: ثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا يعمر بن بشر, قال: أخبرنا ابن المبارك, قال: أخبرنا رشدين بن سعد, قال: ثني عمرو بن الحارث, عن أبي

السمح, عن أبي الهيثم, عن أبي سعيد الخُدْريّ, عن النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسلم, مثله.

وقوله: فِي البُطُونِ اختلفت القرّاء في قـراءة ذلـك, فقرأتـه عامـة قـرّاء المدينة والبصرة والكوفة «تَغْلِي» بالتاء, بمعنى أن شجرة الزقوم تغلي فـي بطونهم, فأنثوا تغلي لتأنيث الشجرة. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الكوفة يَغْلِي بمعنى: طعام الأثيم يغلي, أو المهل يغلي, فـذكّره بعضـهم لتـذكير الطعـام, ووجه معناه إلى أن الطعـام هـو الـذي يغلـي فـي بطـونهم وبعضـهم لتـذكير المهل, ووجهه إلى أنه صفة للمهل الذي يغلي.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتـان صـحيحتا المعنـى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب كَغَلْي الحَمِيـمِ يقـول: يغلـي ذلـك فـي بطـون هؤلاء الأشقياء كغلي الماء المحموم, وهو المسخن الذي قد أوقد عليه حـتى تناهت شدّة حرّه, وقيل: حميم وهو محموم, لأنه مصروف من مفعـول إلـى فعيل, كما يقال: قتيل من مقتول.

الآية : 47-48

القول في تأويل قوله تعالى: {خُـذُوهُ فَـاعْتِلُوهُ إِلَـىَ سَـوَآءِ الْجَحِيـمِ * ثُـمّ صُبّواْ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ }.

يقول تعالى ذكره: خُذُوهُ يعني هَذا الأثيم بربه, الذي أخبر جلّ ثناؤه أن له شجرة الزقوم طعام فاعْتِلُوهُ يقول تعالى ذكـره: فـادفعوه وسـوقوه, يقـال منه: عتله يعتله عتلاً: إذا ساقه بالدفع والجذب ومنه قول الفرزدق:

لَيْسَ الكِرَامُ بِناحِلِيكَ أَبَاهُمُحتى تُرَدّ إلى عَطِيّةَ تُعْتِلُ

أي تُساق دَفْعا وسحبا.

وقوله: إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ: إلى وسط الجحيم. ومعنـى الكلام: يقـال يـوم القيامة: خذوا هذا الأثيم فسوقوه دفعا في ظهره, وسحبا إلـى وسـط النـار. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: فاعْتِلُوهُ قـال أهـل التأويـل. ذكـر مـن قـال ذلك:

24096ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عـن مجاهـد قـوله: خُـذُوهُ فـاعْتِلُوهُ إلـى سَـوَاءِ الجَحِيـمِ قـال: خـذوه فادفعوه.

وفي قوله: فاعْتلُوهُ لغتان: كسر التاء, وهي قراءة بعض قرّاء أهل المدينة وبعض أهل مكة.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا أنهما لغتـان معروفتـان فـي العـرب, يقال منه: عتل يعتِل ويعتُل, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

24097ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة إلـى سَوَاءِ الجَحِيمِ: إلى وَسَط النار.

وقوله: ثُمّ صُبّوا فَوْقَ رأسِهِ مِنْ عَذابِ الحَمِيمِ يقول تعالى ذكره: ثم صبوا على رأس هذا الأثيم من عـذاب الحميـم, يعنـي: مـن المـاء المسـخن الـذي وصفنا صفته, وهو الماء الذي قال الله يُصْهَرُ بِهِ ما في بُطُونِهِمْ والجُلُودُ, وقد بيّنت صفته هنالك.

الآية : 49-50

القول في تأويل قوله تعالى: {ذُقْ إِنّكَ أَنتَ الْعَزِيـزُ الْكَرِيـمُ * إِنّ هَـذَا مَـا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يقال لهذا الأثيم الشقيّ: ذق هذا العذاب الذي تعذّب به اليوم إنّكَ أنْتَ العَزِيزُ في قومك الكَرِيمُ عليهم. وذُكر أن هـذه الآيـات نزلـت في أبي جهل بن هشام. ذكر من قال ذلك:

24098ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سـعيد, عـن قتـادة ثُـمّ صُبّوا فَوْقَ رأسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ نزلت في عدوّ الله أبي جهل لقـي النـبيّ صلى الله عليه وسلم, فأخذه فهزّه, ثم قال: أولى لك يا أبا جهل فأولى, ثـم أولى لك فأولى, ذق إنك أنت العزيز الكريم, وذلك أنه قال: أيوعدني محمد, والله لأنا أعزّ من مشى بين جبليها. وفيه نزلت وَلا تُطِعْ مِنْهُـمْ آثِمـا أوْ كَفُـورا وفيه نزلت كَلاّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ وقـال قتـادة: نزلـت فـي أبـي جهـل وأصحابه الذين قتل الله تبارك وتعالى يوم بدر أَلَمْ تَرَ إلى الّـذِينَ بَـدّلُوا نِعْمَـةَ اللّهِ كُفْرا وأَحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتـادة, قـال: نزلت في أبي جهل خُذوهُ فاعْتِلُوهُ قال قتادة, قال أبو جهـل: مـا بيـن جبليهـا رجل أعزّ ولا أكرم مني, فقال الله عزّ وجلّ: ذُقْ إنّكَ أنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ.

24099ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: خُذُوهُ فاعْتِلُوهُ إلى سَوَاءِ الجَحِيمِ قال: هذا لأبي جهل.

فإن قال قائل: وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذي ذكره الله, ويذلّ بالعتل إلى سواء الجحيم: إنك أنت العزيز الكريم؟ قيل: إن قوله: إنّكَ أنْـتَ العَزيـزُ الكَرِيمُ غير وصف من قائل ذلك له بالعزّة والكرم, ولكنه تقريع منـه لـه بمـا كان يصف به نفسه في الدنيا, وتوبيخ له بذلك على وجه الحكايـة, لأنـه كـان في الدنيا يقول: إنك أنت العزيز الكريم, فقيل له فـي الآخـرة, إذ عـذّب بمـا عُذّب به في النار: ذُق هذا الهوان اليوم, فإنك كنـت تزعـم أنـك أنـت العزيـز الكريم, وإنك أنت الذليل المهين, فأين الـذي كنـت تقـول وتـدّعي مـن العـزّ والكرم, هلا تمتنع من العذاب بعزّتك.

24100ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا صفوان بن عيسـى قـال حـدثنا ابـن عجلان عن سعيد المقبري, عن أبي هريرة قال: قال كعب: لله ثلاثة أثـواب: اتّزر بالعزّ, وتَسَربل الرحمة, وارتدى الكبرياء تعالى ذكره, فمـن تعـزّز بغيـر ما أعزّه الله فذاك الذي يقال: ذق إنك أنت العزيز الكريم, ومن رحم النـاس فذاك الذي سربل الله سرباله الذي ينبغي له ومن تكبر فذاك الذي نازع الله رداءه إن الله تعالى ذكره يقـول: «لا ينبغـي لمـن نـازعني ردائـي أن أدخلـه الجنة» جلّ وعزّ. وأجمعت قرّاء الأمصار جميعا على كسر الألـف مـن قـوله: ذُقْ إنّكَ على وجه الابتداء. وحكاية قول هذا القائل: إنـي أنـا العزيـز الكريـم. وقرأ ذلك بعض المتأخرين «ذُقْ أنّكَ» بفتح الألف على إعمال قوله: ذُقْ فـي قوله: أنّكَ كأنك معنى الكلام عنده: ذق هذا القول الذي قلته في الدنيا.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا كسر الألف من إنّكَ على المعنى الذي ذكرت لقارئه, لإجماع الحجة من القرّاء عليه, وشذوذ ما خالفه, وكفـى دليلاً على خطأ قراءة خلافها, ما مضت عليه الأئمة مـن المتقـدمين والمتـأخرين, مع بُعدها من الصحة في المعنى وفراقها تأويل أهل التأويل.

وقوله: إنّ هَذَا ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ يقـول تعـالى ذكـره: يقـال لـه: إن هـذا العذاب الذي تعذّب بـه اليـوم, هـو العـذاب الـذي كنتـم فـي الـدنيا تَشُـكّون, فتختصمون فيه, ولا توقنون به فقد لقيتموه, فذوقوه.

الآية : 51-53

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الْمُتّقِينَ فِـي مَقَـامٍ أَمِيـنٍ * فِـي جَنّـاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مّتَقَابِلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بأداء طاعته, واجتناب معاصيه في موضع إقامة, آمنين في ذلك الموضع مما كان يخاف منه في مقامات الـدنيا من الأوصاب والعلل والأنصاب والأحزان.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: فِي مَقامٍ أمِينٍ فقرأته عامة قرّاء المدينة «في مُقامٍ أمِينٍ» بضم الميم, بمعنى: في إقامة أمين مـن الظع ن. وقرأتـه عامة قرّاء المصرين. الكوفة والبصرة فِي مَقـامٍ بفتـح الميـم علـى المعنـى الذي وصفنا, وتوجيها إلى أنهم في مكان وموضع أمين.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وبنحـو الـذي قلنـا فـي ذلـك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24101ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ المُتّقِيـنَ فِـي مَقَـامٍ أمِيـنٍ إيّ والله, أميـن مـن الشـيطان والأنصـاب والأحزان.

وقوله: فِي جَنّـاتِ وَعُيُـونٍ الجنـات والعيـون ترجمـة عـن المق ام الأمي ن, والمقام الأمين: هو الجنات والعيون, والجنـات: البسـاتين, والعيـون: عيـون الماء المطرد في أصول أشجار الجنات.

وقوله: يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ يقول: يلبس هؤلاء المتقون في هذه الجنـات من سندس, وهو ما رقّ من الديباج وإستبرق: وهو ما غلظ من الديباج. كما:

24102ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة, عـن عكرمة, في قوله: مِنْ سُنْدُسٍ وإسْتَبْرَقٍ قال: الإستبرق: الديباج الغليظ.

وقيل: يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ولم يقل لباسا, استغناء بدلالة الكلام على معناه.

وقوله: مُتَقابِلِينَ يعني أنهم في الجنة يقابل بعضهم بعضا بالوجوه, ولا ينظر بعضهم في قفا بعض. وقد ذكرنا الرواية بذلك فما مضـى, فـأغني ذلـك عـن إعادته.

الآية : 54-57

القول في تأويل قوله تعالى: {كَذَلِكَ وَزَوّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ * يَـدْعُونَ فِيهَـا بِكلّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاّ الْمَوْتَةَ الأُولَىَ وَوَقَاهُمْ عَـذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلاً مّن رّبّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: كما أعطينا هؤلاء المتقيـن فـي الآخـرة مـن الكرامـة بإدخالناهم الجنات, وإلباسناهم فيها السندس والإسـتبرق, كـذلك أكرمنـاهم بأن زوّجناهم أيضا فيها حورا من النسـاء, وهـن النقيـات البيـاض, واحـدتهنّ: حَوْراء. وكان مجاهد يقول في معنى الحُور, ما:

24103ـ حدثني به محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعـا, عـن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وزَوّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ قال: أنكحناهم حـورا. قال: والحُور: اللاتي يحار فيهنّ الطـرف بـادٍ مُـخّ سـوقهنّ مـن وراء ثيـابهنّ, ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهنّ كالمرآة من رقـة الجلـد, وصـفاء اللـون, وهذا الذي قاله مجاهد من أن الحور إنما معناها: أنه يحار فيها الطرف, قول لا معنى له في كلام العرب, لأن الحُور إنمـا هـو جمـع حـوراء, كـالحمر جمـع

حمراء, والسود: جمع سوداء, والحوراء إنما هي فعلاء من الحـور وهـو نقـاء البياض, كما قيل للنقيّ البياض من الطعام الحُـوّاري. وقـد بيّنـا معنـى ذلـك بشواهده فيما مضى قبل. وبنحو الذي قلنا في معنـى ذلـك قـال سـائر أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24104ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: كَذَلكَ وَزَوّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ قال: بيضاء عيناء, قال: وفي قراءة ابـن مسـعود «بعِيسٍ عِينٍ».

حدثنا بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: بِحُورٍ عِينٍ قال: بيض عين, قال: وفـي حـرف ابـن مسـعود «بعِيـسٍ عِيـنٍ». وقرأ ابن مسعود هذه, يعني أن معنى الحور غير الذي ذهب إليه مجاهـد, لأن العيس عند العرب جمع عيساء, وهي البيضاء من الإبل, كما قال الأعشي:

وَمَهْمَهَةً نازِحٍ تَعْوِي الذّئابُ بِهِكَلّفْتُ أَعْيَسَ تَحْتَ الرّحْلِ نَعّابا

يعني بالأعيس: جملاً أبيض. فأما العين فإنها جمـع عينـاء, وهـي العظيمـة العينين من النساء.

وقوله: يَدْعُونَ فِيها... الآية, يقول: يدعو هؤلاء المتقون في الجنة بكلّ نوع من فواكه الجنة اشتهوه, آمنين فيها من انقطاع ذلـك عنهـم ونفـاده وفنـائه, ومن غائلة أذاه ومكروهه, يقول: ليست تلـك الفاكهـة هنالـك كفاكهـة الـدنيا التي نأكلها, وهم يخافون مكروه عاقبتها, وغب أذاها مع نفادها مـن عنـدهم, وعدمها في بعض الأزمنة والأوقات. وكان قتادة يوجه تأويل قوله: آمنين إلى ما:

24105ـ حدثنا به بشر, قال: حدثنا يزيد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلّ فاكِهَةٍ آمِنِينَ أمنوا من الموت والأوصاب والشيطان.

وقوله: لا يَذُوقُونَ فِيها المَوْتَ إلاّ المَوْتَةَ الأُولى يقول تعالى ذكره: لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا.

وكان بعض أهل العربية يوجه «إلاّ» في هذا الموضع إلـى أنهـا فـي معنـى سوى, ويقول: معنى الكلام: لا يذوقون فيهـا المـوت سـوى الموتـة الأولـى, ويمثله بقوله تعالى ذكره: وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَـحَ آبـاؤُكُمْ مِـنَ النّسـاءِ إلاّ مـا قَـدْ سَلَف بمعنى: سوى ما قد فعل آباؤكم, وليس للذي قال من ذلك عندي وجه مفهوم, لأن الأغلب من قول القائل: لا أذوق اليوم الطعام إلا الطعـام الـذي ذقته قبل اليوم أنه يريد الخبر عن قائله أن عنده طعاما في ذلك اليوم ذائقـه وطاعمه دون سائر الأطعمة غيره, وإذا كان ذلك الأغلب من معناه وجـب أن يكون قد أثبت بقوله: إلاّ المَوْتَةَ الأُولى موتـة مـن نـوع الأولـى هـم ذائقوهـا, ومعلوم أن ذلك ليس كذلك, لأن الله عزّ وجلّ قد آمَن أهل الجنة فـي الجنـة إذا هم دخلوها من الموت, ولكن ذلك كما وصفت من معنـاه. وإنمـا جـاز أن توضع «إلا» في موضع «بعد» لتقارب معنييهما فـي هـذا الموضـع وذلـك أن القائل إذا قال: لا أكلم اليوم رجلاً إلا رجلاً عند عمرو قد أوجـب علـى نفسـه أن لا يكلم ذلك اليوم رجلاً بعد كلام الرجل الذي عند عمرو. وكذلك إذا قـال: لا أكلم اليوم رجلاً بعد رجل عند عمرو, قد أوجب على نفسه أن لا يكلم ذلك اليوم رجلاً إلا رجلاً عند عمرو, فبعد, وإلا: متقاربتا المعنى في هذا الموضـع. ومن شأن العرب أن تضع الكلمـة مكـان غيرهـا إذا تقـارب معنياهمـا, وذلـك كوضعهم الرجاء مكان الخوف لما في معنى الرجاء من الخوف, لأن الرجـاء

ليس بيقين, وإنما هو طمع, وقد يصدق ويكذب كما الخوف يصدق أحيانا ويكذب, فقال في ذلك أبو ذُؤَيْب:

إذا لَسَعَتْهُ الدّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهاوَخالَفَها فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلُ

فقال: لم يرج لسعها, ومعناه في ذلك: لم يخف لسعها, وكوضعهم الظنّ موضع العلم الذي لم يدرك من قِبل العيان, وإنما أدرك استدلالاً أو خبرا, كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنّوا بِألْفَيْ مُدَجّجٍسَرَاتُهُمُ في الفارِسِيّ المُسَرّدِ

بمعنى: أيقنوا بألفى مدجّج واعلموا, فوضع الظنّ موضع اليقين, إذ لم يكن المقول لهم ذلك قد عاينوا ألفي مدجج, ولا رأوهم, وإن ما أخبرهم به هذا المخبر, فقال لهم ظنوا العلم بما لم يعاين من فعل القلب, فوضع أحدهما موضع الآخر لتقارب معنييهما في نظائر لما ذكرت يكثر إحصاؤها, كما يتقارب معنى الكلمتين في بعض المعاني, وهما مختلفتا المعنى في أشياء أخر, فتضع العرب إحداهما مكان صاحبتها في الموضع الذي يتقارب معنياهما فيه, فكذلك قوله: لا يَذُوقُون فِيها المَوْتَ إلاّ المَوْتَةَ الأُولى وضعت «إلا» في موضع «بعد» لما نصف من تقارب معنى «إلا», و«بعد» في هذا الموضع, وكذلك وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النّساءِ إلاّ ما قَدْ سَلَفَ إنما معناه: بعد الذي سلف منكم في الجاهلية, فأما إذا وجهت «إلا» في هذا الموضع إلى معنى سوى, فإنما هو ترجمة عن المكان, وبيان عنها بما هو أشدّ التباسا على من أراد علم معناها منها.

وقوله: وَوَقاهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ فَضْلاً مِنْ رَبّكَ يقول تعالى ذكره: ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذٍ عذاب النار تفضلاً يا محمد من ربك عليهم, وإحسانا منه إليهم بذلك, ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم في الدنيا, ولولا تفضله عليهم بصفحه لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك, لم يقهم عذاب الجحيم, ولكن كان ينالهم ويصيبهم ألمه ومكروهه.

وقوله: ذَلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة التي وصفت في هذه الآيات, هو الفوز العظيم: يقول: هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من إدراكه في الدنيا بأعمالهم وطاعتهم لربهم, واتقائهم إياه, فيما امتحنهم به من الطاعات والفرائض, واجتناب المحارم.

الآية : 58-59

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِنّمَا يَسّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلّهُمْ يَتَذَكّرُونَ * فَارْتَقِبْ إِنّهُمْ مّرْتَقِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإنما سهّلنا قراءة هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد بلسانك, ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعبره وحُججه, ويتّعظوا بعظاته, ويتفكّروا في آياته إذا أنت تتلوه عليهم, فينيبوا إلى طاعة ربهم, ويذعنوا للحقّ عند تَبَيُنهموه. كما:

24106ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإنّمَا يَسّرْناهُ بِلِسانِكَ: أي هذا القرآن لَعَلّهُمْ يَتَذَكّرُونَ.

24107ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فإنّما يَسّرْناهُ بِلِسانِكَ قال: القرآن, ويسّرناه: أطلق به لسانه.

وقوله: فارْتَقِبْ إنّهُمْ مُرْتَقِبُونَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك, والنصر على هؤلاء المشركين

بالله من قومك مـن قريـش, إنهـم منتظـرون عنـد أنفسـهم قهـرك وغلبتـك بصدّهم عما أتيتهم به من الحقّ من أراد قبـوله واتباعـك عليـه. وبنحـو الـذي قلنا في تأويل قوله: فارْتَقِبْ إنّهُمْ مُرْتَقِبُونَ قال أهل التأويل. ذكـر مـن قـال ذلك:

24108ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فارَتَقِبْ إنّهُمْ مُرْتَقِبُونَ: أي فانتظر إنهم منتظرون.

سورة الجاثية

سورة الجاثية مكية
وآياتها سبع وثلاثون

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-3

القول في تأويل قوله تعالى: {حمَ * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنّ فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ لاَيَاتٍ لّلْمُؤْمِنِينَ }.

قد تقدم بياننا في معنى قوله: حم. وأما قوله: تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللّهِ فإن معناه: هذا تنزيل القرآن من عند الله العَزِيزِ في انتقامه من أعـدائه الحَكِيـمِ في تدبيره أمر خلقه.

وقوله: إنّ فِي السّمَواتِ والأرْضِ لاَيَاتٍ للْمُؤْمِنِينَ يقول تعـالى ذكـره: إن في السموات السبع اللاتي منهـنّ نـزول الغيـث, والأرض الـتي منهـا خـروج الخلق أيها الناس لاَيَاتٍ للْمُؤْمِنِينَ يقول: لأدلة وحججا للمصدّقين بالحجـج إذا تبيّنوها ورأوها.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثّ مِن دَآبّـةٍ آيَـاتٌ لّقَـوْمٍ يُوقِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وفي خلق الله إياكم أيها الناس, وخلقه ما تفرّق فـي الأرض من دابة تدبّ عليها من غير جنسكم آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ يعنـي: حججـا وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء, فيقرّون بها, ويعلمون صحتها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ وفي الـتي بعـد ذلـك فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفـة آيـاتٌ رفعـا علـى الابتداء, وترك ردّها على قوله: لاَيَاتٍ للْمُؤْمِنِينَ, وقرأته عامـة قـرّاء الكوفـة «آياتٍ» خفضا بتأويل النصب ردّا على قوله: لاَيَاتٍ للْمُـؤْمِنِينَ. وزعـم قـارئو ذلك كذلك من المتأخرين أنهم اختاروا قراءته كذلك, لأنه في قراءة أبيّ فـي الاَيات الثلاثة «لاَيَاتٍ» باللام فجعلوا دخول اللام فـي ذلـك فـي قراءتـه دليلاً لهم على صحة قراءة جميعه بالخفض, وليس الذي اعتمدوا عليه من الحجـة في ذلك بحجة, لأن لا رواية بذلك عن أبي صحيحة, وأبيّ لـو صـحّت بـه عنـه رواية, ثم لم يُعلم كيف كانت قراءته بالخفض أو بالرفع لم يكن الحكـم عليـه بأنه كان يقرأه خفضا, بأولى من الحكم عليه بأنه كان يقـرأه رفعـا, إذ كـانت العرب قد تدخل اللام في خبر المعطوف على جملة كلام تامّ قد عملت فـي ابتدائها «إن», مع ابتدائهم إياه, كما قال حُمَيد بن ثَور الهِلاليّ:

إنّ الخِلافَةَ بَعْدَهُمْ لَذَميمَةٌوَخَلائِفٌ طُرُفٌ لَمَمّا أَحْقُرُ

فأدخل اللام في خبر مبتدأ بعد جملة خبر قد عملت فيه «إن» إذ كان الكلام, وإن ابتدىء منويا فيه إن.

والصواب من القول في ذلك إن كان الأمر على ما وصفنا أن يقال: إن الخفض في هذه الأحرف والرفع قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار قد قرأ بهما علماء من القرّاء صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاخْتِلاَفِ اللّيْلِ وَالنّهَارِ وَمَآ أَنَزَلَ اللّهُ مِنَ السّمَآءِ مّن رّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرّيَاحِ آيَاتٌ لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }.

يقول تبارك وتعالى: وفي اخْتِلافِ اللّيْلِ والنّهارِ أيها الناس, تعاقبهما عليكم, هذا بظلمته وسواده وهذا بنوره وضيائه وَما أنْزَلَ اللّهُ مِنَ السّماءِ مِنْ رِزْقٍ وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم, وإحيائه الأرض بعد موتها: يقول: فأنبت ما أنزل من السماء من الغيْث ميت الأرض, حتى اهتزّت بالنبات والزرع من بعد موتها, يعني: من بعد جدوبها وقحوطها ومصيرها دائرة لا نبت فيها ولا زرع.

وقوله: وَتَصْرِيفِ الرّياحِ يقول: وفي تصريفه الرياح لكم شمالاً مرّة, وجنوبا أخرى, وصبّا أحياناً, ودبورا أخرى لمنافعكم.

وقد قيل: عنى بتصريفها بالرحمة مرّة, وبالعذاب أخرى. ذكر من قال ذلك:

24109ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, ع ن قتادة, في قوله: وَتَصْرِيفِ الرّياحِ قال: تصريفها إن شاء جعلها رحمة وإن شاء جعلها عذابا.

وقوله: آياتٌ لِقَوْم يَعْقِلُونَ يقول تعالى ذكره: في ذلك أدلة وحجج لله على خلقه, لقوم يعقلون عن الله حججه, ويفهمون عنه ما وعظه به من الآيات والعِبر.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى:{تَلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقّ فَبِأَيّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: هذه الآيات والحجج يامحمد من ربك على خلقه نتلوها عليك بالحقّ: يقول: نخبرك عنها بالحقّ لا بالباطل, كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل, أنها تقرّبهم إلى الله زُلْفَى, فبأيّ حديث بعد الله وآياته تؤمنون: يقول تعالى ذكره للمشركين به: فبأيّ حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم, وبعد حججه عليكم وأدلته التي دلكم بها على وحدانيته من أنه لا ربّ لكم سواه, تصدّقون, إن أنتم كذّبتم لحديثه وآياته. وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ «تُؤْمِنُونَ» على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين, وذلك قراءة عامة قرّاء الكوفيين. وأما على قراءة من قرأه يُؤْمِنون بالياء, فإن معناه: فبأيّ حديث يا محمد بعد حديث الله الذي يتلوه عليك وآياته هذه التي نبه هؤلاء المشركين عليها, وذكّرهم بها, يؤمن هؤلاء المشركون, وهي قراءة عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة, ولكلتا القراءتين وجه صحيح, وتأويل مفهوم, فبأية القراءتين قرأ ذلك القارىء فمصيب عندنا, وإن كنت أميل إلى قراءته بالياء إذ كانت في سياق آيات قد مضين قبلها على وجه الخبر, وذلك قوله: لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ و لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

الآية : 7-8

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيْلٌ لّكُلّ أَفّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللّهِ تُتْلَىَ عَلَيْهِ ثُمّ يُصِرّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: الوادي السائل من صديد أهل جهنم, لكلّ كذّاب ذي إثم بربه, مفترٍ عليه, يَسْمَعُ آياتِ اللّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ يقول: يسمع آيات كتاب الله تُقرأ عليه ثُمّ يُصِرّ على كفره وإثمه فيقيم عليه غير تائب منه, ولا راجع عنه مُسْتَكْبِرا على ربه أن يذعن لأمره ونهيه كأنْ لَمْ يَسْمَعْها يقول: كأن لم يسمع ما تلي عليه من آيات الله بإصراره على كفره فَبَشّرْهُ بعَذَابٍ أَلِيمٍ يقول: فبشر يا محمد هذا الأفّاك الأثيم الذي هذه صفته بعذاب من الله له. أليم: يعني موجع في نار جهنم يوم القيامة.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتّخَذَهَا هُزُواً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مّهِينٌ }.

يقول تعالى ذكره: وَإِذَا عَلِمَ هذا الأفّاك الأثيم مِنْ آيات الله شَيْئا اتّخَذَها هُزُوا: يقول: اتخذ تلك الآيات التي علمها هزوا, يسخر منها, وذلك كفعل أبي جهل حين نزلت إنّ شَجَرَةَ الزّقّوم طَعامُ الأثِيمِ إذ دعا بتمر وزبد فقال: تزقموا من هذا, ما يعدكم محمد إلاّ شهدا, وما أشبه ذلك من أفعالهم.

وقوله: أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل, وهم الذين يسمعون آيات الله تُتلى عليهم ثم يصرّون على كفرهم استكبارا, ويتخذون آيات الله التي علموها هزوا, لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ويذلهم في نار جهنم, بما كانوا في الدنيا يستكبرون عن طاعة الله واتباع آياته, وإنما قال تعالى ذكره: أُولَئِكَ فجمع. وقد جرى الكلام قبل ذلك ردّا للكلام إلى معنى الكلّ في قوله: وَيْلٌ لِكُلّ أفّاكٍ أثِيمٍ.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {مّن وَرَآئِهِمْ جَهَنّمُ وَلاَ يُغْنِي عَنْهُم مّا كَسَبُواْ شَيْئاً وَلاَ مَا اتّخَذُواْ مِن دُونِ اللّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ومن وراء هؤلاء المستهزئين بآيات الله, يعني من بين أيديهم. وقد بيّنا العلة التي من أجلها قيل لما أمامك, هو وَرَاءك, فيما مضى بما أغنى عن إعادته يقول: من بين أيديهم نار جهنم هم وارِدوها, ولا يغنيهم ما كسبوا شيئا: يقول: ولا يغني عنهم من عذاب جهنم إذا هم عُذّبوا به ما كسبوا في الدنيا من مال وولد شيئا.

وقوله: وَلا ما اتّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ أوْلِياءَ يقول: ولا آلهتهم التي عبدوها من دون الله, ورؤساؤهم, وهم الذين أطاعوهم في الكفر بالله, واتخذوهم نُصراء في الدنيا, تغني عنهم يومئذٍ من عذاب جهنم شيئا ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يقول: ولهم من الله يومئذٍ عذاب في جهنم عظيم.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {هَـذَا هُدًى وَالّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مّن رّجْزٍ أَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه على محمد هدى: يقول: بيان ودليل على الحقّ, يهدي إلى صراط مستقيم, من اتبعه وعمل بما فيه وَالّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ رَبهِمْ يقول: والذين جحدوا ما في القرآن من الآيات

الدالات على الحقّ, ولم يصدّقوا بها, ويعملوا بها, لهم عذاب أليم يوم القيامة موجع.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {اللّهُ الّذِي سَخّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: الله أيها القوم, الذي لا تنبغي الألوهة إلاّ له, الذي أنعم عليكم هذه النعم, التي بيّنها لكم في هذه الآيات, وهو أنه سَخّرَ لَكُم الْبَحْر لِتَجْرِيَ السفن فيه بأمره لمعايشكم وتصرّفكم في البلاد لطلب فضله فيها, ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم فتعبدوه وتطيعوه فيما يأمركم به, وينهاكم عنه.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {وَسَخّرَ لَكُمْ مّا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ جَمِيعاً مّنْهُ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَسَخّرَ لَكُمْ ما في السّمَوَاتِ من شمس وقمر ونجوم وَما فِي الأرْضِ من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم جَمِيعا منه. يقول تعالى ذكره: جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم, نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم, وفضل منه تفضّل به عليكم, فإياه فاحمدوا لا غيره, لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك, بل تفرّد بإنعامها عليكم وجميعها منه, ومن نعمه فلا تجعلوا له في شكركم له شريكا بل أفردوه بالشكر والعبادة, وأخلصوا له الألوهة, فإنه لا إله لكم سواه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24110ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: وَسَخّرَ لَكُمْ ما في السّمَوَاتِ وَما فِي الأرْضِ جَمِيعا مِنْهُ يقول: كل شيء هو من الله, وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه, فذلك جميعا منه, ولا ينازعه فيه المنازعون, واستيقن أنه كذلك.

وقوله: إنّ فِي ذلكَ لآيَاتٍ لِقَوْم يَتَفَكّرُونَ يقول تعالى ذكره: إن في تسخير الله لكم ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم في هاتين الآيتين لآياتٍ يقول: لعلامات ودلالات على أنه لا إله لكم غيره, الذي أنعم عليكم هذه النعم, وسخر لكم هذه الأشياء التي لا يقدر على تسخيرها غيره لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلته, فيعتبرون بها ويتعظون إذا تدبروها, وفكّروا فيها.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لّلّذِينَ آمَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيّامَ اللّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للذين صدّقوا الله واتبعوك, يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه لِيَجْزِيَ قَوْما بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ يقول: ليجزي الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين في الآخرة, فيصيبهم عذابه بما كانوا في الدنيا يكسبون من الإثم, ثم بأذاهم أهل الإيمان بالله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24111ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قُلْ لِلّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلّذِينَ لا يَرْجُونَ

أيّامَ اللّهِ لِيَجْزِيَ قَوْما بِمَا كانُوا يَكْسِبونَ قال: كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن المشركين إذا آذوه, وكانوا يستهزئون به, ويكذّبونه, فأمره الله عزّ وجلّ أن يقاتل المشركين كافّة, فكان هذا من المنسوخ.

24112ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: لِلّذِينَ لا يَرْجُونَ أيّامَ اللّهِ قال: لا يُبالون نِعم الله, أو نِقم الله.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد لا يَرْجونَ أيّامَ اللّهِ قال: لا يُبالون نِعم الله, وهذه الآية منسوخة بأمر الله بقتال المشركين. وإنما قُلنا: هي منسوخة لإجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك. ذكر من قال ذلك: وقد ذكرنا الرواية في ذلك عن ابن عباس.

24113ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة في قوله: قُلْ لِلّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلّذِينَ لا يَرْجُونَ أيّامَ اللّهِ قال: نسختها ما في الأنفال فإمّا تَثْقَفَنّهُمْ فِي الحَرْبِ, فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلّهُمْ يَذّكّرُونَ وفي براءة قاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافّةً كمَا يُقاتِلُونَكُمْ كافّةً أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا رسول الله.

24114ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قَتادة, في قوله: قُلْ لِلّذِينَ آمَنُوا يَغْفرُوا لِلّذِينَ لا يَرْجُونَ أيّامَ اللّهِ قال: نسختها فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ.

24115ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: قُلْ لِلّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلّذِينَ لا يَرْجُونَ أيّامَ اللّهِ قال: هذا منسوخ, أمر الله بقتالهم في سورة براءة.

24116ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنبسة عمن ذكره عن أبي صالح قُلْ لِلّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا للّذِينَ لا يَرْجُونَ أيّامَ اللّهِ قال: نسختها التي في الحجّ أُذِنَ لِلّذِينَ يُقاتَلُونَ بأنّهُمْ ظُلِمُوا.

24117ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قُلْ لِلّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلّذِينَ لا يَرْجُونَ أيّامَ اللّهِ قال: هؤلاء المشركون, قال: وقد نسخ هذا وفرض جهادهم والغلظة عليهم.

وجزم قوله: يَغْفِرُوا تشبيها له بالجزاء والشرط وليس به, ولكن لظهوره في الكلام على مثاله, فعرّب تعريبه, وقد مضى البيان عنه قبل.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: لِيَجْزِيَ قَوْما فقرأه بعض قرّاء المدينة والبصرة والكوفة: لِيَجْزِيَ بالياء على وجه الخبر عن الله أنه يجزيهم ويثيبهم وقرأ ذلك بعض عامة قرّاء الكوفيين «لِنَجْزِيَ» بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه. وذُكر عن أبي جعفر القارىء أنه كان يقرأه «لِيُجْزَى قَوْما» على مذهب ما لم يسمّ فاعله, وهو على مذهب كلام العرب لحن, إلاّ أن يكون أراد: ليجزى الجزاء قوما, بإضمار الجزاء, وجعله مرفوعا «لِيُجْزَى» فيكون وجها من القراءة, وإن كان بعيدا.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن قراءته بالياء والنون على ما ذكرت من قراءة الأمصار جائزة بأيّ تينك القراءتين قرأ القارىء. فأما قراءته على ما ذكرت عن أبي جعفر, فغير جائزة عندي لمعنيين: أحدهما: أنه خلاف لما عليه الحجة من القرّاء, وغير جائز عندي خلاف ما جاءت به مستفيضا فيهم.

والثاني بعدها من الصحة في العربية إلاّ على استكراه الكلام على غير المعروف من وجهه.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمّ إِلَىَ رَبّكُمْ تُرْجَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره, وانزجر لنهيه, فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل, وطلب خلاصها من عذاب الله, أطاع ربه لا لغير ذلك, لأنه لا ينفع ذلك غيره, والله عن عمل كل عامل غنيّ وَمَنْ أساءَ فَعَلَيْها يقول: ومن أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه, وخلافه فيها أمره ونهيه, فعلى نفسه جنى, لأنه أوبقها بذلك, وأكسبها به سخطه, ولم يضرّ أحدا سوى نفسه ثُمّ إلى رَبّكُمْ تُرْجَعُونَ يقول: ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون من بعد مماتكم, فيجازى المحسن بإحسانه, والمسيء بإساءته, فمن ورد عليه منكم بعمل صالح, جوزي من الثواب صالحا, ومن ورد عليه منكم بعمل سيىء جوزي من الثواب سيئا.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِيَ إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنّبُوّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مّنَ الطّيّبَاتِ وَفَضّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ آتَيْنا يا محمد بَنِي إسْرائِيلَ الكِتابَ يعني التوراة والإنجيل, والحُكْمَ يعني الفهم بالكتاب, والعلم بالسنن التي لم تنزل في الكتاب, وَالنّبُوّةَ يقول: وجعلنا منهم أنبياء ورسُلاً إلى الخلق, وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطّيّباتِ يقول: وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا, وذلك ما أطعمهم من المنّ والسلوى وَفَضّلْناهُمْ على العالَمِينَ يقول: وفضلناهم على عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده في ناحيتهم بمصر والشأم.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {وَآتَيْنَاهُم بَيّنَاتٍ مّنَ الأمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوَاْ إِلاّ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنّ رَبّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وأعطينا بني إسرائيل واضحات من أمرنا بتنزيلنا إليهم التوراة فيها تفصيل كل شيء فَمَا اخْتَلَفُوا إلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيا بَيْنَهُمْ طلبا للرياسات, وتركا منهم لبيان الله تبارك وتعالى في تنزيله.

وقوله: إنّ رَبّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن ربك يا محمد يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل بغيا بينهم يوم القيامة, فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون بعد العلم الذي آتاهم, والبيان الذي جاءهم منه, فيفلج المحقّ حينئذٍ على المبطل بفصل الحكم بينهم.

الآية : 18-19

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ جَعَلْنَاكَ عَلَىَ شَرِيعَةٍ مّنَ الأمْرِ فَاتّبِعْهَا وَلاَ تَتّبِعْ أَهْوَآءَ الّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ * إِنّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَإِنّ الظّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَاللّهُ وَلِيّ الْمُتّقِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ثم جعلناك يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل, الذين وصفت لك صفتهم عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ

الأمْرِ يقول: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا فاتّبِعْها يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك وَلا تَتّبِعْ أَهْوَاءَ الذِينَ لا يَعْلَمُونَ يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله, الذين لا يعرفون الحقّ من الباطل, فتعمل به, فتهلك إن عملت به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24118ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس ثُمّ جَعَلْناكَ على شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ فاتّبِعْها قال: يقول على هدىً من الأمر وبيّنة.

24119ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ثُمّ جَعَلْناكَ على شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ فاتّبِعْها والشريعة: الفرائض والحدود والأمر والنهي فاتبعها وَلا تَتّبِعْ أَهْوَاءَ الّذِينَ لا يَعْلَمُونَ.

24120ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: ثُمّ جَعَلْناكَ على شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ قال: الشريعة: الدين. وقرأ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحا وَالّذِين أَوْحَيْنا إلَيْكَ قال: فنوح أوّلهم وأنت آخرهم.

وقوله: إنّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللّهِ شَيْئا يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الجاهلين بربهم, الذين يدعونك يا محمد إلى اتباع أهوائهم, لن يغنوا عنك إن أنت اتبعت أهواءهم, وخالفت شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيئا, فيدفعوه عنك إن هو عاقبك, وينقذوك منه.

وقوله: وَإنّ الظّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ يقول: وإن الظالمين بعضهم أنصار بعض, وأعوانهم على الإيمان بالله وأهل طاعته وَاللّهُ وَلِيّ المُتّقِينَ يقول تعالى ذكره: والله يَلِي من اتقاه بأداء فرائضه, واجتناب معاصيه بكفايته, ودفاع من أراده بسوء, يقول جلّ ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام فكن من المتقين, يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون, فإنه وليّ من اتقاه, ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثر عددهم, لأنهم لن يضرّوك ما كان الله وليك وناصرك.

الآية : 20-21

القول في تأويل قوله تعالى: {هَـَذَا بَصَائِرُ لِلنّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * أَمْ حَسِبَ الّذِينَ اجْتَرَحُواْ السّيّئَاتِ أَن نّجْعَلَهُمْ كَالّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ سَوَآءً مّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ }.

يقول تعالى ذكره هَذَا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد بَصَائِرُ لِلنّاسِ يُبْصِرون به الحقّ من الباطل, ويعرفون به سبيل الرشاد, والبصائر: جمع بصيرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول. ذكر من قال ذلك:

24121ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هَذَا بَصَائِرُ للنّاس وَهُدًى وَرَحْمَةٌ قال: القرآن. قال: هذا كله إنما هو في القلب. قال: والسمع والبصر في القلب. وقرأ فإنّها لا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الّتِي فِي الصّدُورِ وليس ببصر الدنيا ولا بسمعها.

وقوله: وَهُدًى يقول: ورشاد وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ بحقيقة صحة هذا القرآن, وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم. وخصّ جلّ ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة, لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر, فكان عليه عمىً وله حزنا.

وقوله: أمْ حَسِبَ الّذِينَ اجْتَرَحُوا السّيّئاتِ يقول تعالى ذكره: أم ظنّ الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا, وكذّبوا رسل الله, وخالفوا أمر ربهم, وعبدوا غيره, أن نجعلهم في الآخرة, كالذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله وعملوا الصالحات, فأطاعوا الله, وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة, كلا ما كان الله ليفعل ذلك, لقد ميز بين الفريقين, فجعل حزب الإيمان في الجنة, وحزب الكفر في السعير. كما:

24122ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أمْ حَسِبَ الّذِينَ اجْتَرَحُوا السّيّئاتِ... الآية, لعمري لقد تفرّق القوم في الدنيا, وتفرّقوا عند الموت, فتباينوا في المصير.

وقوله: سَوَاءً مَحْياهُم وَمَماتُهُمْ اختلفت القرّاء في قراءة قوله: سَوَاءً, فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة «سَوَاءٌ» بالرفع, على أن الخبر متناهٍ عندهم عند قوله: كالّذِينَ آمَنُوا وجعلوا خبر قوله: أنْ نَجْعَلَهُمْ قوله: كالّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ, ثم ابتدأوا الخبر عن استواء حال محيا المؤمن ومماته, ومحيا الكافر ومماته, فرفعوا قوله: «سَوَاءٌ» على وجه الابتداء بهذا المعنى, وإلى هذا المعنى وجه تأويل ذلك جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24123ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: «سَوَاءٌ مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ» قال: المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن, والكافر في الدنيا والآخرة كافر.

24124ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا حسين, عن شيبان, عن ليث, في قوله: «سَوَاءٌ مَحْياهُمْ وَمماتُهُمْ» قال: بعث المؤمن مؤمنا حيا وميتا, والكافر كافرا حيا وميتا.

وقد يحتمل الكلام إذا قُرىء سواء رفعا وجها آخر غير هذا المعنى الذي ذكرناه عن مجاهد وليث, وهو أن يوجه إلى: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم والمؤمنين سواء في الحياة والموت, بمعنى: أنهم لا يستوون, ثم يرفع سواء على هذا المعنى, إذ كان لا ينصرف, كما يقال: مررت برجل خير منك أبوه, وحسبك أخوه, فرفع حسبك, وخير إذ كانا في مذهب الأسماء, ولو وقع موقعهما فعل في لفظ اسم لم يكن إلا نصبا, فكذلك قوله: «سواءٌ». وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة سَوَاءً نصبا, بمعنى: أحسبوا أن نجعلهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان في قرأة الأمصار قد قرأ بكلّ واحدة منهما أهل العلم بالقرآن صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: سَوَاء ورفعه, فقال بعض نحويّي البصرة «سَوَاءٌ مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ» رفع. وقال بعضهم: إن المحيا والممات للكفار كله, قال: أمْ حَسِبَ الّذِينَ اجْتَرَحُوا السّيّئاتِ أنْ نَجْعَلَهُمْ كالّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ ثم قال: سواء محيا الكفار ومماتهم: أي محياهم محيا سَوَاء, ومماتهم ممات سَوَاء, فرفع السواء على الابتداء. قال: ومن فسّر المحيا والممات للكفار والمؤمنين, فقد يجوز في هذا المعنى نصب السواء ورفعه, لأن من جعل السواء مستويا, فينبغي له في القياس أن يُجريه على ما قبله, لأنه صفة, ومن جعله الاستواء, فينبغي له أن يرفعه لأنه اسم, إلا

أن ينصب المحيا والممات على البدل, وينصب السواء على الاستواء, وإن شاء رفع السواء إذا كان في معنى مستوٍ, كما تقول: مررت برجل خير منك أبوه, لأنه صفة لا يصرف والرفع أجود. وقال بعض نحويّي الكوفة قوله: سَوَاءً مَحْيَاهُمْ بنصب سواء وبرفعه, والمحيا والممات في موضع رفع بمنزلة, قوله: رأيت القوم سواءً صغارهم وكبارهم بنصب سواء لأنه يجعله فعلاً لما عاد على الناس من ذكرهم, قال: وربما جعلت العرب سواء في مذهب اسم بمنزلة حسبك, فيقولون: رأيت قومك سواء صغارهم وكبارهم. فيكون كقولك: مررت برجل حسبك أبوه, قال: ولو جعلت مكان سواء مستوٍ لم يرفع, ولكن نجعله متبعا لما قبله, مخالفا لسواء, لأن مستوٍ من صفة القوم, ولأن سواء كالمصدر, والمصدر اسم. قال: ولو نصبت المحيا والممات كان وجها, يريد أن نجعلهم سواء في محياهم ومماتهم.

وقال آخرون منهم: المعنى: أنه لا يساوي من اجترح السيئات المؤمن في الحياة, ولا الممات, على أنه وقع موقع الخبر, فكان خبرا لجعلنا, قال: والنصب للأخبار كما تقول: جعلت إخوتك سواءً, صغيرهم وكبيرهم, ويجوز أن يرفع, لأن سواء لا ينصرف. وقال: من قال: أمْ حَسِبَ الّذِينَ اجْتَرَحُوا السّيّئَات أنْ نَجْعَلَهُمْ كالّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فجعل كالذين الخبر استأنف بسواء ورفع ما بعدها, وإن نصب المحيا والممات نصب سواء لا غير, وقد تقدّم بياننا الصواب من القول في ذلك.

وقوله: ساءَ ما يَحْكُمُونَ يقول تعالى ذكره: بئس الحكم الذي حسبوا أنا نجعل الذين اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات, سواء محياهم ومماتهم.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَخَلَقَ اللّهُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ بِالْحَقّ وَلِتُجْزَىَ كُلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَخَلَقَ اللّهُ السّمَوَاتِ والأرْضَ بالحَقّ للعدل والحقّ, لا لما حَسِب هؤلاء الجاهلون بالله, من أنه يجعل من اجترح السيئات, فعصاه وخالف أمره, كالذين آمنوا وعملوا الصالحات, في المحيا والممات, إذ كان ذلك من فعل غير أهل العدل والإنصاف, يقول جلّ ثناؤه: فلم يخلق الله السموات والأرض للظلم والجور, ولكنا خلقناهما للحقّ والعدل. ومن الحقّ أن نخالف بين حكم المسيء والمحسن, في العاجل والآجل.

وقوله: وَلِتُجْزَى كُلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ يقول تعالى ذكره: وليثيب الله كلّ عامل بما عمل من عملٍ خلق السموات والأرض, المحسن بالإحسان, والمسيء بما هو أهله, لا لنبخس المحسن ثواب إحسانه, ونحمل عليه جرم غيره, فنعاقبه, أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره فنكرمه, ولكن لنجزي كلاً بما كسبت يداه, وهم لا يُظلمون جزاء أعمالهم.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلّهُ اللّهُ عَلَىَ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىَ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىَ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللّهِ أَفَلاَ تَذَكّرُونَ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: أفَرأيْتَ مَنِ اتّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ فقال بعضهم: معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ دينه بهواه, فلا يهوى شيئا إلا ركبه,

لأنه لا يؤمن بالله, ولا يحرّم ما حَرّمَ, ولا يحلل ما حَلّـلَ, إنمـا دينـه مـا هـويته نفسه يعمل به. ذكر من قال ذلك:

24125ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: أفَرأيْتَ مَنِ اتّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ قال: ذلك الكافر اتخـذ دينه بغير هدىً من الله ولا برهان.

24126ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: أفَرأيْتَ مَنِ اتّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ قـال: لا يهـوي شـيئا إلا ركبـه لا يخـاف الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ معبـوده مـا هـويت عبـادته نفسه من شيء. ذكر من قال ذلك:

24127ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: كانت قريش تعبد العُزّى, وهو حجر أبيض, حينا من الدهر, فإذا وجدوا ما هـو أحسن منه طرحوا الأوّل وعبدوا الآخر, فـأنزل اللـه أفَرَأيْـتَ مَـنِ اتّخَـذَ إلَهَـهُ هَوَاهُ.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال: معنـى ذلـك: أفرأيـت يـا محمد من اتخذ معبوده هواه, فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحقّ الذي له الألوهة من كلّ شيء, لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره.

وقوله: وأضَلّهُ اللّهُ على عِلْمٍ يقول تعالى ذكره: وخذله عن محجة الطريق, وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتـدي, ولـو جـاءته كـل آية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24128ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس وأضَلّهُ اللّهُ على عِلْمٍ يقول: أضله لله في سابق علمه.

وقوله: وَخَتَمَ على سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ يقول تعالى ذكره: وطَبَعَ علـى سـمعه أن يسمع مواعظ الله وآي كتابه, فيعتبر بها ويتدبرها, ويتفكـر فيهـا, فيعقـل مـا فيها من النور والبيان والهُدى.

وقوله: وَقَلْبِهِ يقول: وطبع أيضا على قلبه, فلا يعقل به شـيئا, ولا يعـي بـه حقا.

وقوله: وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غَشاوَةً يقول: وجعل على بصره غشاوة أن يبصر به حجج الله, فيستدلّ بها على وحدانيته, ويعلم بها أن لا إله غيره.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غِشاوَةً فقرأتـه عامـة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة غِشاوَةً بكسر الغين وإثبات الألـف فيها على أنها اسم, وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة «غَشْوَةً» بمعنى: أنه غشاه شيئا في دفعة واحدة, ومـرّة واحـدة, بفتـح الغيـن بغيـر ألـف, وهمـا عنـدي قراءتان صحيحتان فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللّهِ يقـول تعـالى ذكـره: فمـن يـوفّقه لإصـابة الحقّ, وإبصار محجة الرشد بعد إضـلال اللـه إيـاه أفَلا تَـذَكّرُونَ أيهـا النـاس, فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا, فلن يهتدي أبدا, ولن يجد لنفسـه وليـا مرشدا.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الـدّنْيَا نَمُـوتُ وَنَحْيَـا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاّ الدّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنّونَ }.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون الذين تقدّم خبره عنهم: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها تكذيبا منهم بالبعث بعد الممات. كما:

24129ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَقالُوا ما هِيَ إلاّ حَياتُنا الدّنيْا: أي لعمري هذا قول مشركي العرب.

وقوله: نَمُوتُ وَنحيْا نموت نحن وتحيا أبناؤنا بعدنا, فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم, لأنهم منهم وبعضهم, فكأنهم بحياتهم أحياء, وذلك نظير قول الناس: ما مات من خلف ابنا مثل فلان, لأنه بحياة ذكره به, كأنه حيّ غير ميت, وقد يحتمل وجها آخر, وهو أن يكون معناه: نحيا ونموت على وجه تقديم الحياة قبل الممات, كما يقال: قمت وقعدت, بمعنى: قعدت وقمت والعرب تفعل ذلك في الواو خاصة إذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان, ولم تقصد الخبر عن كون أحدهما قبل الآخر, تقدم المتأخر حدوثا على المتقدم حدوثه منهما أحيانا, فهذا من ذلك, لأنه لم يقصد فيه إلى الخبر عن كون الحياة قبل الممات, فقدّم ذكر الممات قبل ذكر الحياة, إذ كان القصد إلى الخبر عن أنهم يكونون مرّة أحياءً وأخرى أمواتا.

وقوله: وَما يُهْلِكُنا إلاّ الدّهْرُ يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مرّ الليالي والأيام وطول العمر, إنكارا منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم.

وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله «وَما يُهْلِكُنا إلاّ دَهْرٌ يَمُرّ». وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24130ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَما يُهْلِكُنا إلاّ الدّهْرُ قال: الزمان.

24131ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَما يُهْلِكُنا إلاّ الدّهْرُ قال ذلك مشركو قريش ما يُهْلِكُنا إلاّ الدّهْرُ: إلا العمر.

وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الشرك كانوا يقولون: الذي يهلكنا ويفنينا الدهر والزمان, ثم يسبون ما يفنيهم ويهلكهم, وهم يرون أنهم يسبون بذلك الدهر والزمان, فقال الله عزّ وجلّ لهم: أنا الذي أفنيكم وأهلككم, لا الدهر والزمان, ولا علم لكم بذلك. ذكر الرواية بذلك عمن قاله:

24132ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن عيينة, عن الزهريّ, عن سعيد بن المسيب, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «كانَ أهْلُ الجاهِليّةِ يَقُولُونَ»: إنّمَا يُهْلِكُنا اللّيْلُ وَالنّهارُ, وَهُوَ الّذِي يُهْلِكُنا ويُمِيتُنا ويُحْيينا, فقال الله في كتابه: وَقالُوا ما هِيَ إلاّ حَياتُنا الدّنيْا نَمُوتُ وَنحْيا, وَما يُهْلِكُنا إلاّ الدّهْرُ قال: «فَيَسَبّونَ الدّهْرَ», فَقالَ اللّهُ تَبارَكَ وَتعَالى: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبّ الدّهْرَ وأنا الدّهْرُ, بيَدِي الأمْرُ, أقَلّبُ اللّيْلَ والنّهارَ».

حدثنا عمران بن بكار الكُلاعي, قال: حدثنا أبو روح, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن الزهريّ, عن سعيد بن المسيب, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, نحوه.

24133ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني يونس بن يزيد, عن ابن شهاب, قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن,

قال قال أبو هريرة, سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قالَ اللّهُ تَعالى: يَسُبّ ابْنُ آدَمَ الدّهْرَ, وأنا الدّهْرُ, بِيَدِي اللّيْلُ والنّهارُ».

24134ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن العلاء بن عبد الرحمن, عن أبيه عن أبي هريرة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللّهُ اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي, وَسَبّنِي عَبْدِي يَقُولُ: وَادَهْراهُ, وأنا الدّهْرُ».

24135ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن الزهريّ, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ قالَ: لا يَقُولَنّ أحَدُكُمْ: يا خَيْبَةَ الدّهْرِ, فإنّي أنا الدّهْرُ, أُقَلّبُ لَيْلَهُ وَنهارَهُ, وَإذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُما».

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن هشام, عن أبي هريرة قال: «لا تَسُبّوا الدّهْرَ, فإنّ اللّهَ هُوَ الدّهْرُ».

وَما لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْم إنْ هُمْ إلاّ يَظُنّونَ يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين القائلين: ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا, وما يهلكنا إلا الدهر, بما يقولون من ذلك من علم: يعني من يقين علم, لأنهم يقولون ذلك تخرّصا بغير خبر أتاهم من الله, ولا برهان عندهم بحقيقته إنْ هُمْ إلاّ يَظُنّونَ يقول جلّ ثناؤه: ما هم إلا في ظنّ من ذلك, وشكّ يخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بألسنتهم.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَىَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيّنَاتٍ مّا كَانَ حُجّتَهُمْ إِلاّ أَن قَالُواْ ائْتُواْ بِآبَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا تُتلى على هؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث آياتنا, بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم, فجامعهم يوم القيامة عنده للثواب والعقاب بَيّناتٍ يعني: واضحات جليات, تنفي الشكّ عن قلب أهل التصديق بالله في ذلك ما كانَ حُجّتَهُمْ إلاّ أنْ قالُوا ائْتُوا بآبائِنا إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

يقول جلّ ثناؤه: لم يكن لهم حجة على رسولنا الذي يتلو ذلك عليهم إلا قولهم له: ائتنا بآبائنا الذين قد هلكوا أحياء, وانشرهم لنا إن كنت صادقا فيما تتلو علينا وتخبرنا, حتى نصدّق بحقيقة ما تقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا, ومحيينا من بعد فنائنا.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلِ اللّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمّ يُمِيتُكُمْ ثُمّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَـَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث, القائلين لك ائتنا بآبائنا إن كنت صادقا: الله أيها المشركون يحييكم ما شاء أن يحييكم في الدنيا, ثم يميتكم فيها إذا شاء, ثم يجمعكم إلى يوم القيامة, يعني أنه يجمعكم جميعا أوّلكم وآخركم, وصغيركم وكبيركم إلى يوم القيامة يقول: ليوم القيامة, يعني أنه يجمعكم جميعا أحياء ليوم القيامة لا رَيْبَ فِيهِ يقول: لا شكّ فيه, يقول: فلا تشكوا في ذلك, فإن الأمر كما وصفت لكم وَلَكِنّ أكْثَرَ النّاسَ لا يَعْلَمُونَ يقول: ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث, لا يعلمون حقيقة ذلك, وأن الله محييهم من بعد مماتكم.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلِلّهِ مُلْـكُ السّـمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَيَـوْمَ تَقُـومُ السّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولله سلطان السموات السبع والأرض, دون ما تدعونه له شريكا, وتعبدونه من دونه, والذي تدعونه من دونه من الآلهة والأنداد فـي مُلكه وسلطانه, جارٍ عليه حكمه, فكيف يكون ما كـان كـذلك لـه شـريكا, أم كيف تعبدونه, وتتركون عبادة مـالككم, ومالـك مـا تعبـدونه مـن دونـه وَيَـوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء السـاعة الـتي يُنْشِـر اللـه فيهـا الموتى من قبورهم, ويجمعهم لموقـف العـرض, يَخْسَـرُ المُبْطِلُـونَ: يقـول: يغبن فيها الذين أبطلوا في الدنيا في أقوالهم ودعواهم لله شريكا, وعبادتهم آلهة دونه بأن يفوز بمنازله من الجنة المحقون, ويبدّلوا بها منـازل مـن النـار كانت للمحقين, فجعلت لهم بمنازلهم من الجنة, ذلك هو الخسران المبين.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَرَىَ كُـلّ أُمّـةٍ جَاثِيَـةً كُـلّ أمّـةٍ تُـدْعَىَ إِلَـىَ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد يوم تقوم الساعة أهل كـل ملـة وديـن جاثية: يقول: مجتمعة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم. كما:

24136ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيـح, عـن مجاهـد فـي قـوله: وَتَـرَى كُـلّ أُمّـةٍ جاثِيَـةً قـال علـى الركـب مستوفِزين.

24137ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهـب, قـال قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَتَرَى كُلّ أُمّةٍ جاثِيَةً قال: هذا يوم القيامة جاثية على ركبهم.

24138ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَتَـرَى كُـلّ أُمّـةٍ جاثِيَـةً يقـول: علـى الركب عند الحساب.

وقوله: كُلّ أُمّةٍ تُدْعَى إلى كِتابِها يقول: كل أهل ملة ودين تُدعى إلى كتابها الذي أملت على حفظتها. كما:

24139ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: كُلُ أُمّةٍ تُدْعَى إلى كِتابِها يعلمون أنه ستدعى أُمة قبل أُمة, وقوم قبـل قـوم, ورجل قبل رجل. ذُكر لنا أن نـبيّ اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم كـان يقـول: «يُمَثّلُ لِكُلّ أُمّةٍ يَوْمَ القِيامَةِ ما كـانَتْ تَعْبُـدُ مِـنْ حَجَـرٍ, أوْ وَثَـنٍ أوْ خَشَـبَةٍ, أوْ دَابّةٍ, ثُمّ يُقالُ: مَنْ كانَ يَعْبُدُ شَيْئا فَلْيَتْبَعْهُ, فَتَكُونُ, أوْ تُجْعَلُ تِلْكَ الأوْثانُ قادَةً إلى النّارِ حتى تَقْذِفَهُمْ فِيها, فَتَبْقَى أُمّةُ مُحَمّدٍ صَلى اللّـهُ عَليـهِ وَسـلّمَ وأهْـلُ الكِتابِ, فَيَقُولُ لِلْيَهُودِ: ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنّا نَعْبُـدُ اللّـهَ وَعُزَيْـرا إلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ, فَيُقالُ لَهَا: أمّا عُزَيْرٌ فَلَيْسَ مِنْكُمْ وَلَسْتُمْ مِنْـهُ, فَيُؤْخَـذُ بِهِـمْ ذَاتَ الشّمالِ, فَيَنْطَلِقُونَ وَلا يسْتَطِيعُونَ مُكُوثا, ثُمّ يُدْعَى بالنّصَارَى, فَيُقـالُ لَهُـمْ: ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنّا نَعْبُدُ اللّهَ وَالمَسِيحَ إلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَيُقـالُ: أمّـا عِيسَى فلَيسَ مِنْكُمْ وَلَسْتُمْ مِنْـهُ, فَيُؤْخَـذُ بِهِـمْ ذَاتَ الشـمّالِ, فَيَنْطَلِقُـونَ وَلا يسْتَطِيعُونَ مُكُوثا, وَتَبْقَى أُمّةُ مُحَمّدٍ صَلى اللّهُ عليهِ وسلّمَ, فَيُقـالُ لَهُـمْ: مـا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنّا نَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ, وإنّمَـا فارَقْنـا هَـؤُلاءِ فِـي الـدّنيْا مَخافَةَ يَوْمِنا هَذَا, فَيُؤْذَنُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي السّجُودِ, فَيَسْجُدُ المُؤْمِنُونَ, وَبينَ كُلّ

مُـؤْمِنٍ مُنـافِقٌ, فَيَمْسُـو ظَهْـرُ المُنـافِقِ عَـنِ السّـجُودِ, وَيجْعَـلُ اللّـهُ سُـجُودَ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ تَوْبِيخا وَصَغارا وَحَسْرَةً وَنَدَامَةً».

24140ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن الزهريّ, عن عطاء بن يزيدالليثي, عن أبي هريرة, قال: «قَـالَ النـاسُ: يا رسُولَ اللّهِ هَلْ نَرَى ربّنَا يومَ القيامَةِ؟ قال: «هَـلْ تُضَـامّونَ فِـي الشّـمْسِ لَيْسَ دُونَها سَحَابٌ, قالُوا: لاَ يَا رسُولَ اللّهِ, قال: «هَـلْ تُضَـارّونَ فِـي القَمَـرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قالوا: لا يا رسُـول اللـه, قَـالَ: فـإنّكُمْ تَرَوْنَـهُ يَوْمَ القِيامَةِ كَذَلكَ. يَجْمَعُ اللّهُ النّـاسَ فَيَقُـولُ: مَـنْ كـانَ يَعْبُـدُ شَـيْئا فَلْيَتْبَعْـهُ, فَيَتْبَعُ مَنْ كانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ, وَمَنْ كانَ يَعْبُدُ الشّمْسَ الشّمْسَ, وَيَتْبَع مَـنْ كانَ يَعْبُدُ الطّوَاغِيتَ الطّوَاغِيتَ, وَتَبْقَ ى هَـذِهِ الأُمّـةُ فِيهـا مُنافِقُوهـا, فيَـأْتِيهِمْ رَبّهُمْ فِي صورَةٍ, وَيُضْرَبُ جِسْرٌ على جَهَنّمَ قال النبيّ صلى الله عليه وسـلم: «فَأَكُونُ أوّلَ مَنْ يُجِيزَ, وَدَعْوَةُ الرّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللّهُمّ سَـلّمْ, اللّهُـمّ سَـلّمْ وَبهـا كَلالِيبُ كَشَوْكِ السّعْدانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السّعْدانِ؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: فإنّها مِثْلُ شَوْكِ السّـعْدانِ غَيـرَ أنّـهُ لا يَعْلَـمُ أحَـدٌ قَـدْرَ عِظَمِهـا إلاّ اللّـهُ ويُخْطَفُ النّاسُ بأعمالِهِمْ, فَمِنْهُمْ المُوبَقُ بعَمَلِهِ, وَمِنْهُمُ المُخَـرْدَلُ ثُـمّ يَنْجُـو, ثُمّ ذَكَرَ الحدِيثَ بطُولِه».

وقوله: اليَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول تعالى ذكره: كلّ أُمة تُدعى إلى كتابها, يقال لها: اليوم تجزون: أي تثابون وتعطون أجور م ا كنتـم ف ي الـدنيا من جزاء الأعمال تعملون بالإحسان الإحسانَ, وبالإساءة جزاءها.

الآية : 29-30

القول في تأويـل قـوله تعـالى: {هَـذَا كِتَابُنَـا يَنطِـقُ عَلَيْكُـم بِـالْحَقّ إِنّ كُنّـا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * فَأَمّا الّذِينَ آمَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصّـالِحَاتِ فَيُـدْخِلُهُمْ رَبّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ }.

يقول تعالى ذكره: لكلّ أمة دعيت في القيامة إلى كتابها الذي أملت على حفظتها في الدنيا اليَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فلا تجزعوا من ثوابناكم على ذلك, فإنكم ينطق عليكم إن أنكرتموه بـالحقّ فـاقرأوه إنّـا كُنّـا نَسْتَنْسِـخُ مـا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول: إنا كنـا نسـتكتب حفظتنـا أعمـالكم, فتثبتهـا فـي الكتـب وتكتبها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24141ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا طلق بن غنام, عن زائدة, عن عطاء بن مقسم, عن ابن عباس هَذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بالحَقّ قال: هو أمّ الكتـاب فيه أعمال بني آدم إنّا كُنّـا نَسْتَنْسِـخُ مـا كُنْتُـمْ تَعْمَلُـونَ قـال: نعـم, الملائكـة يستنسخون أعمال بني آدم.

24142ـ حدثنا ابن حُميد, قـال: حـدثنا يعقـوب القمـي, قـال: ثنـي أخـي عيسى بن عبد الله بن ثابت الثّمالي, عن ابن عبـاس, قـال: «إن اللـه خلـق النون وهي الدواة, وخلق القلم, فقال: اكتب, قال: ما أكتب, قال: اكتب مـا هو كائن إلى يوم القيامة من عمـل معمـول, بـرّ أو فجـور, أو رزق مقسـوم, حلال أو حرام, ثم ألزم كلّ شيء من ذلك شأنه دخـوله فـي الـدنيا, ومقـامه فيها كم, وخروجه منه كيـف, ثـم جعـل علـى العبـاد حفظـة, وعلـى الكتـاب خزانا, فالحفظة ينسخون كلّ يوم من الخزان عمـل ذلـك اليـوم, فـإذا فنـي الرزق وانقطع الأثر, وانقضى الأجل, أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم, فتقول لهم الخزنة: ما نجـد لصـاحبكم عنـدنا شـيئا, فـترجع الحفظـة, فيجدونهم قد ماتوا, قـال: فقـال ابـن عبـاس: ألسـتم قومـا عربـا تسـمعون

الحفظة يقولون: إنّا كُنّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وهل يكـون الاستنسـاخ إلاّ من أصل».

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن عطاء, عن الحكم, عن مقسم, عن ابن عباس هَذَا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بالحَقّ قال: الكتاب: الذكر إنّا كُنّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قال: نستنسخ الأعمال.

وقال آخرون في ذلك ما:

24143ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا النضر بن إسماعيل, عن أبي سنان الشيبانيّ, عن عطاء بن أبي رباح, عن أبي عبد الرحمن السلميّ, عـن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إن للـه ملائكـة ينزلـون فـي كـل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم.

وقوله: فأمّا الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ, فَيُدْخِلُهُم رَبّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ يقول تعالى ذكره: فأما الذين آمنوا بالله في الدنيا فوحدوه, ولم يشركوا به شـيئا, وعملوا الصالحات: يقول: وعملوا بما أمرهم الله به, وانتهوا عما نهاهم اللـه عنه فَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَتِهِ يعني في جنته برحمته.

وقوله: ذلكَ هُوَ الفَوْزُ المُبِينُ يقول: دخولهم في رحمة الله يومئذٍ هو الظفر بما كانوا يطلبونه, وإدراك ما كانوا يسعون في الدنيا له, المبين غايتهم فيهـا, أنه هو الفوز.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَمّـا الّـذِينَ كَفَـرُوَاْ أَفَلَـمْ تَكُـنْ آيَـاتِي تُتْلَـىَ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مّجْرِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وأما الذين جحدوا وحدانية الله, وأبوا إفراده في الدنيا بالألوهة, فيقال لهم: ألم تكن آياتي في الدنيا تُتلى عليكم.

فإن قال قائل: أو ليست أمّا تجاب بالفاء, فأين هي؟ فإن الجواب أن يقال: هي الفاء التي في قوله أفَلَمْ. وإنما وجه الكلام في العربية لو نطق بـه علـى بيانه, وأصله أن يقال: وأما الذين كفروا, فألم تكـن آيـاتي تتلـى عليكـم, لأن معنى الكلام: وأما الذين كفروا فيقـال لهـم ألـم, فموضـع الفـاء فـي ابتـداء المحذوف الذي هو مطلـوب فـي الكلام, فلمـا حُـذفت يقـال: وجـاءت ألـف استفهام, حكمها أن تكون مبتدأة بها, ابتدىء بها, وجعلت الفـاء بعـدها, وقـد تُسقط العرب الفاء التي هي جواب «أما» في مثـل هـذا الموضـع أحيانـا إذا أسقطوا الفعل الذي هو في محل جواب أمّا كما قال جـلّ ثنـاؤه فأمّـا الّـذِينَ اسْوَدّتْ وُجُوهُهُمْ أكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ فحذفت الفاء, إذ كان الفعل الـذي هـو في جـواب أمّـا محـذوفا, وهـو فيقـال, وذلـك أن معنـى الكلام: فأمـا الـذين اسودّت وجوههم فيقال لهم: أكفرتم, فلما أسقطت, يقـال الـذي بـه تتصـل الفاء سقطت الفاء التي هي جواب أمّا.

وقوله: فاسْتَكْبَرْتُمْ يقول: فاستكبرتم عن اسـتماعها والإيمـان بهـا وكُنْتُـمْ قَوْما مُجْرِمِينَ يقول: وكنتم قوما تكسبون الآثـام والكفـر بـالله, لا تصـدّقون بمعاد, ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ إِنّ وعْدَ اللّهِ حَقّ وَالسّاعَةُ لاَ رَيْـبَ فِيهَا قُلْتُم مّا نَدْرِي مَا السّاعَةُ إِن نّظُنّ إِلاّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ويقال لهم حينئذٍ: وَإِذَا قِيلَ لكم إنَّ وَعْدَ اللّهِ الذي وعد عباده, أنه محييهم من بعد مماتهم, وباعثهم من قبورهم حَقّ, وَالسّاعَةُ التي

أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم, وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة, والعقاب على المعصية, آتية لا رَيْبَ فِيها يقول: لا شكّ فيها, يعني في الساعة, والهاء في قوله: فِيها من ذكر الساعة. ومعنى الكلام: والساعة لا ريب في قيامها, فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله, واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها قُلْتُم ما نَدْرِي ما السّاعَةُ تكذيبا منكم بوعد الله جلّ ثناؤه, وردّا لخبره, وإنكارا لقُدرته على إحيائكم من بعد مماتكم.

وقوله: إنْ نَظُنّ إلاّ ظَنا يقول: وقلتم ما نظنّ أن الساعة آتية إلاّ ظنا وَما نحْنُ بِمُسْتَيْقِنينَ أنها جائية, ولا أنها كائنة.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: والسّاعَةُ لا رَيْبَ فِيها فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة و السّاعَةُ رفعا على الابتداء. وقرأته عامة قرّاء الكوفة «والسّاعَةَ» نصبا عطفا بها على قوله: إنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ.

والصواب من القول في ذلك عندنا, أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار صحيحتا المخرج في العربية متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ سَيّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وبدا لهؤلاء الذين كانوا في الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا في الدنيا من الأعمال, يقول: ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرأوا كتب أعمالهم التي كانت الحفظة تنسخها في الدنيا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ يقول: وحاق بهم من عذاب الله حينئذٍ ما كانوا به يستهزئون إذ قيل لهم: إن الله مُحِلّه بمن كذّب به على سيئات ما في الدنيا عملوا من الأعمال.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـَذَا وَمَأْوَاكُمُ النّارُ وَمَا لَكُمْ مّن نّاصِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم: اليوم نترككم في عذاب جهنم, كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا. كما:

24144ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَقِيلَ اليَوْمَ نَنْساكُمْ نترككم. وقوله: وَمأْوَاكُمُ النّارُ يقول: ومأواكم التي تأوون إليها نار جهنم, وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ يقول: وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله, ولا منتصر ينتصر لكم ممن يعذّبكم, فيستنقذ لكم منه.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكُم بِأَنّكُمُ اتّخَذْتُمْ آيَاتِ اللّهِ هُزُواً وَغَرّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدّنْيَا فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذا الذي حلّ بكم من عذاب الله اليوم بِأَنّكُم في الدنيا اتّخَذْتُمْ آياتِ اللّهِ هُزُوا, وهي حججه وأدلته وآي كتابه التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم هُزُوا يعني سخرية تسخرون منها وَغَرّتْكُمُ الحَياةُ الدّنْيا يقول: وخدعتكم زينة الحياة الدنيا. فآثرتموها على العمل لما

ينجيكم اليوم من عذاب الله, يقول تعالى ذكره: فالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها مــن النار وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ يقول: ولا هم يردّون إلى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الإنابة مما عوقبوا عليه.

الآية : 36-37

القول في تأويل قوله تعالى:

{فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبّ السّمَاوَتِ وَرَبّ الأرْضِ رَبّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَآءُ فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَهُوَ الْعِزِيزُ الْحَكِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: فَلِلَّهِ الحَمْدُ على نِعمه وأياديه عند خلقه, فإياه فاحمدوا أيها الناس, فإن كلّ ما بكم من نعمةٍ فمنه دون ما تعبدون من دونه من آلهــة ووثن, ودون ما تتخذونه من دونه رباً, وتشركون به معه رَبّ السّـمَوَاتِ وَرَبّ الأرْضِ يقول: مالك السموات السبع, ومالك الأرضين السبع و رَبّ العــالَمِينَ يقول: مالك جميع ما فيهنّ من أصناف الخلق, ولـه الكبريـاء فـي السـموات والأرض يقول: وله العظمة والسلطان في السموات والأرض دون ما ســواه من الآلهة والأنداد وَهُوَ العَزِيزُ في نقمته من أعدائه, القاهر كل مـا دونـه, ولا يقهره شيء الحَكِيمُ في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيمـا شـاء كيـف شـاء, والله أعلم.